الفصل الأول
التوائم التي فُصلت

obeikandl.com

obeikandl.com

١

أول لبنة في البناء

جمادى الأولى ١٤١١هـ/ ديسمبر ١٩٩٠م

obeikandl.com

obeikandl.com

أول لبنة في البناء

جمادى الأولى ١٤١١هـ - ديسمبر ١٩٩٠م

باستثناء الأطفال والصغار، كان جميع أفراد أسرتي وأهلي وأقربائي مشدودين معي لتحقيق النجاح في أول تجربة لفصل توأم سيامي بالمملكة والوطن العربي، وهو توأم سعودي إناث. لم أكن مهمومًا بالعملية في ذاتها؛ لأن الحالة لم تكن معقَّدة كما أوضحت لي قراءتي للفحوصات والتحاليل؛ بل كنت واثقًا من قدرة الفريق الطبي على إثبات ذاتيته بوضع أول لبنة في أساسات الخبرة السعودية في هذا المجال الجديد، وكانت زوجتي هدى تتمتم بالدعاء عقب صلواتها وترفع أكف الضراعة بأن يكتب الله لي التوفيق في هذا المشوار.. أسفر صبح ذلك اليوم على درجة حرارة خفيفة تبعث الإشراق في النفس، فخرجتُ إلى المسجد ملبيًا نداء الله نشيطًا متوثِّبًا، ثم أشرقتْ شمسُه لتغمر الكون بضيائها وأشعتها المتكسِّرة، وتهبُ الإشراق لكل المبكرين إلى أعمالهم، ولكل العازمين على أن يهبوا - بتوفيق الله - الحياة لمرضاهم، ويرسموا الابتسامات على وجوه أسرهم، وأقصد الزملاء الأطباء والجراحين العاملين في مختلف المستشفيات والمراكز.

غادرتُ لمنزل بهمَّة عالية وإرادة صادقة مصمِّمًا على كتابة أول سطر في أول صفحة من سِفْرٍ طبيٍّ وعلميٍّ سعوديٍّ، مستمدًا عزيمتي من ثقتي في الله جلَّ وعلا أولاً، ثم من حرص قيادة الوطن ومساندتها ومشاعرها الإنسانية العميقة ثانياً، ومستنفرًا همَّتي وطاقتي من تشجيع الأُسْرة والزملاء وجموع المصلين عُمَّار المسجد الذي نؤدي فيه جميع صلواتنا. تزامنت العملية مع آخر شهر من عام ١٩٩٠م الموافق لمنتصف عام ١٤١١هـ، فكان ذلك دافعًا لأن نُسجِّل للوطن فتحًا في آفاق جديدة مع بداية عقد جديد نُودِّع فيه القرن العشرين الميلادي ونستقبل الحادي والعشرين بإرهاصاته العلمية والطبية والمعلوماتية المتطورة والخارقة لحُجُب المستحيل..

دخلتُ مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض وأنا منشرح الصدر متبسِّمًا، وكانت هذه النفسية المرتاحة كفيلة بأن تضفي على كل فرد من أفراد الفريق الطبي نوعًا من الانبساط الذي أزال عنهم هاجس الترقُّب والتخوُّف، وزوَّدهم بوقود كاف من الثقة، وأشعل فتيلةَ الأمل في دواخلهم لإنجاح أولى تجاربهم في هذا المضمار. جلس أفراد الفريق حول مائدة التداول لمراجعة المعلومات المتعلقة بالفحوصات وحالة التوأم، ودرجة الاستعداد لإجراء العملية ونسبة نجاحها، تركت الفرصة للزملاء في البداية مستمعًا بعناية للتحليلات والآراء، ومحاولاً استنباط مشاعر القلق والتخوف التي قد تعكسها قسماتُ وجوههم وطريقة كلامهم، وبعد الاطِّلاع على تفاصيل الحالة اتفقنا جميعًا على أنها - لحسن - الحظ عادية وبسيطة أو خارج نطاق التعقيد والصعوبة؛ إذ اقتصر اشتراك التوأم السيامي على الجلد وجزء صغير من الكبد، ولذا اتخذنا قرارًا بإجراء عملية الفصل في الأسبوع الثاني من العمر.. نهضتُ فنهض الجميع معي متجهين صوب باب غرفة العمليات، وقبل أن ننقل خطواتنا داخلها التفتُّ إليهم وقلت: بسم الله، توكلنا على الله، اللهم كن معنا، وامنح الحياة للطفلتين.

أثناء العملية

توجس يصاحب البداية

غرفة العمليات جاهزة تمامًا من كل النواحي، أفراد الفريق خلية نحل، وإن كانت هناك علامات توجُّس تبدو على بعض الوجوه، أرجعتُ ذلك إلى المشاعر التي تصاحب الأطباء عادة عند مواجهة أول تجارب جراحية يخوضونها، لاسيما وأن عملية فصل توأم سيامي تعدُّ تجربة جديدة عليهم، تحدثتُ إليهم مؤكِّدًا على مهنيتهم العالية وقدرتهم على النجاح، ومستحثًّا على تحقيق التفوق، - كانت المسألة رغم ثقتي الكاملة وغير المحدودة في الطاقم الطبي - أشبه بتمارين الإحماء قبل ممارسة أي نشاط رياضي. بدأت العملية في صباح يوم الخميس ٢٥ جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٩٠م وأخذ كل مختص موقعه، وما أن أكمل فريق التخدير مهمته حتى بدأت المشارط والمقصات تعمل في مواقع الالتصاق وكأنها في ألفة وانسجام مع الجسدين الصغيرين، وظلت تتحرك بحذر وانتباه حسب خارطة المعلومات التي أمدتنا بها نتائج الفحوصات والتحليلات. حاولت أثناء العملية مؤانسة النفوس المتوجسة والمشفقة حتى ينساب عملها بالسهولة والسلاسة المطلوبة، وإن كنت أعلم أن والدي الطفلتين في الخارج قد يرون في ذلك مدعاة لتشتيت التركيز وإمكانية حدوث خطأ قد يُفقد بنتيهما حياتهما.. لم تستمر العملية أكثر من ثلاث ساعات أكملنا فيها عملية الفصل بنجاح حقيقي، تنهَّد الجميع من الأعماق علامة على الارتياح واكتمال المهمة على أحسن وجه بعناية الله سبحانه، وصفَّقت جدران المستشفى وأبوابها، وتجاوب معها الجمهور في كل مكان إيذانًا بارتياد آفاق جديدة في عالم الطب السعودي، وبدا واضحًا من تحركات والدة الطفلتين بين مرافقاتها أنها أكثر الناس سعادة بنجاح العملية، وتهلَّلت أسارير والدهما وانطلق لسانه يهمهم وكأنه عاجز عن التعبير عمَّا يجيش به قلبه في تلك اللحظة من مشاعر فياضة، ولم يملك إلا أن يرفع راحتيه بالدعاء لله جل وعلا، ثم بالشكر للفريق الطبي دون أن ينطق بكلمة واحدة ودموع الفرح تنساب على خدَّيه لتبلل الجزء الأعلى من ثوبه، إنها فعلاً لحظات تجيش فيها الأحاسيس، فما أصدق مشاعر الأب وأحناها وأعذبها على بلذة كبد وقطعة إنسان صغرى لا تعرف أي معنى للألم، ولا تدرك سببًا لتقاربها الجسدي الذي بلغ حدَّ الالتصاق.

بالطبع لا نملك جميعًا قدرة على قراءة المستقبل، فهذه قدرة إلهية تتجاوز عقولنا وعلومنا، وابتهلنا إلى الله جل وعلا بعد العملية مباشرة أن يمدَّ في عمر الأختين لتعيشا حياة حافلة بالعلم والمعرفة، ولتصبحا من الرموز التي تترك بصماتها في الحياة ورجونا أن تكون مسيرتهما زاخرة بالفعل الطيب والعطاء والإنجاز تمامًا كما يحدثنا التاريخ عن بعض التوائم السيامية التي كان لها دور كبير في التاريخ البشري.

اختزال زمن الجراحة

كانت تجربة فصل التوأم السيامي السعودي الأول عظيمة وفريدة ومحفوفة بمشاعر إنسانية عميقة ومتداعية، وظلت حواس جميع العاملين في القطاع الصحي مشدودة إلى غرفة العمليات، بينما يكاد قلبا الأبوين يخرجان من مكانيهما، ونبضاتهما تعلو وتتسارع كأنها تستحثنا على الإسراع، وتستعطفنا الرفق بالجسدين الرقيقين الشفيفين كجناحي فراش، وجميعنا أعضاء الفريق

التوأم بعد الفصل

الطبي كان يستشعر هذه المراقبة والترقُّب لإنقاذ الطفلتين وإيداع أول نجاح في سجلاَّت إنجازات الوطن التي ستكتب بأحرف من نور، ولذلك اختزلنا زمن الجراحة في ثلاث ساعات وكأننا نستعجل إضافة هذا الإنجاز إلى تاريخنا العربي والإسلامي المجيد الذي أهدى للإنسانية اكتشافات طبية مؤثرة.. انتهت العملية ونُقلت الطفلتان إلى غرفة العناية المركزية يتبعهما الأطباء المكلفون بالرعاية، هنأ بعضنا بعضًا، وعند الباب كان الأب يسابق الجميع ليصافحنا مطمئنًا على سلامة وصحة الصغيرتين.

وفي تلك اللحظة التفتَ أحدُ أعضاء الفريق وتساءل: أين وسائل إعلامنا المحلية والعربية من هذا الإنجاز؟! استغربنا السؤال في البداية؛ فللحظات كانت مشحونة بوجدانيات ومشاعر متداخلة تتراجع معها فرص التفكير المتزن؛ ولكن بعد هنيهة اتَّضحت لنا رجاحة السؤال ومناسبة توقيته.. فعند باب الخروج من غرفة كانت مسرحًا لعمليات دقيقة وفريدة مثل هذه؛ عادة ما يصطف الصحفيون والإعلاميون الباحثون عن السبق الصحفي، المدركون لأبعاد الفعل إنسانيًا ولأهميته وطنيًا وإقليمياً ودوليًا. مدَّ أحدهم لسانه وفتح راحتي يديه وقال متأثرًا ومستهجنًا إحجام الإعلام عن هذا الحدث المهم: من المؤسف أن يتخلَّفَ إعلامُنا العربي عن تجربة غير مسبوقة كهذه، لو كان الأمر عَرْضًا غنائيًا أو كرويًا لتسابقت الفضائيات والصحف وتدافعت عليه بأجهزة تسجيلها وعدسات كاميراتها وميكروفوناتها!! قال أحدهم ساخرًا: ربما لا علمَ للإعلام بالعملية وموعدها، وهذا حال (الإعلام الجالس) الذي تأتيه المعلومة في مكانه دون أن يسعى إليها.. غدًا يعلمون ويدركون أهمية هذه الخبرة للوطن ويكونون معنا بإذن الله. في غرفة العنية المركزة أقبل الأب على ابنتيه وانكب عليهما يقبِّلهما مقاومًا أوامر المنع من كادر التمريض والمتابعة، ولكن عاطفة الأبوة كانت أقوى من الاستجابة لمثل هذا الأمر... والحمد لله الذي استجاب لدعاء الجميع، فالبنتان ما زالتا تتمتعان الآن بصحة جيدة وقد بلغتا من العمر ١٨ عامًا.

obeikandl.com

٢

أمل جديد

شعبان ١٤١٢هـ/ فبراير ١٩٩٢م

obeikandl.com

أمل جديد

شعبان ١٤١٢هـ - فبراير ١٩٩٢م

ما أعذب التعامل مع الأطفال، وما أجمل الحركة في بيئة يشكلونها بابتساماتهم الصافية، أو حتى بشقاوتهم وأنينهم وصراخهم، أو بنشاطهم لذي لا يفتر وإن كانوا على أسرَّة المرض. كنت أعمل بقسم جراحة الأطفال بمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، هذا القسم المتخصص الذي يقتصر تعامله على المواليد والرُّضع ومراحل الطفولة الأخرى حتى سن الرابعة عشر، قسمٌ اكتسب فريقه الطبي عبر التدريب والممارسة قدرة على التعامل السلس والمرن مع هذه الفئات العمرية. واعتدنا فيه على استقبال حالات صعبة ومعقدة تحوَّل إلينا من كافة أنحاء المملكة والدول المجاورة. ولا شك أن التعامل مع الأطفال له جوانب تختلف كثيراً عن غيرها لدى البالغين؛ فالوجوه بيضاء نقية، مكسوَّة بالبراءة والعفوية والبساطة، والألسنة لا تنطق إلا صدقًا، والأمخة سلوك فطري، وصفاء السريرة هو الملمح المُميِّز، ولذا فإن شكواهم عادة ما تكون نابعة من القلب وتعبيراً عن معاناة حقيقية، فالأطفال لا يعرفون الكذب، ولا يراوغون ولا يبالغون في وصف ما يحسون به. وبسبب يفاعتهم وأجسادهم للَّدنة تكون قابليتهم للمرض سريعة، ولكن في الوقت نفسه فإن استعدادهم الفطري للشفاء بإذن الله يختزل كثيراً من فترات علاجهم إذا ما أحيطوا بالعناية اللازمة.

في غرف القسم وأروقته كان تعاملنا مع الأطفال يتسم دائمًا بالحب والحنان والملاطفة، نعاملهم باعتبارهم جزءاً منا، تمامًا مثل فلذات أكبادنا، ويبدأ تواصلنا معهم في السابعة صباحًا ويمتد حتى منتصف الليل وقد يتجاوز ذلك أحيانًا إلى الساعات الأولى من الصباح تبعًا لمتطلبات العمل المشحونة بالمفاجآت وعناصر التحدي، ولا عجب إذن أن تسود تحت مظلة هذا النوع من التعامل الإنساني روح الأسرة بين الأطفال وأقاربهم ومعالجيهم، وذلك لإدراكنا أن الطفل يجب أن يحس بالألفة، وأن يُحاط بعطف التعامل الأبوي، ويطوَّق بمشاعر الحنان مع إشاعة جو المرح والمداعبة المستمرة.. فهذه الروح تدفعه إلى قبول العلاج دون رفض أو تمنُّع أو صراخ.

في جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق ديسمبر من عام ١٩٩١م وردت إلى إدارة المستشفى تقارير طبية تخص طفلتين بريئتين من جمهورية السودان الشقيقة هما سماح وهبة، وانتهت هذه التقارير إلى مكتبي، شرعتُ في قراءتها عدَّة مرات بتأنٍ وإتقان، ودرستُها بعناية دراسة وافية، كما استعرضتُ وطالعتُ بإمعان وتركيز الصورَ المرافقة، فاتَّضح لي وجود اتِّصال كبير بين الطفلتين. حالة نادرة وغريبة لم نتعامل مع مثلها من قبل في المملكة العربية السعودية، دفعني هذا إلى قراءة ومراجعة الأبحاث والخبرات العالمية في هذ المجال باستفاضة، وبعد عدة أيام من الدراسة المتواصلة ارتفعت مشاعري الإنسانية إلى ذروتها، وانبعث في داخلي نداء بضرورة محاولة مساعدة هذا التوأم مهما كانت صعوبة الحالة، أيقنتُ صواب قراري برغم ما انتابني حينها من قلق وخوف حين تصورت ما يمكن أن يواجه التوأم من مشكلات، ولذا كان ردِّي لإدارة المستشفى بضرورة حضور التوأم ودراسة حالته عن كثب كي يتسنى لنا معرفة مدى إمكانية مساعدته.

سماح وهبة عند وصولهما

التصاق معقد

هاتان الطفلتان ولدتا بعملية قيصرية في أحد مستشفيات السودان، وفوجئ فريق الولادة بتوأم ملتصق التصاقًا معقدًا! فحاروا وعقدتْ الدهشةُ ألسنتهم في تلك اللحظة، بينما تعرَّض الأبوان لصدمة كبيرة وقلق شديد؛ صدمة المشكلة وصدمة القلق من عواقب الالتصاق. تغلَّب عمر والد التوأم على آثار الصدمة وزال عنه الشعور بالقلق، فهدأ وبدأ يفكر ويبحث عن حلٍّ في مستشفيات بلده دون جدوى؛ فالخبرة في هذا المجال غير متوافِّرة، والمستشفيات تفتقر إلى الأجهزة والمعدات اللازمة التي تمكنها من التعامل مع مثل هذه الحالات الصعبة، لم ييأس ولم يجلس حزينًا مستسلمًا؛ بل شحذ همَّته وتحرَّك في عدَّة اتجاهات، اتصل ببعض الدول العربية والمجاورة ولكن خاب أمله وحار في أمره، ثم أشرق في داخله شعاع من الأمل بأن أوروبا ربما تكون هي الملاذ. رمى بصره إلى المستشفيات الشهيرة ذات التقنية الرفيعة والتكاليف العالية في ألمانيا وبريطانيا، حاول الاتصال بها عبر جمعيات خيرية عديدة؛ ولكنه لم يوفق إلى حلٍّ. وقبل أن يتلبَّسه شعور بالإحباط؛ شاء الله أن يعود الأمل إلى قلبه حين هبَّ بعض أقربائه في المملكة العربية السعودية إلى مساعدته عن طريق الاتصال بمعالي الدكتور محمد عبده يماني الذي اطَّلع على التقارير ووعد برفعها إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله. وبالفعل وجَّه طيب الله ثراه بإحضار التوأم من السودان إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي. اكتملت دائرة الأمل في قلب عمر وزوجته حين علما بهذا التوجه الكريم.

بعد أسابيع قليلة استقبلنا التوأم برفقة والديه في جناح جراحة الأطفال (أ ٢) بالدور الثاني من المستشفى، واخترت له غرفة مجاورة لكوادر التمريض لمساعدتهم في سرعة الوصول إلى التوأم الذي بلغ عمره في ذلك الوقت ١٥ شهرًا.. وشرعنا على الفور في إجراء فحوصات كاملة وشاملة، وطلبت بعض الفحوصات الأساسية، ثم جلستُ مع والدي الطفلتين لسماع القصة منهما والتعرف على طبيعة تعاملهما معهما. أخبراني بكل صراحة وشفافية أنهم يعانيان مشكلة كبيرة في التعامل مع توأم ملتصق بالجسد، ويجدان صعوبة في حمله خاصة بعد أن وصل عمره إلى ١٤ شهرًا وازداد وزنه، وهذا عدا فضول أبناء المجتمع وأسئلتهم الكثيرة وتدخلهم في شؤون الأسرة؛ مما جعلها تلزم البيت اتقاءً لهذا الفضول. وبعد الإلمام بتفاصيل القصة أكدتُ لهما أن التوأم سيحظى بعناية كاملة من الفريق الطبي مع المحافظة على خصوصيته وسريته، ولذلك منعنا زيارته حفاظًا على مشاعرهما. ثم أطلعتهما على خطواتنا القادمة التي ستقترن بشفافية كاملة في التعامل بيننا وبينهم..

حالة فريدة

بدأت بتشكيل أول فريق طبي وجراحي للتعامل مع التوأم ضم الزملاء في التخصصات المختلفة، والتقيتُ بهم جميعًا في غرفة الاجتماعات بالجناح (أ ٢) وشرحت لهم وضع التوأم، مع عرض لبعض الصور وما توصلتُ إليه من اطِّلاعي على الخبرات العالمية، ووزعتُ عليهم بعض الأبحاث، ثم تناقشنا وقررنا إجراء الفحوصات الأساسية، وأخرى بالأشعة العادية والأشعة الملونة للجهاز الهضمي وأشعة صوتية للقلب ومقطعية ومغناطيسية وغيرها من الأشعات والفحوصات الدقيقة. ثم طرح بعض الزملاء تساؤلاً حول إمكانية التضحية بتوأم على حساب الآخر؟ مُعلِّلاً وجهة نظره بأن إحداهما ذات جسد هزيل وتبدو ضعيفة

سماح وهبة مرحلة التعقيم

سماح وهبة أثناء العملية

مقارنة بأختها، بجانب وجود فراغ كبير في الجسد تصعب تغطيته!! غير أن هذا التساؤل المقبول من الناحية الطبية قد لا يجد ـ مخرجًا فقهيًّا أو شرعيًّا يجيزه. أخضعنا الموضوع لمناقشات مستفيضة في اجتماعات مطولة شابتها بعض الاختلافات بيننا، وكانت نبرة النقاش ترتفع أحيانًا وتحتد بين موافق ينطلق من وجهة نظر طبية محضة، ومعارض يُقدِّم الرأي الفقهي على الطبي، غير أن الغالبية كانت تعارض ذلك، وفي النهاية اقترحت عليهم الاستئناس بالرأي الشرعي والاتصال بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فربما يزودنا بحكم شرعي قاطع يكون فاصلاً في هذا الشأن. واتفق الجميع على تكليفي بهذه المهمة.. وعقب الاجتماع طلبت الفحوصات التي اتفق عليها الزملاء. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن حالة التوأم كانت فريدة من نوعها، حَرَّكت في دواخلنا ـ كفريق طبي ـ نوازع إنسانية، وطرحت أمامنا تساؤلات واستفهامات طبية كان لا بد من الحصول على إجابات حاسمة عليها، ووضعتنا أمام تلك الملابسات الفقهية التي لزِمَنا بحثها. ولأول مرة تتحول مائدة طبية بحتة إلى قاعة مناقشات تسعى إلى استطلاع الرأي الفقهي والشرعي، وتحاول استدعاء البُعد الأخلاقي الإنساني الذي لا يفصم عرى الارتباط والتداخل بين مهنية الجراح وإنسانيته، كان الحوار ممتعًا وشائقاً بالفعل؛ وإن تصوَّر بعض الناس أن ثقافة الجراحين لا تتعدى دقة التشخيص وحركة الأنامل والمشارط والمقصات.. لقد استطاع الأطباء فعلاً ربط المهنة بالفقه، والاحتكام فيما يتعلق بمتطلباتها وضروراتها إلى الشرع، وحين يُقرِّر الفقهُ أو يُصدر الشرعُ حكمَه؛ يتوقف المشرطُ ويتحول المقصُّ آلة حروناً.

حوار مع الشيخ ابن باز

في اليوم التالي اتصلت عبر الهاتف بالشيخ ابن باز رحمه الله، ومن المعلوم أن هاتف سماحته مشغول طوال الوقت، يتلقى اتصالات من كافة أنحاء المملكة العربية السعودية وخارجها. وبعد عدة محاولات سنحت لي فرصة الحديث إليه، وكان وهو يحدثني لطيفًا سمحًا، ولما عرَّفته بنفسي؛ حيَّاني أطيب تحية ورحَّب بي ترحيبًا حارّاً ينمُّ عن أريحيته المعهودة ودار بيننا حوار ممتاز شرحتُ له خلاله المشكلة التي نحن بصددها، وعرَّفته بأبعادها، وكانت هذه أول حالة يسمع بها وتمثلت استفسارات فضيلته ـ لاجابات عليها فيما يلي:

- **ما هي التوائم السيامية؟**

– إنها ظاهرة خِلْقية طبيعية نادرة الحدوث، وهي ناتجة عن بويضة ومشيمة واحدة، ويولد التوأم قبل اكتمال انفصاله، فيخرج طفلان ملتصقين ومتشابهين ومتطابقين، ويطلق على الظاهرة مسمَّى (التوائم السيامية) نسبة لسيام الاسم القديم لتايلند، وهناك أنواع عديدة للالتصاق، فإما أن يكون في منطقة واحدة أو أكثر من الجسد أو الرأس.

- **وما رأي الفريق الطبي في الحالة الماثلة أمامه الآن؟ وما هو الراجح عند غالبيتهم؟**

– معظمهم لا يرون التضحية بتوأم على حساب الآخر طالما تتوافر أعضاء الحياة لدى كل منهما.

أظهرت هذه الأسئلة حرصا من سماحته على الإلمام بتفاصيل الظاهرة والرأي العلمي حولها وامكانية جراحتها وغير ذلك من المعلومات لتي تُمكِّنه من بناء حكم فقهي سليم.

سماح وهبة أثناء العملية

هبة بعد العملية مباشر

وبعد أن ألمَّ بكل التفاصيل شأنه شأن العلماء الذين يؤثرون الاستماع أكثر من الحديث طلب مني الاتصال بعد يومين ليجد متسعًا من الوقت لدراسة الحالة ومشاورة أهل الفقه، وبالطبع فإن الأناة والتريث والدراسة ومناقشة الفقهاء من أهم سمات العلماء، وهذا ما زاد من إعجابي بسماحته رحمه الله.

وبعد يومين اتصلت به؛ فأكدَّ لي بثقة العالم الفقيه أن الرأي الشرعي يتفق مع الرأي العلمي بضرورة المحفظة على حياة الإنسان وعدم التضحية بطفل على حساب الآخر، واتفاق رأي أهل الفقه مع رأي العلماء من أهل الطب يؤكد لا تعارض بين الدين الإسلامي والعلم؛ بل على العكس فإن الفقه يؤيد العلمَ، وهناك تواصلٌ بين العلم والشرع.. أعربتُ لسماحته عن شكري وامتناني، فشكرني بدوره وهو يدعو للفريق الطبي بالتوفيق وللتوأم بالصحة والسلامة. وضعتُ سماعة الهاتف وخرجتُ بعد هذه المحادثة بانطباع عن أهمية التزام الفتوى بأسلوب المعاصرة، وأقصد رجوع الفقهاء إلى المختصين في مختلف فروع العلم والمعرفة حتى يخرج الحُكم سليمًا غير متعارض مع العلم أو الفقه، ومراعيًا لواقع العلم ومستجداته.. دعوتُ الزملاء لاجتماع عاجل وأطلعتهم على الرأي الشرعي ورأي الفقه كما أفاد به سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله، فاتفق الجميع على عدم التضحية بتوأم على حساب الآخر، وعلى ألا يكون الطبيب أو الجراح أداة للقتل؛ بل وسيلة للإبقاء على حياة الإنسان وكرامته بإذن الله.

دراسة الحالة

وبعد اكتمال الفحوصات عقدنا لقاءً آخر بمشاركة الزملاء من قسم الأشعة، وراجعنا ودرسنا بعناية طوال ساعتين الوضع السريري للتوأم والصور والفحوصات المخبرية وصور الأشعة، واتضح لنا وجود اتصال كبير بين التوأم يشمل الصدر والبطن والحوض مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحد لكل منهما وثالث مشترك ومشوه ولا يفيد أيًا من التوأمين. كما تبيَّن وجود اشتراك في الأعضاء الداخلية: الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة وفتحة الشرج والجهازين البولي والتناسلي السفليين. وبعد استعراض هذه الفحوصات ثار بيننا تساؤل آخر حول إمكانية الاستفادة من الطرف الثالث لأيٍّ منهما؟ فأشرت على الزملاء بوجوب اعتماد قرارنا على دراسة متأنية ومتعمقة مصحوبة بمراجعة مستوفية للأبحاث التي تناولت حالات شبيهة أو مماثلة، ثم معرفة ما اكتسبه المتخصصون من خبرة في هذا المجال على مستوى العالم، وفي ضوء هذه الدراسة والاطِّلاع على تجارب الآخرين؛ اتفقنا على الاستفادة من الطرف الثالث المشوه في تغطية الفراغ بالجلد بعد الفصل، وثبت لنا أن إمكانية الفصل وارد مع المحافظة بإذن الله على حياة البنتين. استغرقت دراسة الحالة وقتًا ليس بالقصير، وحدَّدنا أسبوعين للاجتماع التالي لتكتمل خلالهما مراجعة الأبحاث والخبرة العالمية كي يتسنى لنا اتخاذ القرار النهائي، وفي هذا الاجتماع ناقشنا كل تفاصيل الحالة من جديد، واستعرضنا الأبحاث العلمية العالمية، ووضعنا تصورًا نهائيًا لعملية الفصل التي حددنا لها يوم السبت ٤ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٨ / فبراير / ١٩٩٢م، على أن تسبقها بثلاثة أيام عملية تجريبية وهمية، أي في يوم الأربعاء ٥ فبراير ١٩٩٢م. وطلبتُ وضع خطة لتخصص كل فريق تتضمن متطلباته من أجهزة ومعدات، وبعد أسبوعين التقينا لمراجعة هذه الخطط، ثم جمعتُ كل تلك التفاصيل في خطة واحدة كاملة للعملية الجراحية.. وكنت حريصا على الالتقاء بوالدي التوأم عقب كل اجتماع لأشرح لهما

صورة الفريق الطبي

فرحة الخروج من المستشفى

تفاصيل ما ناقشناه ولعرض ما توصلنا إليه من فحوصات، ولإطلاعهما على رأي الفريق الطبي والمضاعفات والصعوبات التي ستواجه التوأم، وأوضحت لهما في النهاية أن إمكانية الفصل واردة، غير أن نسبة خطورتها على التوأم تبلغ ٤٠٪ وربما تصل إلى الوفاة أو الإعاقة، وبعد التشاور معهما وافقا على إجراء العملية وكانت لديهما ثقة عالية في الفريق الطبي وفي نجاح العملية. وفي اليوم المحدد للعملية حضر كافة أعضاء الفريق الجراحي، وأطلعتُهم على الخطة الجراحية الكاملة التي وضعتها لتنفذ على عشر مراحل، وبناءً عليها توقعنا أن تستغرق مدة العملية عشرين ساعة كاملة. درسنا الخطة وأحضرنا التوأم وتأكدنا من جاهزية غرفة العمليات وجاهزية الفريق الجراحي، وحدَّدتُ أماكن الجراح. روجعت الخطة عدة مرات بحضور والد التوأم، شرحنا له التفاصيل بدقة، وفي النهاية ودعتُ الزملاء بابتسامة وطلبت منهم الخلود إلى الراحة والابتعاد عن السهر ومسبِّبات الإزعاج ليلة العملية، واتفقنا على الاجتماع في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي بغرفة العمليات.

بداية تحدٍ حقيقي

سماح وهبة شكلتا بداية التحدي الحقيقي للطب الجراحي السعودي لتجاوز تعقيدات الالتصاق، فالخبرة ما زالت في بداياتها كطفل لم يكمل عامه الأول ويحاول التفوق على نفسه ليقف على قدميه، بل ليمشي وينطلق خارج المساحة المحدودة التي يحبو داخلها.. التوأم قادم من خارج المملكة، من دولة عربية إفريقية شقيقة، إذن خبرتنا الآن تحت المجهر عربياً وإفريقياً، وهذا يعني قدرًا من التسامي والتجرُّد عن أي توجُّس أو إحساس باحتمالات الإخفاق أو الفشل، سمعة الجراحة السعودية على المحك عبر تجربتها الثانية بعد فصل التوأم السعودي الأول قبل ذلك بعام ونيف.. قَبِلْنا المهمة رغم صعوبتها ودرجة المخاطرة الكبيرة فيها، ولكن الدوافع الوطنية وتطور الإمكانات والتجهيزات الطبية في بلادنا، وما تتمتع به كوادرنا من مهنية عالية ومشاعر إنسانية دافقة؛ كانت كلها كفيلة بأن تُحفِّزنا مجتمعة، وتُضاعف إصرارَنا على تثبيت خطانا في هذا المجال العلمي الإنساني، وقبل كل ذلك كانت الاستعانة بالله ملاذنا ووقودنا، ومصباح الضياء في رحلة لقهر الصعاب وهزيمة التحديات.. لا مساومة في قدرتنا على إثبات كفاءتنا وإضافة خبرة جديدة إلى سمعة الطب في بلادنا، هذه السمعة المجيدة التي بُنيت في فترة وجيزة لا تكاد تتعدى عقدين من الزمان، ورفعتنا إلى أعلى عتبات الريادة.

في ليلة العملية أخلص الجميع - والدي وزوجتي وابني وبناتي وأهلي - الدعاء إلى الله جل وعلا أن يوفقنا، كان الكل يفكر في هذه العملية ونتائجها، فشعرتُ وكأن جو العملية انتقل من المستشفى إلى المنزل، وأن هناك فريقًا طبياً آخر من الأهل يتابع هذه العملية.. تناولتُ عشاءً خفيفًا وحاولت الخلود إلى النوم، ولكن انتابني بعض الأرق، وشغلني التفكير في العملية وتفاصيلها قسطاً كبيراً من الليل، وإزاء ذلك لم أجد بداً من تناول قرص دواء يساعدني على النوم، وبالفعل نمت حتى وقت صلاة الفجر، ثم ذهبت إلى المسجد وصليت ركعتين سألتُ الله بعدهما أن يعيننا في هذه التجربة، رجعتُ إلى المنزل وأخذت إفطارًا خفيفًا، ثم ودعتُ أسرتي واتجهت إلى المستشفى، كان منزلي قريبًا منه أو داخل رحابه، ولذلك انطلقتُ مشيًا على الأقدام مع أنفاس الصباح بخطوات بطيئة متئدة متأملاً لحظة شروق الشمس، وأربط إشراقها بإشراق الحياة في جسدي الصغيرتين إن

سماح وهبة أثناء التمارين

سماح وهبة مع التوأم المصري تسنيم وتسبيح

شاء الله تعالى، أوحى إليَّ الشروق بنجاح هذه العملية التي لم يفارقني التفكير فيها طوال الطريق، وربما لم أكن متنبهًا لمن قابلني أو حيَّاني. وصلت إلى باب غرفة العمليات والتقيت بالزملاء وجلسنا لإجراء مراجعة نهائية للخطة الجراحية، ولوضع اللمسات الأخيرة على بداية مهمة صعبة للغاية.

وبعد أن تهيأنا لإجراء الجراحة استدعيتُ والد التوأم (عمر) بغرض إطلاعه على ملابساتها وصعوبتها ونسبة نجاحها.. اضطرب قليلاً، وتفصَّد جبينه عرقًا رغم انخفاض درجة الحرارة في الغرفة المكيفة، وبلغ منه التأثر مبلغه، وقال بنبرة حزن وعينه تبرقان بالأمل، وجوارحه متخاذلة وكأنها في حالة من الضراعة والخشوع: امضوا على بركة الله، وما شاء جل وعلا سيكون، وتابع: لقد تضاءل في نفوسنا الأمل ونحن ننتقل من مستشفى إلى آخر، وأرسلنا تقارير عن هذه الحالة إلى المملكة المتحدة وألمانيا.. ولكن حين جاءنا الردُّ سريعًا من المملكة العربية السعودية استبشرنا خيرًا، وسبقته مبشرات عن نجاح بدايتكم، والله سيكون معنا ومعكم، ونسأله جل وعلا لكم التوفيق والسداد. ثم خرج من الغرفة وخيِّل إليَّ أن السكينة تتنزَّل على قلبه العامر بالإيمان. شدَّت كلماته عزماتي، وزاد صبرُه من مقدار ثقتي في إمكانية نجاح العملية، وقلت في نفسي: سنزرع غرسة أخرى في تربة جراحات التوائم السيامية ببلادنا بإذن الله.

تصفيق حاد

في غرفة العمليات شرع أطباء التخدير في مهمتهم التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة، أعقبها تعقيم التوأم وتغطيته ثم تحديد مكان الفصل، حملت المشرط وابتدرت العمل باسم الله في أول جرح بين الطفلتين بلغ طوله حوالي ٣٥ سم، وربما كانت هذه بداية حياة جديدة لهما بهذا المشرط، وبعدها بدأنا في فصل الأضلع السفلية وعظمة القص، لنكتشف بعد إكمالها اشتراكات داخلية في الكبد والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة، كانت الخطوة الأولى أو التحدي الأول هو فصل الكبد باستخدام أجهزة حديثة لمنع النزيف واستغرقت مدته زهاء الساعتين، ولحظة اكتماله علا تصفيق حاد من زملائي في غرفة العمليات باعتبار أنه يمثل أولى خطوات النجاح، وبعد ذلك بدأنا بفصل الأمعاء حيث كان هناك اشتراك كبير في الأمعاء الغليظة وكذلك في أوعية وشرايين أخرى صغيرة تطلبت متابعاتها ومعرفة بداياتها ونهاياتها وقتًا طويلاً، وبعد تحديد ذلك تمكنا من فصل الأمعاء الدقيقة والغليظة في ساعتين ونصف الساعة، وشكل ذلك نجاحًا آخر ولله الحمد، وبعد ذلك انتقلنا إلى فصل الجهاز السفلي للمثانة البولية بنجاح خلال ساعة ونصف الساعة، وتلا ذلك فصل الحوض من الأمام. ثم وجدنا أنفسنا أمام مرحلة حساسة ودقيقة تمثلت في قلب التوأم بجعل أعلاه أسفله وهي المرحلة التي يتطلب العمل فيها ضمان المحافظة على أجهزة وأنابيب التنفس الصناعي، وعلى تعقيم منطقة العمليات، ولكننا نجحنا في ذلك رغم قلقنا وخوفنا الشديد من المضاعفات. وبعد قلب التوأم أنجزنا مرحلة فصل العضلات والجلد للطرف الثالث المشوه وإزالة العظم والاستفادة من الجلد والعضلات في تغطية الفراغ بعد الفصل. وكانت المرحلة الأخيرة هي فصل العضلات والأضلع من الخلف، ولم تتبق إلا خمس سنتمترات لفصل التوأم. كانت هذه المرحلة مشحونة بالمشاعر وبقدر كبير من التفاؤل، تجهز كل أعضاء الفريق الطبي في غرفة العمليات لتصوير هذه المرحلة بدقة، وبدأ

سماح وهبة في الثانوية

سماح وهبة مع الأسرة

العد التنازلي من العشرة إلى الصفر، ومع الرقم صفر اكتمل فصل جسد سماح عن هبة بتصفيق شديد وفرح عارم بعد أربع عشرة ساعة ونصف الساعة من الجراحة. ونُقلت الطفلتان إلى طاولتين متقابلتين، وتشكل من بيننا فريقان أحدهما للعمل على سماح والآخر على هبة، وخصصنا الساعات الأربعة التالية لإعادة تأهيل الأعضاء الداخلية، وإعادة وضعها وزرعها في المكان المناسب، ثم قمنا بتغطية البطن والحوض بما توفر من جلد وعضلات، ونجحنا في ذلك بتوفيق الله عز وجل.

إنجاز وطني

ثماني عشر ساعة ونصف الساعة والفريق يواصل عمله بروح عالية وعزائم صادقة، فقط كانت هناك لحظات قصيرة لراحة بعض الزملاء بغية أداء الصلوات ولاسترداد النشاط. اكتملت كل مراحل العملية.. نجحت، بدأت ملامح التجهُّم والجدِّية تزول والأسارير تنفرج، والابتسامات تجد طريقها إلى الشفاه، توفيق من الله وإضافة إنجاز وطني جديد في بناء الخبرة السعودية. أكملنا تغطية مكان العملية بالشاش المعقم، ثم اصطففنا لالتقاط صورة جماعية بابتسامات صافية رغم التعب والإرهاق والجهد والقلق لأنها سترمز، توثِّق لهذا النجاح. وعند باب غرفة العمليات قابلني عمر والد التوأم واحتضنني بشدة وهو يقبلني ويشكر الفريق الطبي على هذا الجهد والنجاح، ورأيت أعين الوالدين تترقرقان بالدموع فرحاً وسعادة لبداية حياة جديدة لتوأمهما، نقلنا الطفلتين إلى العناية المركزة التي أدى فريقها المختص دوراً كبيراً في المحافظة بعد الله على حياتهما، مكثت الطفلتان قرابة الشهر في العناية المركزة، ثم رفعت الأجهزة عنهما وبدأت تغذيتهما ورفع الأوردة، أو القساطر الوريدية. وبعد استقرار حالتهما وعودة الأعضاء إلى وظائفها الطبيعية نُقلتا إلى جناح الأطفال (أ ٢)، إلى غرفتهما الأولى التي دخلتاها في البداية، ثم خضعتا لعملية التأهيل التي استغرقت حوالي الشهرين غادرتا في نهايتها المستشفى، وقرر الفريق الطبي وإدارة المستشفى إقامة حفل مصغر لوداعهما لأنهما أصبحتا جزءًا من الجناح، وكان وداعًا حارًا، ورأيت في وجوه كادر التمريض ابتسامات مختلطة بدموع الفراق لابنتين من بناتهن، ومع هذا النجاح عاشت سماح وهبة حياة غير معقدة، وقرر والدهما العيش في المملكة العربية السعودية بعد أن وافق خادم الحرمين الشريفين على بقاء الأسرة حفاظًا على حياة الطفلتين وضمان سلامتهما وتأهيلهما، وبعد ستة اشهر أُخضعتا لتركيب طرف صناعي لكل منهما، ومكثت أتابع اتصالاتي معهما كل ستة أشهر اطمئنانًا على تقدُّم صحتيهما، وأصبحتا تسيران بطرف صناعي وآخر طبيعي دون عكازة، وكنت أتعامل معهما وكأنهما ابنتين من بناتي، وهما الآن تعيشان في مدينة المجمعة بمنطقة سدير، وتتعاملان مع المجتمع بشكل طبيعي، ووصلتا عند إعداد مادة هذا الكتاب إلى الصف الثالث الثانوي، وحسب علمي فإنهما متميزتان في دراستهما ومتفائلتان بالالتحاق بالدراسة الجامعية إن شاء الله.

وهكذا كانت تجربتنا الثانية في جراحة التوائم السيامية بملابساتها وتبعاتها وتداعياتها واقتران الرأي الطبي بالفقهي فيها، وربما كانت هذه أول مرة يتوافقان فيها بصورة كاملة، وكان هذا التحدي الذي تجاوزناه بنجاح مُرتَكَزًا لاقتحام هذا المجال الغريب، ومنطلقًا لمزيد من النجاحات في التجارب اللاحقة التي أهَّلتنا لإثبات هويتنا العلمية والجراحية.

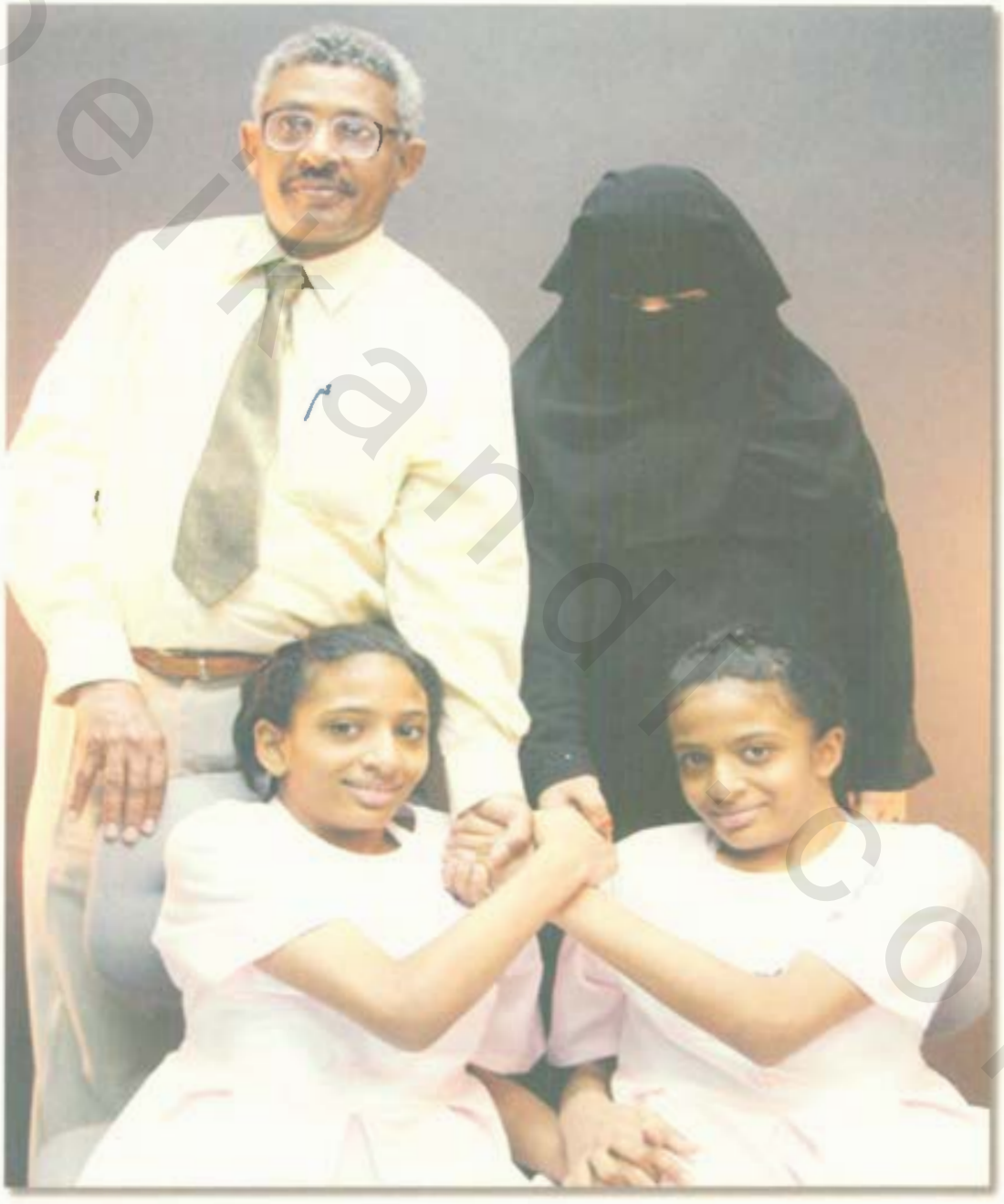

سماح وهبة بعد إنني عشر عاماً

obeikandl.com

سماح وهبة بعد سنة عشر عاماً

obeikandl.com

obeikandl.com

٣

توأمي في بطني

١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

obeikandl.com

توأمي في بطني

١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

في تجربة حملها الثالث لم تحس تلك السيدة السعودية بشيء غريب أو خارج عن المألوف، فقد كان كل شيء يسير هيناً دون مشكلات تذكر، عدا أن حجم بطنها كان أكبر من المعتاد، ولم يكن ثمة ما يُقلق الأسرة ولا الأطباء الذين تولوا الإشراف على مراحل حملها ومتابعتها. وحين وصل الحمل إلى نهايته وبدأت تغشاها نوبات المخاض؛ لم يساورها قلق، ولم تُعرب عن أي شكوى سوى معاناتها من ألمٍ شديد ظل ملازمًا لها حتى لحظة الولادة.

خرج الجنين إلى الوجود؛ ولكنه كان طفلاً مختلفًا أدهش الأطباء، واستحوذت عليهم المفاجأة في حينها، وبعد برهة من الوقت؛ حملوه على عجل وهرعوا به لإنعاشه وفحصه دون علم أمه التي شغلتها آلام الوضع عن رؤية وليدها، وبعد أن خفَّت حدَّة الألم قليلاً انتبهت ـ بدأت تسأل عن المولود وجنسه ووزنه وصحته؟ فأخبرتها القابلة بأنها وضعت طفلاً وهو بخير إن شاء الله.

استقرَّت حالة المولود واتَّضح للأطباء أنه توأم طفيلي، أحدهما ذكر مكتمل الأعضاء والآخر غير مكتمل وملتصق بجدار البطن غير المكتمل أيضاً، وكان لا بدَّ من إخبار الأم بحقيقة مولودها، ولمَّا عرفت ذلك؛ أصيبت بصدمة لأنها كانت تتوقَّع طفلاً سليمًا معافى؛ إذ لم تُبيِّن متابعاتها العادية أثناء الحمل أو تكشف شيئًا غريبًا.. فما كان منها إلا أن استسلمت لنوبة بكاء طويلة، فواساها زوجها وبذل معها جهدًا كبيرًا من أجل تخفيف وقع هذه الفاجعة عليها.

نُقل التوأم إلينا، وبعد إجراء الفحوصات الطبية؛ اتَّضح أنه توأم طفيلي ملتصق بجدار البطن، ويتطلب ذلك إجراء عملية ليست معقَّدة لاستئصال التوأم غير المكتمل وإصلاح جدار البطن، وبالفعل خضع التوأم بعد أيام قليلة لجراحة متوسطة لم تستغرق وقتًا طويلاً، وتكلَّلت بنجاح ولله الحمد دون أي مضاعفات جراحية.

obeikandl.com

أنا وابنة عمي

ذو القعدة ١٤١٥هـ/ أبريل ١٩٩٥م

obeikandl.com

التوأم السعودي الثاني قبل العملية

obeikandl.com

أنا وابنة عمي

ذو القعدة ١٤١٥هـ - أبريل ١٩٩٥م

حزمة من الأحلام والأمنيات

عندما قرر الزواج لم يرْم بصرَهُ خارج نطاق العشيرة، اختار ابنة عمه لتكون له سكنًا ورفيقة درب في الحياة، صغيرا سنَّ زوَّجا لتوِّهما. وامتلأت ساحة بيت الأسرة الصغيرة بمشاعر المودة والرحمة، كانا متحابين تلتقي ميولهما، وتتَّحد رغباتهما وأمنياتهما، ويشتركان في أحلامهما التي رسماها لوحة على جدران البيت السعيد، وما برحا يتناجيان في رحلتهما عبر آفاق هذه الأحلام بأن يرزقهما الله طفلاً يغمر البيت فرحًا ومرحًا وحيوية، تصورا طفلهما القادم وقد بلغ عمره عامًا أو عامين وهما يلاعبانه ويداعبانه ويُقبِّلانه.. كانا يدركان أن براءة الأطفال وابتساماتهم الصافية العذبة عذوبة الماء الزلال ستجعل من المنزل نبعًا متدفقًا من السعادة.. وهكذا تجلَّت لهما لوحة أحلامهما المعبِّرة.

بعد بضعة أسابيع لاحظ الزوج علامات إرهاق وتعب على زوجته، وشحوبًا يكسو وجهها؛ وإحساسًا بالفتور ينتابها بين حين وآخر، بل وتبدو كسولة في حركتها رغم ما عهده فيها من نشاط وحيوية طاغية، فنقل إليها هذه الملاحظات، فأخبرته بأن هذه العلامات مقترنة بنوبات غثيان وفقدان شهية مع رغبة شديدة في أصناف معينة من الطعام.. ورغم قلة خبرتهما إلا أنهما رجَّحا أنها مؤشرات على وجود حمل، إذن هذا هو (الوحم) المعروف بين النساء في أشهر الحمل الأولى، سرَتْ في دواخلهما مشاعر فرحة، تداعت الوجدانيات، واتسعت مساحة الحلم، ما أعذب ابتسامات الأطفال وضحكاتهم، بل إن صراخهم الذي يمنع النوم في جوف الليل له طعم خاص أيضاً..

أعراض حمل طبيعية جداً، لم يصاحبها أي عرض يختلف عن المعتاد أو المتعارف عليه؛ ولكن مع توالي الأيام وتتابع الأشهر بدأت الأعراض تختلف قليلاً، تكوَّر البطن وتضخَّم وازداد الثقل على الأم، تضاعف إحساسها بالتعب، تواصلت نوبات غثيانها مقترنة بنفور وفقدان شهية لكثير من الأطعمة، مع رغبة عارمة في الاسترخاء وعدم الحركة.. قلقت، همست لنفسها: ليست هذه أعراض الحمل التي تصفها قريباتُها وصديقاتُها المتزوجات!! دفعتها الهواجس إلى سؤال طبيبتها عن هذه الاختلافات غير المطمئنة، وما إذا كان حملُها غير طبيعي؟! لم تجد منها إجابة شافية؛ إذ لم تلاحظ هذه الطبيبة ولا زملاؤها علامات مقلقة حتى الشهر السابع من الحمل، وحتى لا تزداد هواجسها وتجتاحها الهموم والغموم؛ تقرر إخضاعها للتصوير بالأشعة الصوتية كي يستبين الأمر وتطمئن على حملها.. أوضحت نتائج الصور والفحوصات أنها تحمل توأماً، وعندما أخبرتها الطبيبة بذلك فرحت فرحًا شديدًا، تناست قلقها وانزعاجها وتصورت نفسها تناغي طفليها وتلاطفهما، هرعت إلى زوجها تنقل إليه هذه البشرى السارة.. غمرته الفرحة أيضاً، أطلقا لنفسيهما عنان الخيال وتمنيا أن يرزقهما الله ولدًا وبنتًا يضيئان جنبات البيت ببراءتهما ومرحهما وشقاوتهما المحببة، ومع هذا الخبر قاومت الأم مشكلات الحمل وغالبت أحاسيس التعب، تحمَّلت انتفاخ البطن وثقل وزن التوأم داخل الرحم.

التوأم في الشهر الثاني من العمر

تحديد مكان الفصل

حيرة على وجوه الأطباء

في الشهر الثامن وضمن الفحوصات الدورية العادية راود الطبيبة شكٌّ في إمكانية وجود التصاق للتوأم، فقرّرت الاستنارة بآراء مختصين في مستشفى آخر، ازداد الشك لديها؛ ولكنها لم تجرؤ على إخبار الأم التي لم يغب عن فطنتها وملاحظتها حركة الأطباء وعلامات الحيرة البادية على وجوههم، أقلقها اهتمامهم بحالتها وأحاديثهم الهامسة وكثرة مداولاتهم والتشاور فيما بينهم. دفعها خوفها إلى طرح أسئلة كثيرة؛ بل اتخذت استفساراتها طابعًا دقيقًا، ولكنها لم تتلق أي إجابة مقنعة تشفي غلّلها وتهدئ من روعها. وأخيرًا قررت الطبيبة تحويل الحالة إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث للاستنارة برأي المختصين، وبالفعل استقبل المستشفى هذه الزوجة في نهاية حملها حيث أجريت لها الأشعات والفحوصات اللازمة بواسطة فريق أطباء النساء والولادة، فتبيَّن لهم من نتائجها أنها تحمل توأماً ملتصقًا أو سيامياً.. وطُلبتُ حينها للاستشارة، فعقدتُ على الفور اجتماعًا مع أطباء القسم المعني وتشاورنا، وبعد دراسة الحالة والاطلاع على الفحوصات والأشعات، استقر رأينا على ضرورة إجراء عملية قيصرية عاجلة حفاظًا على سلامة الأم وتوأمها، لا سيما وأنها كانت تمثل المخرج الوحيد لولادة التوأم السعودي الثاني (سمر و سحر) الذي لم تكن حالته بأفضل من التوأم السوداني.

وبعد أن استوثقنا من الحالة التقينا بالزوجين لإبلاغهما بحقيقة الأمر، فوقع الخبر عليهما وقع الصاعقة، أحسا بصدمة كبيرة كادا يُصابان بدوار على إثرها، ساورهما قلق شديد، ودفعتهما الصدمة إلى عدم تصديق نتائج التشخيص بل والتشكيك في دقّته. حاول الزوج وهو أسير لهذا التصور إقناع الأطباء بأن تشخيص الحالة ربما شابه بعض التداخل غير المقصود، أو أحاطه التباس جعله يخرج بنتيجة غير مضبوطة، وحاول التأكيد على أن هذه الفحوصات لا تُبرز واقع الحمل الحقيقي بصورة دقيقة، ولعل الفريق الطبي يعيد إجراءها مرة أخرى فربما يحصل على نتائج تؤكد أن التوأم غير ملتصق!! الأطباء عادة لا يتضايقون ولا يتذمَّرون من أسئلة ذوي المرضى واستفساراتهم التي تنمُّ عن قلق وخوف، فهم يتقبَّلونها بنفس راضية تقديرًا للحالة أو الصدمة التي يتعرض لها ذوي المرضى جراء نتائج الفحوصات والتحاليل. ونزولاً على رغبة الوالد، وإرضاء له، ولإزالة شكِّه؛ قرَّرنا إعادة الأشعة الصوتية التي أكَّدت لنا دقة التشخيص، واقتنعنا بأن ليس ثمة أي مجال للشك، تكرَّرت جلساتُنا مع الوالد ومناقشته، وبعد يومين اختفت الظلال السالبة عن عينيه وبدأ يتقبَّل حقيقة الأمر الواقع، وأتْبَع ذلك بسيلٍ من الأسئلة عن الأطفال السياميين والتصاق الأجنة محاولاً الإلمام بكل التفاصيل والتعرف على أبعاد المشكلة ومضاعفاتها، كما سأل عن نسبة بقاء التوأم على قيد الحياة وما إلى ذلك.

وبحكم التخصص فإننا نتفهَّم مثل هذه الأسئلة وندرك أبعاد علامات الاستفهام الحائرة التي ترتسم في أذهان الآباء والأمهات حول العيوب الخلقية التي يولد بها الأطفال، أو تحدث لهم في أولى مراحل حياتهم كالإعاقات الجسدية والعقلية وما يترتَّب عليها من مشكلات وتبعات داخل الأسرة أو المجتمع، وهذه العيوب عادة ما تسبِّب صدمات كبيرة؛ خاصة عندما يكون الزوجان في سنٍّ صغيرة، وقد يواجهان إزاءها بعض التحدِّي، وقد تُنكرها أو تستهجنها بعض الأسر، وربما يُشكِّك آخرون في واقع التشخيص ودقَّة نتائجه.. ونجد بعض الأسر تحاول أحيانًا نقل المشكلة إلى الأب والأم، مما قد يؤدي إلى خلافات، أو يحدث أثرًا سالبًا على

الطاقم الطبي في غرفة العمليات

أثناء العملية

صفاء الحياة الزوجية.. وفي حالتنا تلك؛ فقد شرحتُ لوالدي التوأم الملتصق ملابسات الحالة عدة مرات.. وبعد زوال أثر الصدمة عادا إلى طبيعتهما راضيين بقضاء الله وقدره، ومُستسلمين لمشيئته جل وعلا، وأعربا عن قبولهما لما كتبه لهما سبحانه وتعالى.. وبعد موافقتهما؛ تقرَّر إجراء العملية القيصرية في الأسبوع التالي.

حالة مختلفة

جُهزت غرفة العمليات وأجريت عملية الولادة بسلام، وكنت على أهبة الاستعداد لاستقبال التوأم الذي نُقل بعد الولادة مباشرة إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، وتوليتُ مع طبيب الأطفال عمليه فحصه بدقَّة، فكشفت لنا الأشعة الصوتية وجود اتصال كبير في منطقة الصدر والبطن والحوض مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحدة لكل توأم والثالث مشترك بينهما. ومما يجعل هذا التوأم مختلفًا عن غيره عدم وجود فتحة شرج، واستدعى ذلك إجراء عملية مستعجلة للتوأم خلال أول يومين في حياته لعمل فتحة براز مؤقتة كي لا يتعرض لانفجار في الأمعاء أو لمشكلات تعيق حياته. وكشف الفحص السريري أيضاً وجود مشكلات في القلب تتطلب إجراء أشعة وتشخيصًا دقيقًا. بعد ذلك طلبتُ الفحوصات الأساسية ثم شرعتُ في تشكيل الفريق الطبي والجراحي الذي سيتعامل مع هذه الحالة، وضم الفريق تخصصات: جراحة الأطفال والتخدير، والعناية المركزة، وجراحة المسالك البولية، وجراحة العظام، وجراحة التجميل، والتمريض، والتأهيل الطبي، والفنيين وممرضات غرفة العمليات، وفي أول اجتماع لنا شرحتُ لهم حالة التوأم ووضعه الصحي الحرج المتمثِّل في انسداد الأمعاء بسبب عدم تخلُّق فتحة الشرج، وبيَّنت لهم حاجته إلى إجراءات مستعجلة وتخطيط للمستقبل، وبعد دراسة الفحوصات الأولية اتضح لنا وجود اشتراك في الكلى والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة وانسداد فتحة الشرج كما أشرنا، مع اشتراك في المسالك البولية والجهاز التناسلي، إضافة إلى طرف سفلي واحد لكل توأم وثالث مشترك ومشوه وصغير لا يكفي لتغطية الفراغ في الجسد. وقادنا انسداد الأمعاء إلى اتخاذ قرار جماعي بضرورة إجراء عملية مستعجلة لعمل فتح في البطن وإيجاد فتحة مؤقتة للفضلات.

شرحت كل ذلك لوالد التوأم، وبعد اطِّلاعه على كل أبعاد المشكلة وتعقيداتها؛ سألني: لماذا لا تُجرى عملية الفصل متزامنة مع العملية المستعجلة وقاية للتوأم من الخضوع لعمليتين منفصلتين أو اكثر؟ وهو سؤال مقبول ومعقول بالطبع، فوجدتُ لزاما عليَّ أن أشرح له عدم إمكانية ذلك من الناحية الجراحية، لأن العملية المستعجلة محاطة بمشكلات كثيرة، ونسبة نجاحها ضئيلة جدًا؛ خصوصًا وأن عمر التوأم صغير وكذلك وزنه، ثم بيَّنتُ له المخاطر والمشكلات المصاحبة لذلك، ورغم هذا فقد ألحَّ عليَّ كثيرًا في بحث ودراسة إمكانية الفصل متلازمة مع العملية المستعجلة، ولكن بعد استيعابه لما أبدينا له من المخاطر المصاحبة التي قد تودي بحياة لتوأم. وتم الإتفاق مع الفريق الطبي على عملية فتح البطن وعملية الفتح الأخرى لتفريغ الأمعاء. وقد أُجريت العملية المستعجلة خلال ساعة واحدة، وعاد التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، حيث خضع لنظام تغذية عن طريق الفم والأنبوب. وعقب ذلك شرعنا في وضع خطة للمستقبل استُهلت باجتماع ناقشنا فيه هذه الحالة وتفاصيلها، وإمكانية الفصل، وقررنا إجراء فحوصات عديدة. ولكن كانت هناك قضية تشغلنا واستغرق نقاشها زمنًا طويلاً؛ وهي عدم

أثناء العملية

بعد العملية مباشرة

وجود جلد كاف لتغطية فراغ البطن، وخلصنا إلى اقتراح بتركيب بالونات تحت الجلد لتمديده على أن تنفخ يومياً لعدة أسابيع لعل الجلدَ يرتخي ويساعد على الاستفادة منه في تغطية الفراغ المشار إليه بعد الفصل. اتفقنا على ذلك، ورأينا إجراء مزيد من الفحوصات، ثم النظر في إجراء العملية بعد عدة أسابيع .. وبالفعل اكتمل تركيب الممددات (البالونات) غير أن مواقعها في الجسد تعرضت لالتهابات أجبرتنا على إزالتها، وشكل ذلك تحدياً آخر لنا نظرًا لعدم وجود جلد وعضلات كافية، إضافة إلى المشكلات التي تواجه التوأم بسبب وجود عيوب خلقية في القلب وقصور في الأمعاء الغليظة..

٦٠٪ نسبة النجاح

توالت اجتماعاتنا لمزيد من الدراسة للحالات والتي كشفت لنا إمكانية الفصل بنسبة نجاح لا تتعدى ٦٠٪، وأن التوأم يحتاج إلى عملية تأهيل وتغذية ليصل وزنهما سوياً إلى حوالي ٨ كيلوغرامات، استغرقت عمليتا التأهيل والتغذية حوالي خمسة أشهر، وهذه المدة لم تخل تماماً من مشكلات والتهابات في المسالك البولية مما اضطرنا إلى استخدام بعض الأدوية والمصلات الحيوية لعلاج التوأم الذي عانى كذلك من مشكلات في الجهاز التنفسي والأمعاء، وبالطبع كان فريق العناية المركزة متميزًا في علاجها. وبما أن العناية كانت فائقة؛ فقد حالفنا التوفيق ولله الحمد للوصول بالتوأم إلى الوزن المناسب، وعلى إثر ذلك عقدنا اجتماعًا للتشاور حول إجراء العملية خلال أسبوعين، أي في يوم السبت ٢٢ ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٥م رغم التحدي الذي أشرنا إليه بعدم وجود جلد وعضلات كافية، كما أثار أطباء التخدير مشكلة عيوب القلب التي تحتاج إلى دقة وعناية حتى لا يفقد التوأم حياته أثناء العملية الطويلة. أعددنا خطة جراحية محكمة مع التركيز على توفير الأجهزة والمعدات المطلوبة كافة بعد أن اكتسبنا خبرة من العمليات السابقة.. وقررنا تطبيق الخطة الجراحية على عشر مراحل، وتوقعنا أن تستغرق مدتها حوالي ثماني عشرة ساعة، واتفقنا كذلك على إجراء عملية وهمية تجريبية قبل العملية الأساسية بيومين أي بتاريخ ٢٠ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٠أبريل ١٩٩٥م.. وبدأناها في الساعة الرابعة عصراً باسم الله، بحضور جميع أعضاء الفريق الجراحي وناقشنا الخطة الجراحية المكتوبة، وأحضرنا التوأم الإناث، وراجعنا مكان الفصل، وناقشنا مراحل التخدير، وعقب ذلك استدعينا والد التوأم وشرحنا له ماسبق بالتفصيل وحصلنا على موافقته.. كان قلقًا ومضطرباً، وهذه أحاسيس طبيعية تلازم أي والد وأم لا سيما مع اقتراب موعد العملية، وقد حاول حجبها وإخفاءها بتقديم الشكر للفريق الجراحي وتجديد ثقته فيه، ثم أعلن موافقته على كافة الإجراءات وأتبعها بالتوقيع على إجراء العملية. حاولنا تخفيف الضغط عليه من خلال المداعبة، إذ قال له أحد أعضاء الفريق لماذا لا تشاركنا وتجري العملية بدلاً منا، فابتسم وردد: (فيكم الخير والبركة).

أحلام في المنام حول العملية

تقرر إجراء العملية في الساعة السابعة والنصف من صباح يوم السبت ٢٢ ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٩٥م، وفي الليلة السابقة لها عاودني القلق، رغم أن جميع أفراد أسرتي كانت تغمرهم الثقة في إمكانية نجاحنا، أعدّت لي زوجتي عشاءً خفيفًا

obeikandl.com

التوأم عند خروجهما من المستشفى

سمر وسجرمع التوأم السوداني سماح وهبة

ناولته في جلسة مع الأسرة، وتخللت جلستنا الأسرية تلك بعض الدعابات اللطيفة ونحن نتحدث عن العملية ومؤشرات نجاحها، احتمالات مخاطر نتائجها، غادرت مجلس الأسرة إلى غرفة النوم لعل النعاس يُداعب أجفاني وأحظى بقسط من النوم؛ ولكنه ستعصى عليَّ، وأبى، وتمنَّع؛ لأني كنت دائم التفكير في العملية باعتبارها من العمليات الكبيرة، وماجت مخيلتي بتفاصيلها حتى لدقيقة منها، وبالطبع كان هذا الانشغال سببًا في انتقال العملية إلى اللاشعور، إلى أحلامي في المنام التي صاحبتها حركة فعلية كأني أجري العملية حيَّة وأتحدث إلى أعضاء الفريق الطبي، وكان هذا كفيلاً بإقلاق نوم زوجتي وإزعاجها. وبعد عراك مع النوم تمكَّنت من اقتناصه، فخلدتُ حتى أذان الفجر، ثم نهضتُ وتوضأت وصليت ركعتين اتجهت بعدهما إلى المسجد لأداء الفريضة، عدتُ إلى المنزل وتناولتُ إفطارًا خفيفًا ثم غادرته مع إشراقة الشمس مُتَّجهًا إلى المستشفى سيرًا على الأقدام، وطوال المشوار كنت أستعرض وأراجع مراحل العملية، وفي الساعة السابعة كنت عند باب غرفة العمليات حيث وجدت زملائي أعضاء فريق التخدير وكادر التمريض، ثم توالى وصول أعضاء الفريق الطبي إلى أن اكتمل عِقْدُنا داخل غرفة الأطباء بجناح العمليات. وفي الساعة السابعة والربع صباحاً نُقل التوأم إلى غرفة التجهيز، وعلى مدخلها استقبلتُ والدي التوأم واستطلعتهما للمرة الأخيرة مؤكدًا لهما استعدادنا لاستقبال أي ملحوظات أو استفسارات حول العملية التي ستبدأ مراحلها بعد لحظات، لم ينبسا بكلمة؛ بل تحدَّرت دموعهما غزيرة على محجريهما وهما يكفكفانها بصعوبة، وبعد حوالي دقائق خمس أكبَّا على التوأم يبثانهما قبلات حارة ومتتابعة قبل نقلهما إلى غرفة العمليات.

بدأت مراحل العملية وفق الخطة الموضوعة بتخدير كل طفلة على حدة، وتلت ذلك مرحلة إدخال القساطر والتعقيم، وبعد نحو ثلاث ساعات شرعنا في العملية، فواجهتنا بعض المشكلات المتعلقة بتغطية فراغ الجلد ممَّا اضطرنا إلى شدِّه شدًا متوسطًا، مع استخدام بعض العضلات من الأطراف السفلية للغرض نفسه. واكتملت مراحل العملية بعد حوالي سبع ساعات ونصف الساعة بنجاح ولله الحمد، وبعد التقاط الصور الجماعية للفريق الجراحي، خرجنا لنجد الأب والأم عند باب غرفة العمليات يستقبلوننا بعدق حار وابتسامات، ولم يستطيعا مداراة دموعهما المنسكبة بغزارة، فاصطحبناهما مع بنتيهما إلى غرفة العناية المركزة حيث سيمكثان بها حوالي ستة أسابيع، واجهتا أثناءها التهابات في الجرح بالصدر، وأمكن التغلب على هذه المصاعب بتوفيق الله سبحانه وتعالي وبخبرة الفريق الطبي إلى أن غادرتا العناية المركزة إلى جناح الأطفال (أ٢)، وبعد حوالي أربعة أشهر استقرت حالتهما فخرجتا من المستشفى بصحة وعافية ولله الحمد.

obeikandl.com

obeikandl.com

رأسان في جسد واحد

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م

obelikan.com

رأسان في جسد واحد

١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م

بدأت أحداث هذه القصة في مكة المكرمة حيث كانت المفاجأة الكبرى أثناء ولادة متعثرة فرضت على الفريق الطبي إجراء عملية قيصرية سريعة نتج عنها ما لم يتوقعه الجميع، شعر الأطباء بصدمة لما رأوا طفلاً غريبًا بجسد واحد ورأسين ووجهين بحواسهما كافة.

أذهلت المفاجأة أعضاء الفريق الطبي، ربما لأنها الحالة الأولى التي يرونها طوال تجربتهم المهنية ولم يسمعوا بمثلها، كان هذا حال الأطباء بعد الولادة، فكيف بالوالدين المتلهفين إلى ولادة سعيدة ومولود يفرحهما.

وبعد أن أفاقت الأم واطمأن الأطباء على صحتها، بادروا إلى إحاطتها وزوجها بهذا الخبر المفاجئ، مما أدَّى إلى شحوب وجه الأب وبكاء الأم بصورة متصلة.. ومن حينها بدأ الفريق الطبي في البحث عن مركز له رصيد من الخبرة وقدرة على التعامل مع هذه الحالة النادرة جداً، وبالفعل تسنى لهم الاتصال بمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض، وتشرَّفت الأسرة بتوجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد آنذاك) -حفظه الله- بقبول الحالة وسرعة نقلها عن طريق الإخلاء الطبي الجوي، وتشكَّل على الفور فريق طبي من جراحة الأعصاب وجراحة الأطفال والتخدير والتمريض وغيرهم من المختصين، وبعد دراسة مستفيضة للحالة؛ اتَّضح أنها نادرة جداً وصعبة جداً، والاشتراك يشمل أغشية وأوردة المخ، وأن نسبة نجاح العملية بسيطة ولكن لا بد من إجرائها.. وبالفعل أجريت العملية الجراحية، وتبيَّن أثناء العملية أن الفصل غير ممكن جراحياً، ولذا لم يعش التوأم حسب القرار الطبي الجماعي.

obeikandl.com

٦

رحلة معاناة وألم

شعبان ١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٨م

obeikandl.com

رحلة معاناة وألم

شعبان ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م

طفل بدلاً من المشيمة

حياة هانئة وسعيدة عاشها عبد الله وزوجته في مدينة الليث التي تطل على البحر الأحمر بالجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية حيث كانا يعملان في سلك التعليم، والليث من المدن الصغيرة الجميلة التي تشتهر بثرواتها السمكية، لذلك فإن كثيراً من سكانها يحترفون صيد الأسماك. كان عبد الله مدرسًا مؤمنًا برسالته التربوية والتعليمية، مجداً في عمله، مخلصًا لتلاميذه، متعاونًا مع زملائه، صادقًا مع إدارته، وبجانب كل ذلك كان محباً لزوجته ومتفانيًا في خدمة بيته. وتتركز آماله وطموحاته على تحقيق مساهمة فاعلة في بناء جيل واعد لخدمة وطنه ودينه. وكثيرًا ما ابتهل إلى الله وأخلص الدعاء إليه سبحانه وتعالى أن يمنحه ولدًا يحمل اسمه ويشكل امتدادًا له في المستقبل ولصيت أسرته كلها، حملت زوجته وفرح فرحًا شديدًا، ونقل البشرى لوالديه اللذيْن سرَّهما وأسعدهما الخبر، وكان يعدُّ الساعات بالليل والنهار ويستعجل الزمن للحظات الولادة، ويَشرُد أحيانًا مُحلِّقًا مع أحلامه متخيِّلاً الرضيع بين يديه يلاعبه ويناغيه، ملأت الفرحة جوانح الأم بطفلها القادم الذي سوف يضيف سعادة جديدة إلى سعادتها مع زوجها، لم تتضاءل مساحة هذه الأحاسيس مع مرور الأيام رغم مصاعب الحمل والوحم والتعب، وكلما ازداد فرحها ازداد ألمها معه. وفي المراحل الأخيرة من الحمل ارتفعت معاناتها بسبب افتقار المركز الطبي الذي تراجع فيه لإمكانات التشخيص الدقيق، وبالفعل كانت الأسابيع الخمسة الأخيرة من الحمل مؤلمة جدًا، وتشوبها نوبات من التعب والإرهاق الشديد مما اضطرها إلى البقاء في السرير معظم أوقاتها والخلود إلى الراحة، لم يبتعد عنها زوجها أو يتغافل عنها، بل ظل قريباً منها يراعي مشاعرها ويُخفِّف عنها، لأنه كان متفهمًا لمثل هذه الأعراض وتبعاتها، واضطرتها مشكلات الحمل إلى الانقطاع عن عملها عدة أيام، لم يخطر ببالها على الإطلاق أن ترزق بتوأم، فضلاً عن أن يكون سيامياً. وبعد أن غشيتها نوبات المخاض، نقلها عبد الله إلى المستشفى الصغير بمدينة الليث، وظهرت عليها علامات ولادة طبيعية بإشراف إحدى الطبيبات، وبالفعل خرج الطفل الأول بعد مخاض مؤلم وكان ولدًا، إلا أن الدهشة الكبيرة التي ألجمت الفريق الطبي خروج رجل ثالثة بدلاً من المشيمة، مع وجود صعوبة في خروج بقية الجسم نظرًا لقلة الخبرة الطبية في هذا المستشفى، واصل الفريق الطبي عملية سحب الطفل متصورين أن هذه هي المشيمة، ومع استمرار السَّحب وازدياد قوته فوجئوا بعد هنيهة بخروج طفل آخر ملتصق مع تمزق في المجرى التناسلي، وبتعرض الأم لنزيف شديد، وازدادت دهشة الفريق الطبي، ووجد نفسه أمام أمرين كلاهما مرّ، أولهما العناية بتوأم في حالة حرجة، وثانيهما العناية بالأم التي سبب لها دفق النزيف هبوطاً في الضغط. صرخت الطبيبة وأطلقت صيحة استغاثة تستنفر بها أطباء الأطفال لمساعدتها، وبالفعل انضم إليها أحدهم وركز جهوده على الاهتمام بالتوأم؛ بينما انشغلت هي بتعويض الأم عمَّا فقدته من دم جراء النزيف قبل أن يستفحل وضعها وترتفع درجة الخطورة عليها.

حسن وحسين بعد الولادة

حسن وحسين قبل العملة

عبدالله أسير لقلق كبير

كل ذلك وعبد الله ينتظر في الخارج وأذنه على باب غرفة الولادة لالتقاط أولى صرخات وليده، ويترقَّب إطلالة الممرضة لتبشره وتهنئه، ولكن طال الوقوف وكاد الانتظار يقتله، هواجس وظنون سالبة تغالبه، نفسه تحدثه بتوقع الأسوأ، دبَّ القلق في جوانحه، وسرى في داخله إحساس رهيب بالخوف من القادم، وأصبح يسأل كل من تقع عليه عيناه من لابسي الزي الأبيض دون أن يتلقى أي إجابة. ثم لاحظ وجود حركة سريعة من وإلى غرفة الولادة، وأيادي تحمل كميات من قوارير الدم.. تمدد القلق في داخله وسيطر عليه تمامًا، توالت أسئلته وتتابعت؛ ولكن لا أحد يأبه له، الجميع مشغولون عنه بمشكلة أكبر!! خرج طبيب الأطفال فأسرع نحوه مستفهمًا، فطلب منه أن يستريح ويهدأ، ولكن لم يهدأ روعه ولم يسترح؛ بل تناثرت النداءات من فمه وهو يكاد يصرخ: أخبرني، أخبرني، أخبرني كيف حال زوجتي؟ فأجابه: إنها بخير إن شاء الله.. ثم أردف سؤاله بسؤال آخر: وماذا عن الحمل والولادة؟ فطلب منه الطبيب أن يرخي أعصابه ويستريح، غير أن هذا الطلب بدا له غريبًا وضاعف من ضربات قلبه، ورفع وتيرة حيرته وانزعاجه، ودون أن يشعر ذرفت عيناه دمعات حرَّى سالت على خديه لتبلل أعلى طرف ثوبه، ولمَّا أخبره الطبيب بأنه رزق بتوأم تخلَّلت دموعه ابتسامة ارتسمت على ثغره؛ غير أنها لم تتسع ولم يتعمَّق أثرها حين أكمل الطبيب بقية الجملة: ولكن للأسف فإن هذا التوأم سيامي!! لم يصب بالوجوم أو الدهشة لأول وهلة؛ لأنه كان يجهل معني كلمة (سيامي)! فسأل الطبيب على الفور: ماذا تقصد بسيامي؟ فبيَّن له مدلول المفردة، وقال له إن التوأم ملتصق في الجسد! لم يصدق عبد الله رواية الطبيب لأنه لم يسمع بمثل ذلك من قبل، ولم تمر عليه حالة شبيهة لهذه حتى في قصص الخيال.. وبعد ذلك حاول الإلمام بتفاصيل الحالة واستيعاب مدلولاتها، فقال له الطبيب ستبدو لك الصورة جليَّة حين ترى الأطفال بعد قليل. ثم سأله عن زوجته فأكد له معاناتها من نزيف مستمر بسبب حجم التوأم ومشكلة الولادة، فاستبد به القلق، تبدَّد حلمه، الطفل الذي كان يترقَّبه وتتوق نفسه إليه ليملأ منزله سعادة؛ رزق به ملتصقًا مع أخ له!! لم يتمالك نفسه، وحين عجز عن السيطرة على عواطفه أجهش بالبكاء..

تداعيات وجدانية

كم هي صعبة وعصية دموع الرجال إلا في مثل هذه المواقف الوجدانية الشفيفة. تقاطرت دموعه بغزارة، حاول الطبيب التخفيف عنه، فقال له عبد الله: دعني.. فأنا مشدود الآن إلى زوجتي وأطفالي، وما أدري ما قد يحدث بعد الآن، فالطفلان يحتاجان بعد الله إلى عناية كبيرة، ودماء زوجتي تتدفق خارج جسدها وأخشى أن أفقدها وأنا لن أقوى على فراقها.. أرجوك. أرجوك أن تساعدها، وأن تطلب من جميع الأطباء بذل كل ما في وسعهم لإنقاذها وإنقاذ طفليَّ. وبعد نصف ساعة سمح الطبيب ليرى توأمه، وما أن رآهما حتى استأنفت عيناه إدرار الدمع من جديد، موقف صعب وحالة صعبة، الأطفال تحت الأوكسجين والمراقبة الشديدة، فهناك التصاق في أسفل الجسد والبطن والحوض، وهناك طرف لكل طفل وطرف ثالث مشترك ومشوه. ظل عبد الله واجمًا وصامتًا للحظة، واكتفى بمسح الدموع من على جبينه، ثم جلس على أقرب مقعد له واضعًا رأسه بين يديه يستعرض ملابسات هذه المحنة، ويفكر في هذه المعضلة وكيفية حلِّها وتجاوزها. وقبل أن تلفُّه الأحزان بردائها الأسود؛ ألهمه

بداية التخدير

مرحلة التعقيم

يمانه التحلّي بالصبر والثبات وعدم الجزع، والاستسلام لمشيئة الله جل وعلا، وفي تلك اللحظة غشيه إحساس بالطمأنينة، فكان ُرضا بما أراد الله سبحانه وتعالى سلوته في ذلك الموقف المشحون بالانفعالات.. وقال لنفسه ربما كان هذا التوأم سبباً في سعادة قيه لا يعلمها إلا الخالق تبارك وتعالى.

لا شك أن من الصعب على أي إنسان تخيُّل مثل هذا الموقف المؤلم وأبعاد المشكلة التي يعاني منها والد التوأم، مضت نصف ساعة وهو على تلك الحال من الألم والبكاء والتفكير، وبقي أسير موقف حائر ومربك، فالزوجة لم تبرح منطقة الخطورة وكذلك ُتوأم. ارتسمت مجموعة من علامات الاستفهام في مخيلته بينما كان خاطرُه موزعاً ومعلقاً بين الزوجة والطفلين: هل يبادر إلى نقاذ ابنيه؟ أم يبقى مع زوجته حتى تجتاز الحالة التي تعاني منها الآن؟ وعندما نظر إلى عيني ابنيه (حسن وحسين) استجاشت ي داخله عاطفة الأبوة لأول مرة تُحفِّزه على بذل أقصى ما في وسعه لإنقاذهما، ولذلك طلب أن يصاحبهما في سيارة الإسعاف ُتي ستنقلهما إلى أي مستشفى في مدينة أخرى يكون أكثر خبرة وإمكانات، وقبل أن يخرج استأذن لرؤية زوجته، وكان لقاؤهما حاراً ورقيقاً، دمعت عيناهما سوياً، وطمأنها بألا تخاف ولا تقلق طالما كانت القلوب عامرة باليقين ومستيقنة معيَّة الله جل وعلا.. كان قلبُ الأم رغم معاناتها وحالتها الحرجة معلقاً بطفليهما، فألحَّت عليه بالرجاء أن يصحبهما في رحلتهما ولا ينشغل بها لأنها ستكون في حفظ الله جل وعلا، كما هي الآن محلَّ رعاية الأطباء وعنايتهم، آثرت ابنيها على نفسها غير آبهة بنزيف الدم الذي يتهك قواها وجسدها.. فاضت دموعهما معًا وهو يودِّعها لصحبة التوأم.

هواجس في سيارة الإسعاف

تحدث عبد الله بلسانه عن رحلة (المعاناة والألم)، رواها بنفسه وبتفاصيلها كاملة، لم أقاطعه وهو مسترسل في قصته، وما نت أملك غير ذلك، فقد كان يهمني كثيرًا الوقوف على الحقيقة منطلقة مباشرة من لسان صاحبها، فهذا بحكم المهنة مدخل هم للتشخيص. أطرق قليلاً ثم صرف بصره عني وأرسله عبر النافذة وكأنه يستمد تفاصيل معاناة رحلته من الخارج، ثم تابع كمال الوصف الدقيق لهذه الرحلة المضنية.... يقول عبد الله: اتخذت مقعدي في الإسعاف بصحبة ممرضة، والطفلان تحت الأوكسجين الخارجي، ولا يطرق سمعي طوال الرحلة سوى بكاء الطفلين الذي يشعرني بأنهما ما زالا على قيد الحياة، وصوت الأوكسجين الذي يطمأنني بأن الأسطوانة مازالت تؤدي مهمتها في تزويد التوأم بالأوكسجين، وكانت الممرضة تراقب هذه العملية وتهتم بالمغذي الذي أُودِع جسدهما عبر أحد أوردة كل منهما، لم تكن الرحلة سهلة في سيارة الإسعاف التي كانت تطوي الطريق بسرعة فائقة، ومع ذلك كنت أستزيد قائدها وأستحثه على مزيد من السرعة؛ إلا أنه كان مُقيَّدًا بحدٍّ نهائيّ ما كان من الممكن تجاوزه.. لم يغب حال زوجتي عن خاطري طوال الرحلة، وتراودني بين هنيهة وأخرى هواجس واستفسارات حول حالتها هل ازدادت سوءًا. أم خفت حدَّة معاناتها؟ وهل هي منشغلة بالتفكير في طفليها غير آبهة بوضعها الخطير؟ وتتابعت الهواجس.. من يعتني بالأبناء إذا قدَّر الله لها ما لا نرجوه؟ من يعوضني عمَّا كانت تحوطني به من حنان ومودة وسعادة؟ ومن أحاديث ومناجاة

مرحلة التخدير

أثناء العملية

ومواساة عند الألم والمشقة؟ ثم عاد إليَّ التفكير في مستقبل ابنيَّ، وماذا يخبئ لهما الغد؟ وهل يكتب الله لهما الحياة، وإذا أمدَّ سبحانه وتعالى في عمريهما؛ هل تلازمهما إعاقة دائمة؟ وتتابعت الأسئلة الحائرة كدفق المطر، ولم يوقفها إلا انحدار الدموع التي تتدفق بعد كل لحظة وأخرى.

وصلنا إلى مدينة كبيرة، وطرقنا باب أول مستشفى، فلما اطَّلع الأطباءُ على الحالة أبدوا اعتذارهم بأن إمكانات المستشفى دون القدرة على استقبالها وعلاجها نظرًا لأنها صعبة ومعقدة وبالتالي لا يمكن تقديم الخدمة المبتغاة.. أفقدني ردُّهم الأمل، ولم أجد تعبيرًا عن استيائي وضيقي سوى مجاملتهم بعبارات شكر مقتضبة، ثم غادرنا إلى مستشفى آخر، وفي الطريق لاحظت ثمة قلق وشحوب على وجه الممرضة، فسألتها عن أسباب انزعاجها؟ فأجابت بعد تردد بأن أسطوانة الأوكسجين على وشك النفاد، ولا بد من الحصول على أخرى بديلة على عجل؛ وإلا فإن التوأم سيعاني بعض المشكلات التي قد تؤدي إلى الوفاة، تضاعف الهمُّ، وخاطبت قائد الإسعاف لمضاعفة السرعة وكأني في سباق مع الزمن، ظروف عصيبة ومواقف مريرة، فطفلاي الآن على حدٍّ فاصل بين الحياة والموت إن لم نصل إلى مستشفى يزودهما بالأوكسجين، وزوجتي تقاسي آلامًا مبرحة ولا أعلم ما يحلُّ بها الآن..!! عبرنا باب الطوارئ في مستشفى آخر أكبر؛ ولكن لم يكن الاستقبال بأفضل من سابقه، وكان الاعتذار والتبريرات نفسها وكأن أطفالنا من كوكب آخر، أو أشباحًا مخيفة ومرعبة لا يمكن التعامل معها!! توسَّلت إلى مسؤولي الطوارئ تغيير أسطوانة الأوكسجين، تردّدوا كثيرًا مشيرين إلى أن نظام العهدة يتطلب توقيع المتعامل مع الأجهزة الطبية على إقرار بمسؤوليته عن إعادتها، وبعد محاولات مستمرة مع عدة أشخاص انبرى أحد أصحاب النخوة وأعلن تحمُّل مسؤولية ذلك، فوعدته بإرجاعها فور إعلان أي مستشفى عدم ممانعته في استقبال ابنيَّ. طرقتُ أبواب مستشفى ثالث في هذه المدينة ولكنه لم يكن بأفضل من سابقيه، غير أني صادفت ممرضة من جنسية غير عربية تتمتع بنخوة وهمَّة عالية فأرشدتني إلى مستشفى في مدينة أخرى قريبة قد يتوافر فيها حلٌّ لمشكلة الطفلين.. لم تكتف بذلك؛ بل اتصلت هاتفيًّا على الفور بأحد الأطباء هناك نشرح له الحالة وتطلب منه مساعدتنا.

أسئلة بلا إجابات

استقبلنا لحظة وصولنا إلى المستشفى المعني الطبيب الذي تحدثت إليه الممرضة، وأعرب عن موافقة المستشفى على التعامل مع الحالة مؤقتًا، استبشرت باستقبالنا في مستشفى بمكة المكرمة.. هذه المدينة الطاهرة، وغمرني الأمل بأنها ستكون بداية الخير لحسن وحسين. أخضع الطبيب التوأم إلى الفحص وهما داخل سيارة الإسعاف، ثم نقلهما في حضَّانة إلى قسم الحضانة بالمستشفى.. كنت مهمومًا لحظة استدارة سيارة الإسعاف استعدادًا للمغادرة وفيها أسطوانة الأوكسجين العهدة، فطلبت من قائدها أن يردَّها إلى أصحابها، ثم ودَّعته والممرضة المرافقة قبل أن ينطلقا في طريق عودتهما إلى مدينة الليث.. وما أن نُقل التوأم إلى قسم الحضانة حتى شعرتُ ببعض الراحة لأن العناية كانت أفضل والاهتمام أكبر.. ومن ثم بدأت أطرح على الطبيب مجموعة من الأسئلة؛ ولكن لم تكن لديه أي إجابات، فهو طبيب أطفال ولكنه غير مختص، وليس لديه علم بمثل هذه الحالات.. وبعد مدة ساعدني في الاطمئنان على صحة زوجتي بمستشفى مدينة الليث بعد أن تحدث إلى الأطباء هناك وأكدوا له استقرار الحالة توقف النزيف

إقفال الجرح

الفريق الجراحي اثناء العملية

هي في العناية المركزة.. تنفَّستُ الصعداء واتجهت إلى مصلى المستشفى لأداء ركعتي شكر لله جل وعلا، ثم دعوتُه سبحانه تعالى أن يفرج كربة حسن وحسين. تعاطف الطبيب مع الحالة وبدأ يبحث عن وسيلة لمساعدة الطفلين، قادته جهوده إلى الاتصال بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وتحدث مع الدكتور عبدالله الربيعة شارحًا ملابسات الحالة، ولما علم بتفاصيلها طلب منه إرسال تقارير وصور عنها، فأرسلت بالفعل على وجه السرعة.. وتوِّجت هذه الرحلة بعد مدة وجيزة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي كان وليًّا للعهد آنذاك بنقل التوأم بطائرة الإخلاء الطبي إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية حيث الإمكانات والخبرة الطبية اللازمة والقادرة على التعامل مع هذه الحالة. وقع هذا الخبر على نفسي بردًا وسلامًا، إنها بشرى عظيمة حمدت الله سبحانه وتعالى عليها، واغرورقت عيناي بدموع الفرح، ثم شكرتُ لله عز وجل على كرمه ومنِّه، وسألتُه ثوابَ كلِّ من ساعدني في هذا المشوار المحفوف بالقلق والخوف والهمِّ، وأخلصت الدعاء لخادم الحرمين الشريفين على هذه اللفتة الإنسانية الكريمة وعلى اهتمامه بالطفلين. وبعد ذلك نُقل التوأم بواسطة طائرة الإخلاء الطبي، وفي اليوم التالي استقبلنا بالمطار فريق طبيٌّ من مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض بسيارة إسعاف مجهزة بالكامل وتقلتنا إلى المستشفى، وكانت تلك بداية مرحلة جديدة.. إلى هنا تكتمل قصة الأخ عبد الله كما رواها بلسانه، لم أملَّ إسهابه فيها وكل تفاصيلها وتفريعاتها؛ بل أنصتُّ إليه بكل حواسي، فأنا طبيب يدرك أهمية معرفة الحالة وتاريخها وتداعياتها وانعكاساتها..

التوأم حسين.. حالة حرجة

حرصتُ على استقبال التوأم بقسم العناية المركزة للأطفال الخُدَّج، وتمثلت أولى خطواتي في فحصه فحصًا دقيقًا بالاشتراك مع أحد الاستشاريين، وأتبعنا ذلك بعمل بعض الفحوصات الأساسية.. ومع اكتمال الفحوصات صحبتُ والد التوأم إلى غرفة مستقلة حيث تحدثنا إليه وأطلعناه على نتائج الفحوصات التي أكدت أن حسن وحسين طفلان سياميان ملتصقان في منطقة البطن والحوض، مع وجود طرف سفلي واحد لكل منهما، وطرف ثالث مشترك بينهما، وأن حالة حسين حرجة نظرًا لمعاناته من مشكلات في القلب ستعمل على تشخيصها، وذلك بالإضافة إلى انسداد في فتحة الشرج تتطلب تدخُّلاً جراحياً، ثم أخبرته أننا نحتاج إلى فحوصات طبية أخرى مستعجلة وربما يستدعي الأمر إجراء جراحة لفك انسداد الأمعاء بسبب عدم تخلُّق فتحة الشرج، كما تتطلب مشكلات القلب لدى حسين تشخيصًا دقيقًا لتحديد وضع كل منهما. كان عبد الله متفهمًا وموقنًا بما يشاء الله، فقال يخاطبنا متوكلاً عليه سبحانه وتعالى إن الطفلين من أبنائكم وأنتم أهلهم فافعلوا ما ترونه مناسبًا لحياتهما.. ثم سألته عن زوجته فأخبرني بوضعها، فبادرت إلى الاتصال بالمستشفى المعني ليتيح له فرصة الحديث معها، وبالفعل تحدث إليها واطمأن على استقرار حالتها، وإمكانية مغادرتها لغرفة العناية المركزة وللمستشفى خلال يوم أو يومين، دمعت عيناه من الفرح، وشكر الله سبحانه وتعالى ثم استأذننا في استعجال توقيعه على العملية المستعجلة حتى يتمكن من السفر لإحضار زوجته إلى الرياض، فوافقت على ذلك وطلبت منه العودة بسرعة حتى نتمكن من إطلاعه على نتائج الفحوصات، ومن ثم فقد تولى قسم الخدمة الاجتماعية وعلاقات المرضى مساعدته فيما يتعلق بتسهيل إجراءات رحلته.

بعد الإفاقة

حسين

كانت كل تلك الخدمات من الواجبات التي وُجِّه بها المستشفى للتعامل مع الحالة، وفي اليوم التالي مباشرة لاستقبال التوأم عمدنا إلى تشكيل الفريق الطبي لدراسة الحالة ولمراجعة الفحوصات السريعة التي أجريت، وضم الفريق أطباء من العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة والتخدير وجراحة الأطفال وجراحة المسالك البولية والتجميل والعظام والتمريض وفنيي التخدير والتمريض من غرفة العمليات. ووضح للاجتماع الذي عقده الفريق أن التوأم مشترك في أسفل البطن والحوض، ولكل منهما طرف سفلي واحد، ويشتركان في طرف ثالث مشوه إضافة إلى انسداد في فتحة الشرج. وكشفت الفحوصات الداخلية وجود اشتراك بسيط في الكبد، واشتراك في الأمعاء الغليظة والجهازين التناسلي والبولي، ومن النتائج التي أقلقت الفريق الطبي كثيراً معاناة التوأم حسين من مشكلة كبيرة في القلب تتمثل في وجود عيوب خلقية صعبة جداً تعيق الحياة وقد تتطلب زراعة قلب كي يعيش مستقبلاً، وخلصت مناقشاتنا إلى ضرورة إجراء عملية مستعجلة لعمل فتحة شرج مؤقتة كي يتمكن الطفلان من تناول الطعام مما يساعدهما في زيادة وزنهما لتحمل العملية الأساسية. بعد تجهيز التوأم في اليوم التالي نُقلا إلى غرفة العمليات، وأجريت لهما عملية فتحة مؤقتة لتصريف الفضلات في جدار البطن استغرقت مدتها ساعة واحدة، وحدِّدت هذه العملية بالاتفاق حتى لا تؤثر على العملية المستقبلية، وبعدها نقلا إلى غرفة العناية المركزة لحديثي الولادة لمتابعة حالتهما. اجتمع الفريق الطبي مرة أخرى بمشاركة الزملاء من قسم القلب للأطفال وتناقش الجميع طويلاً حول وضع قلب حسين وعدم قدرته على تحمل العملية بوضعه الحالي، وبناءً على ذلك اقترح بعض أطباء القلب إجراء عملية إسعافية لتوصيل الشريان الرئوي لحسين بالشريان المتجه إلى اليد اليسرى لكي يخفف الضغط على القلب، ويخفف كذلك مشكلة نقص الأوكسجين لديه. كما تناقشنا حول سلامة وأمن عملية الفصل، فذهب بعضنا إلى عدم إجراء عملية الفصل مستقبلاً، بينما رأى آخرون ضرورة إجرائها لإنقاذ التوأم لأنهما لن يستطيعا الحياة مع وجود مشكلات كبيرة في قلب حسين، ثم استقر الرأي على إجراء عملية تحويل للدم الرئوي لحسين على أن يعقب ذلك اجتماع آخر إذا تحقق النجاح للعملية.

يبكيان وأنا أشرح

وصل عبد الله مع زوجته، واستقبلتُهما في مكتبي وشرحتُ لهما المصاعب التي يعاني منها حسين، وتعقيدات الاتصال، ثم أطلعتُهما على مجمل ما توصل إليه الفريق الطبي، وبينما أنا مستمر في الشرح لم تستطع الأم مقاومة دموعها المنهمرة بغزارة والتي أثارت بدورها دموع الزوج. بذلت جهدي في تقليل حدة القلق والخوف لديهما، فطلبا مني مضاعفة الجهد من أجل إنقاذ حياة التوأم، وأطلعتهما على مشكلة قلب حسين التي ربما تعيق حياته، وأخبرتهما بما ذهب إليه أطباء القلب من أنه ربما يحتاج إلى زراعة قلب وهذه غير واردة في التوائم السيامية، وأعلمتهما بأن هناك عملية تخفيفية أو تلطيفية ستجرى خلال الأسبوعين القادمين، فأعلنا موافقتهما عليها. وقبل أن يغادرا مكتبي طلبت من قسم علاقات المرضى والخدمة الاجتماعية تأمين سكن لهما وتوفير ما يحتاجان إليه. وبعد أسبوعين أجرى الفريق الجراحي عملية تحويل لدم رئوي ومساره عبر توصيلة مؤقتة استغرقت مدتها حوالي الساعة ونصف الساعة ونجحت بحمد الله في تخفيف مشكلات الهبوط الكبير في القلب لدى حسين، ومن ثم

حسن

الفريق الجراحي

قد استقرت حالة التوأم إلى حد ما، وبدأ فريق الأطفال في الاهتمام بالتغذية لمقابلة ضرورات رفع الوزن إلى ما يقارب ثمانية كيلوجرامات أو تسعة بما يمكّن من إجراء العملية. أجرى الفريق الطبي عدة اجتماعات لاتخاذ قرار بشأن إمكانية الفصل، وبعد عدة أشهر تحقق الوزن المطلوب لعملية الفصل، وفي الاجتماع السادس اتفق أعضاء الفريق على أن إمكانية الفصل واردة، وأن نسبة الخطر فيها قد تصل إلى ٥٠٪ تقريبًا مع وجود مخاطر على حسين بالذات لأنه قد لا يستطيع تحمل عملية الفصل، وبعد نقاش طويل استقر الرأي على إجراء العملية على الأقل من أجل إنقاذ حياة حسن.. شرحنا كل هذه الملابسات إلى والدي التوأم بوضوح، فوافقا على ذلك رغم مرارة القرار وصعوبته عليهما؛ إذ ليس أمامها سوى ذلك.

قرر الفريق الطبي إجراء العملية يوم السبت ١ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٩٨م، وكان من المتوقع أن تستغرق ما يقارب عشرين ساعة على أن تسبقها عملية تجريبية وهمية قبل هذا الموعد بيومين بحضور والد التوأم، وتقرر لها الساعة الرابعة من بعد عصر يوم ١٩نوفمبر١٩٩٨م، ونقل التوأم إلى غرفة العمليات وكانت خطة العملية جاهزة ومكتملة لديَّ واشتملت على ثماني مراحل، وعكفنا على مراجعتها والتأكد من كل احتياجات الفريق الطبي، فأصبح كل شيء جاهزًا تمامًا، وتأكدنا أن مراحل العملية ستكتمل جميعها وفق ما هو مخطط لها، ثم دُعي والد التوأم إلى غرفة العمليات واطمأن على جاهزيتها. وقبل أن ينصرف أعضاء الفريق الطبي ذكَّرتهم على سبيل الدعابة بأهمية تجنُّب تناول الدسم من الأطعمة، مع الابتعاد عن الإرهاق والخلود إلى النوم المبكر وذلك بهدف رفع درجة استعدادهم للعملية. وكان موعدنا للقاء الأخير هو الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الحادي والعشرين من نوفمبر قبل موعد بدء العملية.

أسرتي تشدُّ عضدي

وكالعادة فإن الليلة التي تسبق يوم العملية تُعد من الليالي التي أحسب لها ألف حساب كثيرًا، وقبل الموعد بيوم زرت خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إبان ولايته للعهد، وشرحت له تفاصيل العملية رغم أنه كان متابعًا لكل هذه التفاصيل وعلى علم بكل ملابسات الحالة؛ إلا أنني أطلعته على ما يقلق الفريق الطبي، فقال لي بالحرف الواحد (إنكم عملتم ما عليكم واجتهدتم، ويجب عليكم أن تولوهما عناية تامة، ولن يخيب الله سبحانه وتعالى رجاءكم، واتَّكلوا على الله وسوف يوفقكم بإذنه تعالى) كان هذا الحديث مشجعًا لي وحافزًا لي على بذل كل ما بوسعي من أجل إنقاذ هذين الطفلين البريئين. وفي وقت الليلة، وبعد عشاء خفيف، ومؤازرة من زوجتي وابني خالد وبناتي شذى وغادة وريم ونورة وسارة اتجهت إلى السرير بعد أن تناولت قرصًا دوائيًّا ساعدني على النوم، استيقظت قبل الفجر بنصف ساعة، فصليت ركعات دعوت الله فيها أن يوفقني في إتمال كل مراحل العملية بنجاح، وبعد صلاة الفجر تناولت إفطارًا خفيفًا ثم اتجهت بسيارتي مع إشراقة الشمس إلى المستشفى الذي يقع بمنأى عن موقع بيتي، ويستغرق قطع المسافة إليه حوالي ٢٠ دقيقة، كان الشروق أمامي مباشرة وأنا ألاحظ الشمس تعلو قليلاً في الأفق. وكلما ازداد ضياؤها ارتفعت نبرات صوتي بالدعاء إلى الله بالتوفيق، فكان ذلك الإشراق الباهر يملأ جوانحي بالأمل والبشرى، ويقوي دوافعي إلى النجاح، وكنت أشاهد من بعيد مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، هذه

حسن وحسين بعد العملية

حسن مع بقية التوائم

المدينة التي كان موقعها صحراء قاحلة تحولت إلى مدينة شامخة عامرة؛ بل إلى أحد المراكز والمراجع الطبية المرموقة في المنطقة يشار إليها بالبنان، وكما كان نجاح هذه المدينة ؛ فإننا نستوثق معيَّة الله لنا وتوفيقه في خطوتنا القادمة لرفعة سمعة وطننا الحبيب.

وصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحًا حيث سبقني زملائي أعضاء فريق التخدير، وبعد ربع ساعة أحضرنا التوأم، ثم وصل بقية أعضاء الفريق من التخصصات الأخرى، وكان والدا التوأم برفقته، وفي غرفة تجهيز العمليات حدثت مع عبد الله، فطلب مني الاهتمام فيهما قائلاً هما طفلاك وأنت مكاني في درجة الاهتمام بهما، تأثرت بكلامه، أما هو وزوجته فقد اكتفيا بإرسال دموعهما وهما ينحنيان على توأمهما حضنًا وتقبيلاً، وتوقفا عند باب غرفة العمليات.

توقف لمدة نصف ساعة

استغرقت عملية التخدير ثلاث ساعات، تلتها مرحلة التعقيم، ثم مرحلة المشرط التي بدأتها بفتح الجلد باسم الله وعلى بركة الله مستذكرًا توجيه الملك عبد الله حفظه الله (ولي العهد آنذاك) وهو يشد عزيمتي قبل العملية، ثم توالت المراحل الثماني، وبعد سبع ساعات واجهتْ حسين بعض المشكلات في نبضه، وانخفض ضغطه قليلاً، وبدأت أنظر بقلق إلى فريق التخدير الذي طلب منا التوقف قليلاً أثناء العملية لإعطاء أدوية تساعد القلب على الضخ أكثر، وبعد توقف لمدة نصف ساعة استأنفنا العمل مرة أخرى، وبعد أربع عشرة ساعة ونصف الساعة حالفنا التوفيق في إكمال فصل التوأم بموقف مؤثر في النفس حيث كان العد التنازلي من خمسة إلى صفر، فكان التصفيق والفرحة تطغى على كل الوجوه لأن الهاجس المخيف كان فقدان التوأم حسين، إلا أن الله سبحانه وتعالى وفقنا بأن يظل حسين على قيد الحياة، استغرقت بقية المراحل أربع ساعات، واكتملت جميعها ولله الحمد بعد ثماني عشرة ساعة ونصف الساعة، واختتمت بإقفال الجراح وتغطيتها ونقل حسن وحسين بعد التقاط الصور التذكارية إلى غرفة العناية المركزة، وعند باب غرفة العمليات أقبل عليَّ عبد الله والد التوأم يعانقني عناقًا حارًا اختلطت فيه دموعه بعبارات الشكر والدعاء، فلم أستطع أن أتمالك نفسي أو أمنع دموعي من أن تنساب على خدي لتشاركه فرحته العارمة، وتقاسمه إحساسه في ذلك الموقف المؤثر، ولاحظت أن والدة التوأم تسكب أيضاً دمعها وهي ترى طفليها في سريرين منفصلين.

ومن المواقف التي لا يمكن إغفال ذكرها أو نسيانها ذلك الاتصال التي تلقيته من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) قبل مغادرتي لغرفة العمليات ليطمئن على حالة التوأم، وليهنئ الفريق الطبي على نجاح العملية، والتي طلب فيه مني نقل التهنئة إلى والديّ التوأم. نُقل الطفلان إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثا فيها ما يقارب الشهرين لأن حالة حسين كانت لا تزال مضطربة، وتطلبت قدرًا كبيرًا من عناية أطباء العناية المركزة وأطباء القلب، ذلك أن وضع القلب لديه لم يكن مستقرًا مما استدعى تزويده ببعض من الأدوية التي تساعده على تخطي هذه المرحلة الحرجة، علاوة على المتابعة الدقيقة إلى أن استقرت حالتهما معًا وعادت وظائف اعضاؤها إلى طبيعتها، واستطاعا تناول الطعام بشكل طبيعي، ثم نقلا إلى جناح الأطفال رقم (٧) الذي عُرف بجناح التوائم السيامية، وبعد شهرين من عملية التأهيل كان القرار بإخراجهما من المستشفى، فطلب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) لقاءهما مع والديهما؛ فنقلا إلى مكتبه حفظه

حسن مع بقية التوائم في (اليوم المفتوح للتوائم)

ه بالحرس الو طني، فاستقبلهما استقبالاً أبويًا كريمًا وهنأهما على نجاح العملية، كما التقى بالفريق الطبي وهنأه أيضاً على هذا لنجاح الكبير وبعد شهر من مغادرة المستشفى أعيد التوأم حسين مرة أخرى نظرًا لوجود ضمور كبير في الجهة اليسرى للقلب جبوط حادٍ فيه، واختلال في مخارج شرايينه، مع فتحات كبيرة بين البطينين والأذينين، وكان ضغط القلب ضعيفًا جدًا.. مكث في المستشفى قرابة الشهرين، ورأى الأطباء أن حالته لا تسمح بالخروج ما لم تُجر له عملية زراعة قلب. وإزاء ذلك أخبر طباء القلب والده بعدم إمكانية ذلك، وأن فرصة بقائه على قيد الحياة ضئيلة جداً. وبعد ستة أشهر أصيب حسين بالتهاب حاد في الرئة وهبوط حاد في القلب أدى إلى وفاته مما سبب ألمًا كبيرًا لوالديه، ولكن هذه النهاية كانت متوقعة منذ البداية. أما لتوأم حسن فقد عاش حياة سعيدة، وهو الآن بالمدرسة ومن المتميزين في دراسته، وحسب إفادة والديه فإنه أصبح سباحًا ماهرًا منافسًا أساسياً في سباقات السباحة. وعندما بلغ عمره عشر سنوات أتيحت له فرصه لقاء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد لله بن عبد العزيز في مزرعته وهنأه بهذا العمر المديد، وألقى حسن قصيدة مؤثرة في حضرته حفظه الله.

حسن في صورة حديثة له

obeikandl.com

٧

حالة نادرة

ذو القعدة ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م

obeikandl.com

حالة نادرة

ذو القعدة ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م

خارج توقعات الأطباء!!

من الطبيعي أن يرزق المرء توأماً، أو ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة توائم؛ غير أن الحالة التي سنتحدث عنها تعدُّ نادرة جداً، ليس فقط على مستوى خبرة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني؛ وإنما على مستوى المؤسسات المتخصصة في العالم، وهي حالة تخص أسرة بسيطة من جمهورية السودان الشقيقة. فقد كان الأستاذ هاشم يضرع إلى الله عز وجل أن يرزقه طفلاً يضفي على حياة الأسرة سعادة ويغمر ساحة البيت فرحًا ومرحًا ومحبة، وبالفعل شعرت الزوجة بأعراض الحمل وأخبرت زوجها ففرح واستبشر.. وأخذا يتبادلان التوقعات حول نوعية المولود القادم، ذكر هو أم أنثى؟ أريده ولدًا، لا.. أتمنى أن تكون هرة حلوة.. سلسلة طويلة من أسماء البنات والأولاد مُدَّخرة لاختيار أحدها بعد الولادة، كان الحمل طبيعاً عدا أن حجم الرحم كان أكبر، وعاء الأم أكثر، وشكواها متكررة من كثرة (الحوامض) وفقدان الشهية وعزوفها عن بعض الأطعمة والمشروبات، وعدا ذلك فلا شيء آخر كان يزعجها، وعند متوسط أشهر الحمل أخبر الطبيب الأم أنها تحمل توأماً، ففرح الأب فرحًا شديدًا وكانت سعادته كبيرة، طفلان في حمل واحد، يالها من سعادة!! وتساءل الزوجان ما إذا كان التوأم ولدين أم بنتين؟ أم من الجنسين معًا ذكر وأنثى؟ استيقن الزوج أن هبة الله أيًا كانت تحظى بالقبول والرضا، فهو جل وعلا يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، وتركز جهده في مضاعفة الاهتمام بزوجته حفاظًا على صحتها وصحة أطفالها.. ومع اقتراب نهاية الحمل أجرت الطبيبة المشرفة أشعة صوتية للأم بيَّنت نتائجها أنها تحمل ثلاثة توائم، دهشت الأم ونقلت الخبر إلى زوجها مشيرة إلى أن الحالة تبدو صعبة جداً، وفي ضوء ذلك استغرق الأب في التفكير حول كيفية التعامل مع ثلاثة أطفال من حيث الاستعداد والتجهيز والتغذية والرعاية والعناية وما إلى ذلك، رأى نفسه ينوء بحمل كبير يفوق طاقته، فكيف يوفق بين سعيه في طلب العيش ومساعدة زوجته في رعية التوائم الثلاثة.

دخلت الأسرة في حيرة كبيرة حين علمت أن الولادة تستلزم إجراء عملية قيصرية نظرًا لنوع الحمل وصعوبته، وبالفعل نقلت الأم إلى مستشفى الولادة والأطفال بجدة حيث أجريت لها هذه العملية، وكم كانت دهشة الأطباء والأم كبيرة حين وجدوا أنفسهم أمام حالة نادرة جداً على مستوى العالم، وهي حالة لم يتوقعها الأهل ولا الأطباء ولا حتى المختصون.. إذ خرجت طفلة أنثى مكتملة وسليمة، والطفلتان الأخريان ملتصقتين، لقد كان الحمل ثلاثياً لإناث، إحداهن طبيعية والاثنتان ملتصقتان في منطقة البطن وأسفل الصدر، نُقل التوأم إلى غرفة الإنعاش ليتم التعامل معه من حيث العناية والرعاية والتغذية، بدأت الطفلة المنفصلة عن التوأم تتعامل طبيعاً، أما التوأم الملتصق فكان يحتاج إلى بعض الأوكسجين والعناية المكثفة.

نجلاء ونسيبة قبل العملية مع التوأم الثالث فاطمة

بعد الفصل مباشرة

أسئلة هستيرية

كان الأب في الخارج ينتظر على أحر من الجمر ويفكر في أطفاله الثلاثة، وفي كيفية مساعدة زوجته على رعايتهم والعناية بهم؛ لا سيما أن وضعه المالي لا يساعده على الاستعانة بخادمة أو ممرضة، وبينما هو غارق في تفكيره ومستسلم لخياله؛ خرجت إليه الطبيبة فتلقاها هاشًا باشًا تحركه لهفة المشفق وعاطفة الأبوة، فأخبرته بانتهاء العملية وتبشره بسلامة زوجته، فسألها عن الأطفال؟ فطمأنته أنهم بخير إن شاء الله، فتساءل ما إذا كانوا ذكورًا أو إناثًا؟ فأجابت: رزقك الله ثلاث بنات ولكن... فقاطعها متسائلاً: ولكن ماذا؟! وبدأ يطرح أسئلة بصورة هستيرية: هل مات أحدهم؟ هل ماتوا جميعًا؟ هل لديهم مشكلات وصعوبات خلقية؟ هل هم معوقون؟ ذكرت له الطبيبة بأن اثنتين منهما ملتصقتان، أي سياميتان! لم يستوعب الزوج معنى المفردة، ولم يسمع بمثل هذه الحالة من قبل في حياته، ولم يقرأ عنها، فشرحت له الطبيبة وضع توائمه، فَغَرَ فاه، واعتراه الذهول لحظة سماعه للخبر، كاد يستسلم لحيرته، ولكنه انتبه بعد فترة وأخذ يسأل عن الحالة؟ وماهية الالتصاق؟ وعن معنى كلمة سيامي؟ فأعلمته بأن ابنتيه ملتصقتان في منطقة الصدر والبطن، ويتطلب ذلك رعاية خاصة وخبرة كبيرة للتعامل مع مثل هذه الحالات. ثم أكدَّت له أن مثل هذه الحالة نادرة جدًا. عاد إلى الإغراق في التفكير، وأخذ يحدث نفسه ويناجي ربه ودموعه تسيل على خديه: ويدعوه بإخلاص ليعينه على تجاوز هذه المعضلة، ويقول بخشوع: رزقتني يا ربي وأنا راض وقانع بما رزقت، فأضرع إليك يا إلهي أن تفرج كربتي وتزيل همي وغمي، وأسألك أن تساعدني لأصبح قادرًا على مساعدة بناتي.. ناجى ربه مناجاة الضعيف المنكسر، ودعاه دعوة المضطر الذي يرجو عونه جل وعلا دعوة صادقة نابعة من القلب، استمر هاشم في البكاء، انكسار حقيقي أن يبكي الرجل، فدموع الرجال عزيزة، ولكن كيف لا يبكي من يناجي ربه ضارعًا خائفًا منكسرًا، لا يلام هاشم على دموعه المنسكبة بحرارة، ولا على حديثه مع نفسه لأن المصاب جلل والمشكلة كبيرة. وبعد أن تحرر من هواجسه ذهب إلى زوجته؛ فوجدها غارقة في دموعها، بكى معها ولكنه تمالك نفسه، وحاول التخفيف عنها بتذكيرها بأن الله لا يغفل عن عبده المسكين، وأن نعمه علينا كثيرة وكبيرة، ويجب علينا الرضا التام بما اختاره لنا، فمشيئته غالبة وله في خلقه شؤون، ويجب أن تمتلئ قلوبنا بالإيمان والتفاؤل والأمل فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا، فسبحانه وتعالى هو الخالق والرازق.. سُريَ عنها قليلاً، وما أن شعر بعلامات الرضا على وجهها حتى استأذنها في أن يذهب للبحث عن وسيلة للمساعدة على حلِّ هذه المشكلة.

موافقة خلال نصف ساعة

غادر هاشم غرفة الولادة، و قابله لحظة خروجه أحد الأطباء فواساه وتحدث إليه وأخبره بأن مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض من المراكز المشهورة التي لديها خبرة في مثل هذه الحالات، وأعرب له في الوقت نفسه عن استعداده لمساعدته بالاتصال بأحد الأطباء المختصين، وبالفعل تلقيتُ اتصالاً في مكتبي من هذا الطبيب، فأطلعني على الحالة وبيَّن ملابساتها وظروف الأسرة المعنية، ثم زودني برقم هاتف جوال فاتصلت فكان على الطرف الآخر رجل يتحدث لهجة سودانية، بدا مضطربًا

نجلاء ونسيبة أثناء الرضاعة

نجلاء ونسيبة بعد العملية

مرتبكًا وهو يحدثني ويتوسَّل إلي أن أساعده لأن أوضاعه المادية تجعله عاجزًا عن فعل أي شيء، أخبرته أن في إمكانه أن يرفع رقية إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وليكن واثقًا بأنه حفظه الله لن يرد طلبه ولن يخيب رجاءه. وبعد إرسال البرقية كانت المفاجأة كبيرة جداً بالقدر الذي تجاوز توقعات الأستاذ هاشم وقدرته على التصديق، فقد جاءته الموافقة بعد نصف ساعة فقط، مقرونة بتوجيه لنقل التوأم إلى هذه المدينة الطبية العامرة والعناية به.. كان يتوقع أن تطول فترة انتظار الموافقة أسابيع أو أشهرًا أو ربما سنة كاملة، لم يدر بخلده على الإطلاق أن يأتيه الفرج خلال هذه المدة الوجيزة التي لا تتجاوز ثلاثين دقيقة، هذا فوق الخيال.. كُلِّفت أنا شخصياً بإبلاغه بالموافقة، وفعلاً اتصلت به، فظن في البداية أنني أود استطلاعه عن الحالة وتزويدي بمعلومات إضافية، ففاجأته بأن الملك عبدالله (ولي العهد) يقرئك السلام، ويقول إن توأمك في عناية الله سبحانه وتعالى، ثم عناية مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وقد وجَّه يحفظه الله بنقل التوأم إلى هذه المدينة بأسرع وقت، بكى كثيراً وكنت أسمع نشيجه وتنهداته عبر الهاتف، وغلبه البكاء فلم يستطع الرد عليَّ إلا بكلمتين: جزاكم الله خيراً وأنقل شكري إلى خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد آنذاك) حفظه الله. وبعد أن ودعته سرعنا على الفور في عمل الترتيبات اللازمة لنقل التوأم.

دخل هاشم مسرعًا على زوجته وابتسامة عريضة وسعيدة ترتسم على وجهه، وهو يصيح: البشرى، البشرى ولي العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز وجَّه بنقل ابنتينا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض المتخصصة في علاج مثل هذه الحالات، فملأت الأم فرحة عارمة، وذرفت دموعها وهي تمسك بيد زوجها تقبلها وتحمد الله تعالى على هذه النعمة وتثني عليه، وتدعو لولي العهد. قال لها هاشم إن الله سبحانه وتعالي وعد من رفع إليه أكف الضراعة بالاستجابة لدعائه؛ لا سيما وهو قريب سنًّا، وقد دعوته دعاء المنكسر الخاشع أن يفرج همَّ الطفلتين، وها هو يستجيب جل في علاه. اكتملت كل ترتيبات النقل، وخلال أربعة أيام نُقل الوالدان والتوائم الثلاثة فاطمة الطفلة السليمة، ونسيبة ونجلاء السياميتان. وصلت الأسرة إلى مطار الملك خالد بالرياض وكان في استقبالها فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم مباشرة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية، واستقبلتُ التوأم في غرفة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، وأخضع التوأم على الفور إلى بعض الفحوصات الدقيقة والشاملة بمشاركة أحد الزملاء من استشاريي العناية المركزة، ثم طلبنا بعض الفحوصات الأساسية، كما فحصنا الطفلة فاطمة فتبين لنا أنها سليمة جداً ولا تحتاج إلى دخول المستشفى، وبعد ذلك تحدثنا مع والدي التوأم وأطلعناهما بالتفصيل على وضع التوأم، وأخبرناهما بأن هذه الحالات تدخل ضمن ما يسمى بالتوائم السيامية، وهي نادرة، وحالة توأمهما نادرة بصورة أكبر وغريبة على المستوى العالمي، أوضحت لهما أن هناك التصاقاً في منطقة الصدر والبطن، وطمأنتهما بأن إمكانية المساعدة كبيرة بعون الله عز وجل؛ غير أننا نحتاج إلى بعض الوقت لإجراء فحوصات إضافية حتى نتمكن من إيضاح الحالة وشرح تعقيداتها لكما. كان هاشم كما سبق أن ذكرت رجلاً مؤمنًا بالله، فبعد أن أكملت حديثي، تمتم بعبارات كثيرة يشكر فيها الله جل وعلا ويحمده، ثم أتبعها بالشكر على المساعدة التي حصل عليها بشكل سريع، ثم عبَّر عن ثقته الكاملة بالأطباء والمستشفى، وأكد لنا أنه هو وزوجته يقبلان عن رضا تام كل ما يصدر من قرارات عن الفريق الطبي، وهما ينتظران قرارهم النهائي.

توأم ونسبة بعد العملية مع التوأم الثالث

الفريق الطبي لعملية توأم ونسبة

نسبة نجاح عالية

وبعد ذلك بدأت في تشكيل الفريق الطبي والجراحي لمتابعة التوأم وقررنا الاجتماع في اليوم التالي لوضع الخطة الأولية. وبالفعل اجتمع الفريق الذي ضم متخصصين في: جراحة الأطفال، التخدير، العناية المركزة لحديثي الولادة، جراحة التجميل، الأطفال، التمريض، التأهيل، قلب الأطفال، الفنيين. وفي هذا الاجتماع شرحت لزملائي وضع التوأم وعرضت عليهم بعض الصور الخاصة بحالته وبيّنت لهم وجود اشتراك في أسفل الصدر والبطن، وأن الفحوصات الأولية كشفت عن وجود مشكلة في القلب لدى التوأم، ولذلك قررنا إجراء فحوصات دقيقة للقلب، وصور أشعة للبطن، وأخرى مقطعية وأشعات ملونة للأمعاء، ثم تولى زملائي في العناية المركزة رعاية حالة التوأم عند دخوله إلى العناية المركزة وكذلك الفحوصات التي أجريت حتى ذلك الوقت، واتفقنا على الاجتماع مرة أخرى بعد مرور أسبوعين.

عقدنا الاجتماع في الوقت الذي سبق أن حدّدناه، وحضره الزملاء من قسم الأشعة الذين قدموا عرضًا وشرحًا لنتائج الفحوصات، كما شرح الزملاء من قسم القلب النتائج التي توصلوا إليها من خلال فحص القلب.. وأظهرت هذه الفحوصات عيوباً خلقية في القلب لدى التوأم، ووجود ثقب بين البطينين، مع اشتراك في أغشية القلب، وفي الكبد، واشتباه بوجود اشتراك في الأمعاء.. وخلصت المناقشات إلى إمكانية الفصل بنسبة نجاح تصل إلى ٨٠٪ إن شاء الله، وقررنا الانتظار إلى أن يصل وزن التوأم إلى ثمانية كيلوجرامات، وتطلّب ذلك وضع نظام غذائي للتوأم، وتولى المختصون بقسم تغذية الأطفال مسؤولية ذلك، فتجاوبت الطفلتان بصورة سريعة جداً مع برنامج التغذية المحدد، وخلال أربعة أشهر من ولادتهما وصلتا إلى الوزن المطلوب، إذ بلغ الوزن مجتمعًا ثمانية كيلوجرام ونصف، وعلى إثر ذلك عقد الفريق الطبي اجتماعه الأخير واستعرض وضع التوأم وجميع الفحوصات التي أجريت له، والتي في ضوئها تقرر إجراء عملية الفصل في الاثنين ٧ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٢١يناير ٢٠٠٢م على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية بحضور والد التوأم، فاستدعيته وشرحت له كل نتائج الفحوصات والتقارير بالتفصيل، فوافق على إجراء العملية، وأعلن قبوله لكل ما تتمخض عنه من نتائج. وفي الساعة الثالثة والنصف من عصر يوم ١٩يناير٢٠٠٢م أُحضر التوأم إلى غرفة العمليات لإجراء العملية الوهمية التجريبية. وبعدها وضعت خطة جراحية لعملية الفصل مجزأة على سبع مراحل تكتمل جميعها حسب المتوقع في عشر ساعات، راجعنا هذه الخطة وتأكدنا من جاهزيتها وكذلك اكتمال الفحوصات وجاهزية غرفة العمليات والأجهزة. وبالفعل نجحت العملية الوهمية، وتلاها التجهيز لعملية الفصل الأساسية. شرحت كل مراحلها لوالد التوأم الذي أعرب عن تفاؤله وثقته في أعضاء الفريق الطبي.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وشرحت له تفاصيل الحالة وما توصلنا إليه، فبارك خطواتنا ودعا لنا بالتوفيق بمشيئة الله، وذكرنا بالتوكل عليه جل وعلا في كل مراحل العملية.

نجلاء ونسيبة وفاطمة مع الجد والخال

نجلاء ونسيبة مع أختهما التوأم فاطمة

عملية على الإنترنت

في الساعة السابعة من صباح يوم ٢١ يناير من عام ٢٠٠٢م توجهت إلى المستشفى حيث التقيت بالزملاء أعضاء الفريق الطبي، وبعد ربع ساعة نقل التوأم إلى غرفة العمليات وكان والداهما برفقتهما حتى مدخل الغرفة، وطلبت من الأستاذ هاشم أن يطرح ما لديه من أسئلة واستفسارات؛ إلا أنه اكتفى بالتعبير عن ثقته في الأطباء، ووافق على كل مجريات العملية، ثم ودع هو وزوجته طفلتيهما بالدموع والقبلات. الجديد في هذه العملية عن سابقتها أننا قمنا بنقلها على شبكة الإنترنت لإطلاع المختصين عليها، وكان هناك تواصل بيننا وبين والدي التوأم في غرفة العمليات لإتاحة الفرصة لطرح أي أسئلة تطرأ لهما عن حالة طفليهما أولاً بأول.

وحسب الخطة كان التخدير هو البداية وتلاه التعقيم ثم بدأنا العملية بعد تغطية التوأم بقص الجلد، وباسم الله تعالى بدأت المرحلة الأولى من مراحل العملية بعد فتح البطن والصدر بفصل قلبي الطفلتين عن بعضهما، وتم فتح الأغشية وإبعاد قلب نجلاء عن قلب نسيبة وإقفال أغشية القلب، وأثناء ذلك طرح والد التوأم بعض الأسئلة والاستفسارات، وشاركه بعض الإعلاميين في طرح الأسئلة، وتولينا الرد عليهم ونحن نواصل عملنا الجراحي، وكانت هذه أول مرة تشهد تعاملاً حياً مع والدي توأم سيامي والتواصل مع الإعلاميين من داخل غرفة العمليات. وبعد ذلك تمكنا من فصل الكبد، وكان هاشم وزوجته يسألان بعض الأسئلة ويتابعان العملية عن طريق شبكة التلفزيون الداخلية، تلا ذلك فصل العضلات وأغشية الأضلع وعظمة القص، واكتمل الفصل بعد حوالي عشر ساعات، ونُقلنا إلى طاولتين مستقلتين، ولزمتنا ساعة أخرى إضافية لإقفال البطن والصدر، واكتملت العملية بنجاح في الثنتي عشرة ساعة، وبعد إنفال الجراح وتغطية الجلد اصطففنا لالتقاط صورة جماعية توثيقًا للخبرة، وعلت الابتسامات على الوجوه علامة على النجاح بفضل الله وتوفيقه. وبعد مغادرة غرفة العمليات التقيت السيد هاشم الذي تهيأ لاستقبالي عند الباب، فاحتضنني ولسان حاله يبُهج بالثناء لله سبحانه وتعالى ثم بالشكر لأعضاء الفريق الطبي؛ بينما سارعت زوجته ودموع الفرح تسبقها إلى ابنتيها لرؤيتهما وهما في طريقهما إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا عشرة أيام إلى أن شُفيت الجراح وعادت الأعضاء الحيوية إلى وضعها الطبيعي، وبدأت الطفلتان تتناولان الطعام، ونقلتا بعد ذلك إلى جناح الأطفال استعدادًا لعملية التأهيل التي استغرقت أربعة أسابيع غادرتا بعدها المستشفى بصحة كاملة وأصبحتا تتابعان العلاج خارجيًّا، وبعد سنة تقريبًا أدخلت نسيبة إلى المستشفى لإجراء عملية إصلاح لثقب القلب التي اكتملت بنجاح. وبعد أن وصل عمر التوأم إلى ست سنوات عادتا من السودان إلى المملكة العربية السعودية بدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي استقبلهما في مزرعته، وسلَّم على التوائم الثلاثة، وهنأ والديهما وأخذ حفظه الله صورة جماعية معهم.

obeikandl.com

٨

تحدٍ آخر.. !!

رجب ١٤٢٣هـ/ سبتمبر ٢٠٠٢م

obeikandl.com

خادم الحرمين الشريفين يصافح التوأم الماليزي ويستقبل الفريق الطبي

obeikandl.com

تحد آخر.. !!

رجب ١٤٢٣هـ - سبتمبر ٢٠٠٢م

نقطة تحول ونقلة نوعية

لم يكن التوأم الماليزي (أحمد ومحمد) مجرد توأم سيامي فحسب؛ بل نقطة تحول ونقلة نوعية في جراحات التوائم في المملكة العربية السعودية، فقد شكل هذا التوأم تحدياً كبيراً لخبرتنا في هذا المجال؛ لأن المهمة كانت ضخمة باعتبار أن هذه الحالة هي الأولى من خارج العالم العربي، والنجاح في جراحتها يحقق بُعداً إسلامياً وأسيوياً وربما عالمياً، وقبول الحالة يضعنا أمام تحد حقيقي، ذلك أن هذا التوأم يختلف عن بقية التوائم الأخرى التي تعاملنا معها.

بدأت القصة مع ولادة التوأم أحمد ومحمد في إحدى قرى ماليزيا ذلك البلد الإسلامي الذي يقع في أقصى شرق آسيا، ولدا لأسرة فقيرة وبسيطة جداً لا حول لها ولا قوة، ولا تملك إلا اليقين في الله سبحانه وتعالى الذي لا يُخيِّب رجاء من لجأ إليه وتوكَّل عليه حق التوكُّل. جاء التوأم إلى الوجود بعد عملية قيصرية صعبة عانت منها الأم وكانت صدمة كبيرة للأسرة التي تعوزها إمكانات الحياة اليومية فضلاً عن أن تكون قادرة على التعامل مع توأم سيامي ملتصق التصاقًا كبيراً جداً، وبعد زوال آثار الصدمة بحث الأب عن إمكانية تساعده على فصل ابنيه وفك الالتصاق والالتحام بينهما حتى تقرَّ عين الأسرة وترتاح من فضول جميع أهل القرية وأسئلتهم، تنقل بين المستشفيات حتى وصل مع طفليه بمساعدة الأهل والأقرباء والأصدقاء إلى أحد المستشفيات الكبيرة في العاصمة بلاده حيث أجريت لهما فحوصات عديدة وكثيرة، وعندما وصل عمرهما إلى حوالي العام ونصف العام خضعا لمحاولة جراحية للفصل إلا أنها لم تكتمل نظراً لصعوبة الحالة وتعقيداتها مما أجبر الفريق الطبي على التوقف وإغلاق الجراح، فشعرت أسرة الطفلين بخيبة أمل كبيرة، وكاد يلفها اليأس والقنوط بعد أن أشرق الأمل في جوانحها بتجاوز هذه المشكلة، وبعد أن غمرتها الفرحة بما توافر لها من مساعدات مؤهلة إلى نهاية سعيدة تفصل أحمد ومحمد عن بعضهما. صُدم والدا الطفل وانفجرا في نوبة بكاء محمومة عندما أخبرهما الطبيب بأن المشكلة كبيرة ومعقدة، وأن الاتصال يشمل منطقة الصدر والبطن والحوض، وبالتالي فإن إمكانات المستشفى ليست في المستوى الذي يقود إلى إكمال العملية، وأن الاستمرار في إجرائها يشكل خطرًا على حياة التوأم، تصورا هذا التقرير الطبي جداراً أسود ينتصب أمامهما، وعليهما أن يذعنا للأمر الواقع، ويتقبلا الوضع ويتعاملا مع أمهما الملتصق طوال حياته، وتصورا صعوبة هذا التعامل مستقبلاً مع تواضع حالتهما المادية والمعيشية. بعد هذه الجراحة غير المكتملة عادا إلى بيتهما الصغير المتواضع الذي يتكون من غرفة واحدة وصالة صغيرة. ومع مرور الأيام نما الطفلان على وضعهما، والأب لا يكف عن الدعاء والابتهال إلى الله، وحين بلغا حوالي الخامسة من العمر ارتفع وزنهما سوياً إلى ما يقارب خمس عشرة كيلو جرامًا، ولذلك تعذَّر حملهما وأصبح في غاية الصعوبة والإجهاد، إضافة إلى أن فضول المجتمع لا يسمح بخروجهما من المنزل، وكان همَّ الأسرة يزداد وحيرتها تتسع كلما كبر الطفلان، وكان الوالدان يفكران في كيفية التعامل معهما عندما يبلغان سن الدراسة؟ كيف يدرسان وهما ملتصقان؟ وكيف يتجنبان أعين الفضوليين؟ ويتفاديان سخرية الساخرين؟ أسئلة كثيرة ليس لها إجابة إلا الدموع والتعلُّق بحبل الله والصبر والدعاء إلى أن يأذن جل وعلا في التغلب على هذه المعضلة.

أحمد ومحمد بعد الوصول

تحديد مكان الجرح

خيبة أمل في بريطانيا

وفي سن الخامسة والنصف، ومع استمرار الدعاء والتضرع استقبلت قريتهم جمعية خيرية بريطانية، وأعلنت هذه الجمعية عن إمكانية المساعدة على حل مشكلة التوأم؛ ومدّت يد العون إلى هذه الأسرة البسيطة، وبعد التشاور بين الأب والأم قررا عدم إضاعة أي فرصة تلوح في الأفق، وتأهبت الأسرة بالفعل للسفر إلى بريطانيا بمساعدة هذه الجمعية. الأبوان لا يتكلمان اللغة الإنجليزية، ولا يعرفان سوى الماليزية، وهذا الحاجز اللغوي يجعل من الصعب عليهما التعامل حتى في المدن الكبيرة ببلدهما فكيف ببريطانيا التي لا يعرفان عنها غير اسمها، وبعد اكتمال ترتيبات السفر للأسرة صدر جواز واحد للتوأم. وبالفعل سافرت الأسرة إلى بريطانيا، وطوال الرحلة كان الأبوان يدعوان ودموعهما تنسكب على خدودهما.. وفي عاصمة الضباب لندن كان الجو باردًا والسماء ملبدة بالغيوم والأمطار، وتحملا هذا الجو الغائم والأمطار الغزيرة من أجل توأمهما. وبعد أن وصلا إلى المستشفى أشرق الأمل من جديد في دواخل الأب عبد الرحيم، وكان يسيطر عليه اعتقاد جازم بأن بريطانيا هي نهاية المطاف وفقًا لسمعتها الكبيرة بوصفها معقلاً للعلم والمعرفة والجراحات الطبية المعقدة؛ خاصة بالنسبة لمثل هذه الحالات. شكر الله على هذه الفرصة التي كان ينتظرها على أحر من الجمر؛ ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعد اكتمال الفحوصات اصطدمت الأسرة بصعوبة تحقيق حلمها حين أعلن المستشفى عدم موافقته على إجراء العملية بسبب وجود مشكلات كبيرة تعيقها.. كما أصيبت الجمعية الخيرية أيضاً بخيبة أمل مماثلة لما أصاب الأسرة، وأحس عبد الرحيم بأن جميع الأبواب موصدة أمامه، ولا نهاية لهذه الجدران السميكة العالية التي تفصله عن تحقيق حلمه، ثم همس لنفسه، ماذا بعد بريطانيا، إذ استحال الأمر في لندن التي يقصدها أصحاب الأمراض المستعصية من جميع أنحاء العالم للعلاج؛ فلا أمل في غيرها على الإطلاق، يبدو أن هذه هي نهاية المطاف. وبينما كان الزوجان في خضم هذه الصدمة الكبيرة تحوطهما أمواج الكآبة، وتعلوهما سحب الغم؛ علم أحد الإعلاميين العاملين في قناة (mbc) العربية بهذه الحالة، وهي قناة لها اهتمامات بمثل هذه الحالات، فبادر إلى تضمين نشرة الأخبار قصة إخبارية عن مشكلة التوأم السيامي الماليزي أحمد ومحمد ومعاناة أسرته بين ماليزيا وبريطانيا، كان مجرد خبر ضمن مجموعة كبيرة من الأخبار في نشرة يومية عادية، من يسمع هذا الخبر؟ من ينتبه له وسط هذا الكم من الأخبار؟ ولكن العالم لا يخلو من العظماء وأصحاب القلوب الإنسانية الرحيمة الذين يهتمون بقضاء حوائج الناس.

الخبرة السعودية في خدمة التوأم الماليزي

بتوفيق الله، وعلى غير ما توقعت الأسرة كان هناك رجل ذو قلب كبير يتابع الحالات الإنسانية، ودائم الوقوف على أحوال الحالات الإنسانية التي تحتاج إلى المساعدة في جميع أنحاء العالم.. إنه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، سمع حفظه الله هذه القصة المؤثرة، وكان يعلم مدى خبرة بلاده في هذا المضمار، ويثق ثقة تامة في الكفاءات الوطنية، ويعلم أن الوطن يزخر بقدرات تستطيع قبول التحديات، فما كان منه بعد سماع الخبر إلا أن اتصل بي مستفسرًا عن حال التوأم، فأجبته أننا نحتاج إلى بعض الوقت للتعرف على الحالة والإلمام بتفاصيلها وملابساتها، بعد ذلك يمكننا تزويده

صورة بالأشعة

صورة الهيكل العظمي

بالمعلومات الكافية عنها، ونجيبه على ما طرحه من أسئلة دقيقة، فوجهني حفظه الله بأن أسعى إلى الحصول على المعلومات بأسرع ما يمكن، وبالفعل تمكنت خلال يومين من الحصول على التقارير المطلوبة من القناة المعنية، واتصلت كذلك بأسرة التوأم في بريطانيا، ثم درست مع زملائي كافة التقارير المتعلقة بالحالة، وفي ضوئها أبلغت خادم الحرمين الشريفين أن إمكانية المساعدة واردة، وهذا يقتضي نقلهم إلى المملكة ودراسة الحالة عن قرب، فأصدر حفظه الله على وجه السرعة توجيهًا بقبول الحالة، وأُبلغت قناة (mbc) بذلك والتي بدورها أبلغت الأسرة بالموافقة الكريمة، فرحت الأسرة فرحًا شديدًا، وقال الأب لم أكن أعلم أن المملكة العربية السعودية لديها خبرة في هذا المجال، وكنت أعتقد أن بريطانيا هي الملاذ الأخير فيما يتعلق بالجراحات الطبية، ونهاية المطاف في الطب للعالم، وإذا لم نوفق فيها فلا حيلة لنا ولا جهة نلتجئ إليها بعد ذلك. وأردف قائلاً سعدت حين علمت أن بلدًا إسلاميًا؛ بل منبع الإسلام والحضارة وقبلة المسلمين سوف يحتضن أحمداً ومحمدًا، وأني سأصل بلاد الحرمين الشريفين وأعيش بين أهلي وإخواني المسلمين. لم يطل المطاف بهذه الأسرة بعد أن تكفل خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله بكافة مصاريف وتكاليف السفر والنقل إلى المملكة العربية السعودية، وحين وصلوا إلى الرياض كان في استقبالهم بالمطار فريق طبي وسيارة إسعاف مجهزة نقلتهم إلى المستشفى حيث كنت في استقبالهم عند المدخل الرئيسي، وبعد التحية والسلام عليهم اصطحبتهم إلى جناح الأطفال رقم (٧) حيث خصصت للتوأم غرفة قريبة من مركز التمريض، وبعد ذلك أخضعته لفحص دقيق بمشاركة زملائي في قسم الأطفال. وفور انتهاء الفحوصات والإطلاع على بعض التقارير الأساسية؛ جلست مع الأب والأم و شرحت لهما بمساعدة مترجمة تفاصيل الحالة، ومن حسن الحظ فإن المستشفى يضم ممرضات من ماليزيا مما سهل عملية التخاطب كثيرًا، وأخبرتهما بتعقيدات الحالة؛ إذ يوجد اشتراك في منطقة الصدر والبطن والحوض، مع وجود ثلاثة أطراف سفلية واحدة لكل منهما والثالث مشترك بينهما، ولذا فأننا نحتاج إلى بعض الوقت لإجراء مزيد من الفحوصات، ويتطلب الأمر من أسبوعين إلى ثلاثة وبعدها يمكننا اتخاذ القرار المناسب في هذا الشأن.

خلافات وشجار بين التوأم

وفي هذه الأثناء تمَّ تشكيل الفريق الطبي الذي ضم تخصصات: جراحة الأطفال، تخدير الأطفال، أمراض الأطفال، جراحة التجميل، جراحة العظام، جراحة المسالك البولية، إضافة إلى كوادر التمريض والطب النفسي والتأهيل علاوة على تخصصات أخرى للعناية بالتوأم، ولذلك تجاوز عدد أعضاء الفريق الطبي ثمانين شخصًا بين رجل وامرأة نظرًا لحجم الحالة وصعوباتها وتعقيداتها وما تشكله من تحدٍّ كبير لمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وعقدنا أول اجتماع بعد وصول التوأم بيومين استعرضنا خلاله صور التوأم، وتولى الزملاء في قسم الأطفال تقديم شرح متكامل للحالة، وعكفنا بعد ذلك على مراجعة الفحوصات الأساسية، وطلبنا فحوصات إضافية أخرى عديدة شملت أشعة مقطعية ومغناطيسية وملونة وعادية بجانب فحوصات عديدة للمسالك البولية والجهاز الهضمي، واستكمل قسم الأشعة جميع هذه الفحوصات خلال عشرة أيام.

نقل التوأم

أثناء العملية

وعقدنا اجتماعًا آخر ناقشنا خلاله هذه الفحوصات والأشعة بتفاصيلها التي كشفت لنا وجود اشتراك في أواسط الصدر والبطن مكتملاً والحوض، ولكل توأم طرف سفلي واحد وطرف ثالث مشترك ومشوه، كما يوجد اشتراك في أضلع الصدر من الأمام والخلف، واشتراك في كل من الكبد والأمعاء والمسالك البولية والجهاز التناسلي فضلاً عن تليُّف كبير في البطن نتج عن محاولة إجراء العملية الأولى في ماليزيا. شكلت كل هذه التعقيدات تحديًا كبيرًا للأطباء والجراحين. وطلب الزملاء في المسلك البولية وجراحة التجميل بعض الفحوصات الإضافية التي أجريت سريعًا، ثم اجتمعنا بعد أسبوع من ذلك لمراجعة الفحوصات التي تمخضت في اتفاق الجميع على إمكانية الفصل بنسبة نجاح تصل إلى ٦٥٪، وبرزت أثناء ذلك تساؤلات حول مدى الحاجة إلى ممددات للجلد لتغطية الفراغ؟ أم يكتفي الفريق بالجلد الموجود؟ ولكن صرف النظر عنها بسبب ما ينتج عنها من مشكلات وما تتطلبه من عمليات إضافية للتوأم، والاكتفاء بالطرف السفلي الثالث لتغطية البطن. وينبغي الإشارة هنا إلى أن حالة التوأم أحمد كانت أصعب من محمد لأن جسمه كان هزيلاً، ويحتاج إلى عناية أكثر من أخيه. منشأ الغرابة في هذه الحالة يكمن في عمر التوأم الذي بلغ خمس سنوات ونصف السنة، وكثيرًا ما تنشب بينهما خلافات عديدة تتطور إلى شجار يتحول أحيانًا إلى ضرب بالأيدي، وتفاديًا لهذه الخلافات طلبنا من فريق الطب النفسي التعامل مع التوأم؛ خصوصًا وأننا كنا نتوقع وجود صدمة نفسية بعد الفصل نظرًا لأنهما كانا ملتصقين طوال فترة الحمل ولمدة خمس سنوات ونصف السنة بعد الولادة.

حضور إعلامي كثيف

وأخيرًا اتفقنا على إجراء عملية الفصل وحددنا يوم الثلاثاء ١٠ رجب ١٤٢٣هـ الموافق ١٧ سبتمبر ٢٠٠٢م، وكنا نتوقع أن تستغرق مدتها قرابة اثنتين وعشرين ساعة لعلمنا بصعوبتها وما تمثله من تحدٍّ كبير لنا. مشكلات كثيرة واجهت الفريق الطبي، بجانب عوامل أخرى أقلقته كالعملية السابقة التي لم يكتب لها النجاح في ماليزيا، وسفر التوأم إلى بريطانيا ثم عودته إلى المملكة العربية السعودية، وفوق هذا فقد كان الإعلام الماليزي والبريطاني يتابع هذه الحالة عن كثب، وصحب التوأم فريق إعلامي بريطاني من قناة (سكاي) ومن قنوات أخرى من ماليزيا، جاؤوا لمتابعة سير العملية، والتحقق من مدى إمكانية نجاح الخبرة السعودية في إجرائها. كان الاعتقاد أن الخبرة السعودية لن تستطيع التعامل مع حالة معقدة كهذه طالما عجزت عنها الخبرة البريطانية. أسئلة كثيرة دارت في أذهان أعضاء الفريق الطبي، ولكن هذا الفريق كان طموحًا ومتطلعًا إلى مواجهة التحديات مهما كانت صعوباتها وتعقيداتها، ويضع سمعة الوطن وسمعة الأمة العربية والإسلامية نصب عينيه. قررنا كذلك إجراء عملية وهمية تجريبية قبل العملية الأساسية بيومين أي في يوم ١٥ سبتمبر ٢٠٠٢م. وعقب هذا الاجتماع شرحت لوالدي التوأم بالتفصيل كل ما يتعلق بالعملية وصعوباتها المحتملة، وطرحا بعد ذلك أسئلة كثيرة تبينت من خلالها الخوف الشديد الذي يتملك قلب عبد الرحيم لأنه تعرض للصدمة مرتين ويخشى أن يتعرض لثالثة، وعبَّر عن ذلك بصراحة، فطمأنته بأننا نعتمد على الله سبحانه وتعالى ولن يُخيِّب رجاءنا بمشيئته جل وعلا، ومن ثم وافق على قبول قرار الفريق الطبي رغم أنني قرأت في عينيه الخوف والقلق وربما عدم الثقة؛ نظرًا لأنه واجه مثل ذلك في الماضي وهو معذور في إحساسه هذا. وفي اليوم التالي ذهبت إلى مقام خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد

فصل الأمعاء

لقطة بعد الفصل مباشرة ويوضح حجم العملية

ذلك) وأبلغته بالتفاصيل وشرحت صعوبة الحالة ومدى خطورتها، ونقلت له خلاصه ما توصل إليه الفريق الطبي، وكان حفظه الله متفائلاً دائمًا، وثقته في الله سبحانه وتعالى كبيرة، وأوصاني كعادته بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه. كانت هذه الكلمات دافعًا للسير قدماً، وحافزًا على الإصرار وشحذ الهمم من أجل إنجاح هذه المهمة بتوفيق الله جل وعلا.

في الساعة الرابعة والنصف من عصر يوم ١٥سبتمبر٢٠٠٢م عقدنا اجتماعًا في غرفة العمليات، وكان هناك حضورٌ إعلاميٌ ملحوظ على غير العادة لمتابعة العملية الوهمية التجريبية، وحاولت القنوات الماليزية والغربية التأكد من مدى جاهزية غرفة العمليات. وأحضر التوأم برفقة والديهما، ثم أدخلا إلى غرفة العمليات لإجراء العملية التي سبق أن وضعت لها خطة متكاملة تتضمن عشر مراحل، ثم راجعنا تجهيز غرفة العمليات وكل ما تحتاجه التخصصات المختلفة من أجهزة، كما راجعنا الخطة مرتين وشرحناها لوالدي التوأم، وأتحنا للأب فرصة طرح أسئلة على أعضاء الفريق الجراحي؛ ولكنه اكتفى بالإعراب عن أمله في الله وعن ثقته في الفريق الطبي، وكنا نعلم أنه متردد ويخفي داخله أشياء كثيرة.. وبدورهم أثار الإعلاميون أسئلة كثيرة مغلّفة بعلامات استفهام عديدة. وبعد انتهاء العملية الوهمية لاحظنا أن مذيعة قناة سكاي وفريقها التصويري يوجهون عدسات كاميراتهم نحو مسجد المستشفى لتصويره، حاولت الشرطة إعاقتهم ومنعهم عن ذلك، غير أنني وجهت الشرطة بالسماح لهم، ثم سألت المذيعة:

– ما جدوى تصوير المسجد؟

ـ أجابت: أود تصوير المسجد؛ لأن نجاحكم في هذه العملية دليل قوي سوف يؤكد للعالم أجمع أن هذا المسجد لا يصدر إرهابيين؛ بل يصدر علماء يخدمون الإنسانية. وبعد ذلك تابعت إكمال مهمتها التصويرية دون إعاقة.

لم أحظ بقسط وافر من الراحة طوال الأيام التي سبقت العملية، وانتابني إحساس بالقلق لقناعتي بأن وضع التوأم حرج، والتحدي كبير، والمسؤولية التي حملني إياها خادم الحرمين (ولي العهد سابقاً) ضخمة، كما أن وجود الإعلام الداخلي والخارجي؛ وخاصة متابعة قناة (سكاي) التي يشاهدها الملايين على امتداد العالم كله، والمقابلات الكثيرة التي أجريت، كل ذلك كان كافيًا ليدفعنا ويحفزنا إلى رسم صورة مشرقة ومشرفة للمملكة العربية السعودية؛ خصوصًا أن هذه العملية تُجرى بعد عدة أشهر من أحداث الحادي والعشرين من سبتمبر التي صورت الإسلام والمسلمين بصورة سوداء قاتمة هما منها براء، وكان لا بد من تعديل الصورة من جديد لنبيِّن للعالم أن الإسلام دين محبة ومودة وإخاء وعطاء.

أحمد يطلب رؤية السكين

حاولت في اليوم السابق للعملية الخروج مع أفراد أسرتي في نزهة قصيرة، محاولاً عزل مخيلتي عن جو العملية أو التفكير فيها؛ إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل. وبعد تناول عشاء خفيف لم استطع النوم فاستعنت عليه بأقراص مساعدة، وبالفعل تمكنت من النوم لساعات قليلة ثم نهضت قبيل الفجر وصليت ركعات ابتهلت فيها إلى الله أن يوفقنا في تجاوز هذا التحدي، وبعد أن أديت صلاة الفجر اتجهت بسيارتي إلى المستشفى مع إشراقة الشمس على الطريق السريع الذي لم يكن مكتظًا

التوأم الماليزي بعد انتهاء العملية

الفريق الطبي لعملية أحمد ومحمد

بحركة السيارات في تلك الساعة المبكرة، وكلما ارتفعت الشمس من خلف الجبال التي تغطي منطقة خشم العان خاطب نفسي بالقول لعل هذا الإشراق يكون إشراق نجاح إن شاء الله، دخلت المستشفى والتقيت بزملائي في غرفة العمليات في الساعة السابعة والربع صباحًا، وفي غرفة ما قبل العمليات التقيت كذلك بوالد التوأم فانطلق يسأل عن مدة العملية وطولها وعن تفاصيل التخدير، وما يمكن أن ينتج عن العملية من مضاعفات، ورغم أن أسئلته كانت مقلقة إلا أني أجبته عليها بمنتهى الهدوء حتى لا أثير شكه وانزعاجه، وعادة ما تكون الأسئلة التي تطرح قبل العملية مقلقة كثيرًا بالنسبة لأي جراح في بعض الأحيان.. كان الإعلام يتابع تحركاتنا خطوة بخطوة تسجيلاً وتصويرًا. ثم ودع الوالدان طفليها بالقبلات والدموع، وفي هذه اللحظة سألني الطفل أحمد صاحب الجسد الناحل والذكاء الملحوظ سؤالاً صعبًا هو: هل يمكنني رؤية السكين التي ستستخدمها في فصلنا؟ ثم هدا السؤال في نفسي كثيرًا وكادت تطفر من عيني دمعة، لكنني قاومتها وأجبته بأننا لا نستخدم سكينًا وإنما مشرطًا صغيرًا، وأنك لن تحس بأي ألم لأنك ستكون تحت التخدير الكامل، فسألني مستوثقًا: أمتأكد أنت من ذلك؟ وأنني سأنام وأصحو منفصلاً عن أخي؟ قلت له: إن شاء الله. ثم نظر إليَّ نظرة حادة قرأتُ فيها بعض الشك وعدم تصديق ما قلته له. لزمتُ الصمتَ بعد ذلك، وآليتُ على نفسي ألا أتكلم خوفًا من أن تفضحني مشاعري، ثم دخلت مع الأطفال إلى غرفة العمليات بعد توديع والديهما.

شائعة تسري داخل المستشفى

في غرفة العمليات بدأت أولى المراحل بالتخدير واستغرقت مدتها ما يقارب الساعتين ونصف الساعة، وأعقبت ذلك مرحلة التعقيم التي استغرقت وقتًا طويلاً؛ لأن مواقع الاشتراك كما ذكرت كانت كبيرة، ثم أجرى الزملاء من قسم المسالك عملية منظار لمنطقة المسالك البولية، وبعد تغطية التوأم شرعت مع الزملاء في جراحة التجميل بفتح الجلد بعد التأكد من أن التوأم تحت التخدير الكامل، وبدأنا بسم الله وعلى بركة الله في فتح الجراح التي سبق أن فتحت. كانت العملية صعبة بسبب وجود التصاقات كبيرة في البطن استغرق فكها ثلاث ساعات، وكانت ناتجة عن العملية السابقة التي أُجريت في ماليزيا، ثم أكملنا عملية فصل عظام الصدر من الأمام وفصل الكبد، وبعد مرور ست ساعات واجه التوأم أحمد مشكلة كبيرة إذ بدأ ضغطه يقل بينما تزداد نبضات قلبه، وحرارته ترتفع، فطلب مني طبيب التخدير التوقف.. كانت وسائل الإعلام تتابع تفاصيل عملنا بدقة، مع وجود اتصال مباشر بيني وبين والدي التوأم في غرفة العمليات، وكانت العملية منقولة على شبكة الإنترنت. وبناءً على طلب التخدير قمنا بتغطية الجراح، وتساءل الكل: ماذا حدث؟ ووجد مروجو الشائعات مادة خصبة مع هذا التوقف، وانطلقت شائعة في المستشفى بأن التوأم فقد حياته، وسادت حالة من القلق، فما كان مني إلا أن اتصلت بوالد التوأم عبر المايكروفون وطمأنته بأن المسألة لا تعدو أن تكون مجرد ارتفاع في الضغط والوضع غير مقلق البتة، فقط يلزمنا بعض الوقت لخفضه وتعديله وعليه ألا ينزعج، وحاولت كذلك شرح هذه المشكلة لوسائل الإعلام؛ ولكن من يصدق الفريق الطبي خصوصًا أن مساحة الشكوك متسعة في دوائر الإعلام الغربية عن قدرة العالم العربي والإسلامي في كل المجالات لاسيما الطبي منها. ولا أخفي أن نبضات قلبي أخذت في الارتفاع، وظهرت سمات القلق واضحة على وجوه أعضاء الفريق الطبي، وكان يلزمني والحالة هذه أن أبادر

لمسة حنان

أحمد ومحمد بالزي السعودي

لى طمأنتهم وإزالة مشاعر القلق لديهم؛ برغم أن حالي لم يكن بأفضل منهم.. وكان الجميع يراقبون نبض وضغط التوأم تحت لعملية؛ ولكن لا أحد فكّر أو طاف بخاطره قياس نبض وضغط الأطباء والجراحين داخل غرفة العمليات، ولو فعل أحد ذلك لتبيَّن له أن وضعنا الصحي حينها لا يقل صعوبة عن التوأم بسبب موجة القلق الكبيرة التي اجتاحتنا، استمر توقفنا لمدة ساعة ونصف الساعة تقريبًا، وتطلب الأمر أن يباشر فريق التخدير عملية تزويد التوأم بجرعات عديدة من الأدوية بجانب المضادات لحيوية والسوائل إلى أن تعدَّل الوضع واستقرت حالة أحمد، وكنت أفكر أثناء ذلك في السؤال الذي طرحه أحمد ونحن في طريقنا إلى غرفة العمليات، وتساءلت ما إذا كان هناك رابط بين سؤاله والحالة النفسية التي أمر بها الآن، وقلت لنفسي إنه ربما كان يقرأ المجهول، وكدت أصدق ما سبق أن قرأت في ملامحه من شكوك، ولكن كان فضل الله سبحانه وتعالى علينا كبيرًا إذ استقرت الحالة، ورفعنا الغطاء عن الجراح، وواصلنا إكمال مراحل العملية، وتمكنا من فصل الأمعاء والمسالك البولية والجهاز لتناسلي الذي واجهتنا فيه مشكلة كبيرة تمثلت في أنه جهاز واحد فلمن يُعطى أو يخصص!! وكان لا بد من متابعة الشرايين لدقة، ولما كانت هناك خصيتان فقد خصصنا واحدة لكل منهما، وخصصنا محمد بالعضو التناسلي نظرًا لأن الشرايين آتية من جسده؛ بينما خُصص العضو الضامر لأحمد. ثم تمكنا بعد ذلك من فصل الحوض وفصل الطرف الثالث برفع العظام واستخدام لعضلات والجلد لتغطية الفراغ بعد الفصل. وكانت المرحلة التالية في قلب التوأم، وإكمال عمليات الفصل من الخلف، ولم يتبق من الجلد سوى خمس سنتمترات لفصل أحمد عن محمد بعد مرور ما يقارب العشرين ساعة من العمل الجاد المتواصل دون توقف.. وفي هذه اللحظة وفي ظل متابعة وسائل الإعلام وتغطياتها بدأنا جميعًا في العد التنازلي، وبعد إكمال عملية الفصل لكامل علا التصفيق في غرفة العمليات وكذلك سمعنا من خلال مكبر الصوت تصفيقًا حاداً في الخارج وهتاف والدي التوأم. كانت لحظة حساسة وسعيدة في الوقت نفسه، لم يصدق عبد الرحيم والد التوأم وزوجته عينيهما وهما يريان طفليهما منفصلين عن بعضهما في طاولتين مختلفتين، وغشيتهما لهنيهة حالة من الوجوم وكأنهما في حلم لا في واقع ماثل أمامها.. وفي النهاية كملنا عملية تغطية الجراح، ونقل كل منهما على طاولة مستقلة لأول مرة في حياتهما، وشكلنا فريقين جراحيين يختص أحدهما أحمد والآخر بمحمد لإكمال تغطية الجراح وإعادة تركيب الأعضاء، واستغرق ذلك حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة.

وبعد عمل جاد ومتواصل ودؤوب وضغط نفسي كبير طوال ما يقارب أربع وعشرين ساعة اكتملت كل مراحل العملية بإغلاق الجراح، وفي هذه الأثناء اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) ليطمئن على وضع التوأم، فأخبرته بنتيجة العملية ونجاحها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم وجهني بأن أنقل التهنئة إلى الفريق الطبي كل على حدة، وأن أهنئ كذلك والدي التوأم.. ثم وقفنا جميعًا لالتقاط صورة جماعية توثيقية تعلو وجوهنا ابتسامات النجاح والفرح رغم ما نعانيه من آثار التعب والإرهاق والإجهاد؛ لأن نجاحنا نجاح للأمة العربية والإسلامية. مثّلت هذه العملية نقلة كبيرة؛ لأن ما لم يتحقق في ماليزيا وبريطانيا تحقق في بلاد الحرمين الشريفين منبع حضارة الإسلام ونور الهداية للعالم.

زيارة وزير الصحة السعودي

السفير الماليزي مع والدي التوأم

أبعدوني حتى لا نلتصق ثانية

على باب غرفة العمليات كانت وسائل الإعلام المحلي والماليزي والبريطاني تشكل حضوراً واضحًا، ولكن سبقهم جميعًا والدا التوأم، إذ أحاطني عبد الرحيم بذراعيه وعانقني بحرارة شديدة بينما كانت دموعه تنساب على رقبتي، وكان يتمتم بكلمات كثيرة باللغة الماليزية، ولذلك لم أدرك حجم تداعيات وجدانه ومدى تعبيره عن إحساسه وفرحه، ولكن من الواضح أنها تعبيرات عن شكر وامتنان، بينما احتضنت زوجته سرير محمد الذي خرج أولاً من غرفة العمليات وهي تبكي باستمرار. ثم تحولت إلى سرير أحمد ولم تستطع مقاومة دموع الفرح، شبكت يدي مع يد عبد الرحيم في طريقنا إلى غرفة العناية المركزة تصحبنا وسائل الإعلام والصحفيون.. وكان والدا التوأم يواصلان الحديث والتعبير عن شكرهما لخادم الحرمين (ولي العهد آنذاك)ولكل أعضاء الفريق الطبي، ويحمدان الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق وعلى تحقيق حلم كان عزيزًا وبعيد المنال . وفي العناية المركزة بدأت مرحلة جديدة في حياة التوأم، وهي مرحلة صعبة وحاسمة لأن العناية بالتوأم تحتاج إلى تركيز وعناية وخبرة كبيرة من الفريق الطبي، ولكن أمكن التعامل معها بعناية كاملة ودقة كبيرة، واستغرقت إفاقتهما حوالي ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع، وبعدها عادت الوظائف الحيوية إلى طبيعتها. وعندما صحا أحمد من المخدر وأفاق بعد عدة أيام من العملية كان أول سؤال له عن أخيه محمد، ولم يصدق أنه في سرير مختلف، وتأثر نفسيًا، وكان هذا متوقعًا وفق ما يسمى بصدمة الفصل، عقب ذلك عمدنا إلى تقريب سريريهما، فمدَّ كل منهما يده للآخر وقبلها، ثم شبكاهما مع بعضهما بشدة.. كانت هذه اللحظات مؤثرة في نفوسنا إلى حدٍّ كبير.. وفي هذه الأثناء طلبنا فريق الطب النفسي ليتولى التعامل معهما، فقرر المختصون تقريب سريريهما ولصقهما مع بعضهما حتى يتحدثا إلى بعضهما كلما استيقظا من نومهما. وبعد ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع غادرا غرفة العناية المركزة في طريقهما إلى جناح الأطفال ليباشر فريق التأهيل مهماته لتأهيلهما، وكانت عملية التأهيل في الجناح رقم (٧)، وهكذا عادا إلى نفس الغرفة الواقعة بالقرب من مركز التمريض. وطوال فترة بقائهما بالجناح كانا فرحين ومحبوبين من الجميع، وظل أحمد يردد ببراءة الأطفال وعفويتهم: أبعدوني عن أخي محمد حتى لا نلتصق مرة أخرى.. وبالطبع لا يلامان من خوف عودة الالتصاق بينهما لأن معاناة الالتصاق قاسية والحركة صعبة وفضول المجتمع أصعب. وبالفعل نجحت عملية التأهيل خلال شهرين ونصف الشهر، وخلال شهر آخر تم تركيب الطرف السفلي الصناعي، وبعد اكتمال هذه المرحلة تقرر خروجهما من المستشفى، وبعد الخروج استقبلهما خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) في منزله بصحبة والديهما، ورحب بالتوأم ترحيبًا حارًا وقبلهما ثم هنأ الأبوين بنجاح العملية وقدَّم للطفلين هدايا تذكرهما بهذا الموقف والتقط معهم صورة جماعية، كما استقبل أعضاء الفريق الطبي وهنأهم على هذا النجاح ثم توسَّطهم لالتقاط صورة جماعية معهما، وكان ذلك موقفًا إنسانيًا ذو مشاعر جياشة سيبقى في الذاكرة طوال الحياة.

زيارة ممثل الأمم المتحدة

زيارة السفير الماليزي

عاد التوأم إلى ماليزيا، وبلغ سن العاشرة في هذا العام الذي نُوثّق فيه عبر هذا الكتاب الخبرة والتجربة السعوديتين في مجال جراحة الأطفال السياميين، وهما الآن في المدرسة ومن المتميزين بين أقرانهما على مقاعد الدراسة، وفي هذا السن عادا مرة أخرى إلى المملكة العربية السعودية واستقبلهما خادم الحرمين الشريفين في مزرعته واطمأن على صحتهما، والتقطت لهما معه يحفظه الله صورة تذكارية.

زيارة رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد للتوأم الماليزي

obeikandl.com

obeikandl.com

من أرض الكنانة إلى عاصمة الانسانية

شعبان ١٤٢٤هـ/ أكتوبر ٢٠٠٣م

obeikandl.com

obeikandl.com

من أرض الكنانة إلى عاصمة الإنسانية

شعبان ١٤٢٤ هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م

حماته تواسيه وتخفف عنه

لم يدر بخلد السيد أحمد وزوجته اللذين يعيشان في مدينة القاهرة أن يرزقا بتوأم؛ بل كان حلمهما وأملهما أن يرزقا بطفل يضيف على حياتهما الزوجية طعمًا من السعادة ينعش بيتهما ببراءته وابتساماته العذبة، ولو علما بالتوأم لتضاعفت سعادتهما. كانت الزوجة (ريما) تأمل في أن يرزقها الله بطفلة تداعبها وتسلِّيها أثناء سفر زوجها الذي يعمل خارج مصر، وبالفعل حملت وظهرت عليها علامات الحمل وبدأت آثاره من وحم وتعب وإرهاق تزداد عليها، وكانت تتابع مراحل حملها مع طبيبة مختصة لم يتبين لها أثناء الحمل وجود توأم، كانت الأم دائمة القلق، وتثور علامات الاستفهام في ذهنها عن موعد الولادة، متى وأين؟ وكان حديثها مع زوجها يتركز على اختيار الاسم المناسب، وهي لا تعلم ما بداخل رحمها، وفي نهاية أشهر الحمل قرر الأطباء إجراء عملية قيصرية نظرًا لتعسر إمكانية الولادة بصورة طبيعية، وبالفعل أجريت العملية في أحد المستشفيات بينما كان الزوج يجلس خارج غرفة الولادة متلهفاً للخبر السار بمقدم مولوده البكر، وبعد ساعات من الانتظار خرج الطبيب ليخبره بولادة توأم، فرح أحمد واستبشر، غير أن الطبيب أردف هذه البشرى بكلمة: لكن.. والتي أكملها بعبارة: المولود توأم ملتصق!! كانت هذه المعلومة مثل وقع الصاعقة عليه، وتساءل ماذا تعني بتوأم ملتصق؟ شرح له الطبيب معنى الالتصاق وتفاصيل التوأم وأخبره أنهما بنتان ملتصقتان في منطقة الصدر والبطن، وجم أحمد ولم ينبس بكلمة؛ بل ظل ساهمًا شارد الذهن لا يعي ما يتحدث به الطبيب.. واستحوذ عليه التفكير في الغد، وفي كيفية إطلاع زوجته على هذا الخبر المزعج بعد إفاقتها من المخدر. وكانت بصحبة أحمد والدة الزوجة التي أرسلت دموعها غزيرة حين طرق أذنيها خبر التصاق حفيدتيها، ومع ذلك جلست بجواره تحاول التخفيف عنه، ولكن دموعهما المتهمرة لم تتح لهما مجالاً لصفاء الذهن والتفكير السليم. وبعد فترة صمت طويلة ممتدة تحركت شفتا الجدة بالحمد لله والشكر له على عطائه، وخاطبت زوج ابنتها تذكره بأن لكل كربة مخرجًا، وتدعوه إلى التماسك حتى يدخل إلى زوجته وسط الجأش، وقلبه ممتلئ بالثقة وبالرجاء في الله سبحانه وتعالى. وما أن أفاقت ريما حتى أبصرت زوجها ووالدتها أمامها يهنئانها بالسلامة، فكان أول سؤال طرحته عليهما: ولد أم بنت؟ تلعثم احمد وانعقد لسانه، وتولت والدتها إخبارها بأنها وضعت توأماً بنتين، ففرحت فرحًا شديداً وحمدت الله على هذه الهبة العظيمة، وقالت علينا الآن اختيار اسمين لهما، وسردت قائمة من الأسماء المرشحة لاختيار اثنين من بينهما؛ إلا أن زوجها قاطعها بأن التوأم لديه مشكلة بسيطة، علت الدهشة وجهها وصرخت متسائلة: ما هي المشكلة؟! أخبرني، أفدني؟ ومع استفهاماتها المتلاحقة لم يتمالك أحمد نفسه فبكى أمامها، ولشك هذا الموقف أن يدفعها إلى انهيار كامل، وكانت تتلهف بشدة إلى إجابة شافية تزيل حيرتها، أمسكت والدتها بيدها بحنان، ثم أخبرتها أن التوأم ملتصق.. فصاحت تنادي الممرضة وتسألها ما معنى ملتصق؟ فبينت لها أن جسدهما ملتصق من الأمام، ومثل هذه المشكلة نادرة جداً، لم تشبع هذه الإجابة نهمها بشكل يحقق اطمئنانها على بنتيها،

تاليا وتالين عند الوصول

فانهارت وازدادت حدة انفعالاتها وصراخها، فطلبت الممرضة من والدتها وزوجها مغادرة الغرفة ريثما تهدأ وترتاح وتستقر حالتها النفسية، ثم أعطتها جرعة من الأقراص المهدئة لتحقيق ذلك.

ريما تستغيث بأبيها!!

أفاقت الزوجة من نومها بعد عدة ساعات، وعلى الفور طلبت استدعاء الطبيب المناوب ولكنه ضاعف من همِّها وغمِّها حين لم تجد عنده إجابة شافية ومقنعة؛ ولم تصدق ما ذكره لها من أن هذا الالتصاق يعدُّ أحد العيوب الخلقية، وقد تنفصل البنتان عن بعضهما ذاتياً دون جراحة، وتيقَّنت بأنه يحاول تهدئتها وطمأنتها تخفيفًا لما أصابها من صدمه وقلق وانزعاج، ثم طلبت استدعاء طبيب آخر قال لها بدوره إن مثل هذه الحالة نادرة وتحتاج إلى مركز متخصص للتعامل معها. نسيت ريما قائمة الأسماء التي أعدتها، ولم تعد تفكر في اختيار اسمين من بينها لطفلتيها، ثم نادت على زوجها وأمها وما أن رأتهما حتى انفجرت باكية بكاء مريرًا، بذلت أمها جهدًا كبيرًا في تهدئتها وإعادتها إلى حالتها الطبيعية، وخاطبتها تذكرها بضرورة الاعتماد الكامل على الله جل وعلا وتفويض الأمر إليه، وأن لكل مصيبة مخرجًا ولكل همٍّ فرجًا، وأنه سبحانه وتعالى سيوفقنا في حل مشكلة التوأم، ولذا يجب أن تتفقي مع زوجك على اسميهما لكي يتمكن من تسجيلهما واستخراج وثائق الولادة. خرجت الجدة وبدأ أحمد يخفف عن زوجته أثر الصدمة، ثم شرعا في اختيار اسمين لهما، وأخيرًا استقر اختيار ريما على اسمي (تاليا وتالين). وبعد ذلك بدأت رحلة البحث عن حل للتوأم، وتمثلت أولى الخطوات في اتصال ريما بأبيها الذي يعمل في المملكة العربية السعودية وأخبرته بولادتها بتوأم ملتصق، تحدثت إليه والعبرة تكاد تخنقها وتمنعها عن الكلام، تأثر والدها كثيرًا وشاركها بكاءها وانفعالاتها، ثم طمأنها وطلب منها ألا تقلق أو تنزعج، ووعدها بأن يسعى ويبذل جهدًا كبيرًا في إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة؛ لا سيما وأنه سبق أن سمع عن مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض وخبرتها في مجال الأطفال السيامية، وعن عمليات الفصل التي أجريت فيها، ولذلك طلب على عجل تزويده بالتقارير اللازمة عن الولادة والتوأم من المستشفى الذي استقبل الحالة بالقاهرة وأشرف على عملية الولادة القيصرية. وبمجرد أن تسلم التقارير المطلوبة أجرى عدة اتصالات بالمستشفى، كان آخرها الاتصال على مكتبي طالبًا الموافقة على مقابلتي. وبعد حصول عبد الكريم والد الزوجة وجدِ التوأم على الموافقة جاء إلى مكتبي في أحد أيام الشتاء الباردة، وطلب لقائي منفردًا، لا أعرف الرجل ولم يسبق أن تعرفت عليه. أذنت له بالدخول فلما رآني حيَّاني بحرارة وقال قصدتك طالبًا المساعدة في مشكلة ابنتي التي رزقت بتوأم إناث ملتصق في أحد مستشفيات القاهرة، ثم عرض مجموعة التقارير المتعلقة بالحالة، فطلبت منه التريث حتى أتمكن من الاطلاع على التقارير ومراجعتها، وبعد قراءتها كاملة أوضحت له أن هذه الحالة هي حالة توأم سيامي، وإمكانية مساعدة تاليا وتالين ممكنة في هذه المدينة والخبرة متوافرة؛ ولكنني سأعرض الأمر على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) للحصول على توجيه باستقبال التوأم. طلبت منه تزويدي برقم هاتفه ووعدته بالاتصال به في وقت قريب إن شاء الله، وفي مساء اليوم نفسه استقبلني خادم الحرمين (ولي العهد آنذاك)، فأوضحت له الحالة واطلع حفظه الله على صور التوائم، ثم وجه على الفور بإحضار التوأم وإحاطته بكامل الرعاية

صورة الهيكل العظمي

منطقة الإتصال

تقديم العلاج المناسب له، وبعد خروجي من القصر مباشرة اتصلت بجد التوأم ونقلت له الخبر السار بالموافقة الكريمة، فحمد الله كثيراً وقال سوف اتصل الآن بابنتي وزوجها لأنقل لهما هذه البشرى السعيدة، وطلبت منه التوجه إلى قسم العلاقات العامة للشروع في التنسيق مع أسرة التوأم حول إجراءات انتقالها من مصر إلى المملكة العربية السعودية حسب توجيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك).

مشكلة في قلب تالين

بعد أسبوعين وصلت الأسرة إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض وكان في استقبالها فريق طبي وسيارة إسعاف، ثم نقلت مباشرة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وكنت في استقبالها، وعلى الفور نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧٠) الذي اشتهر بالتعامل مع الحالات السيامية، وخصصت الغرفة رقم (٧) أيضاً لاستقبال هذه الحالات، ومن ثم أجرينا فحصًا كاملاً للتوأم، وطلبنا بعض الفحوصات الأولية، وبعد استكمالها قابلتُ والدي التوأم وجدَّهم وجدَّتهم وأوضحت لهم أن حالة تالين ليست معقدة، وإمكانية الفصل واردة، ولكن هناك فقط مشكلة في قلب تالين أظهرها الفحص الأولي مما يستدعي إجراء فحوصات إضافية، وقد نحتاج كذلك إلى بعض الوقت لإجراء مزيد من الفحوصات.

ضم الفريق الطبي الذي تشكَّل للتعامل مع هذه الحالة: قسم الأطفال، جراحة الأطفال، العناية المركزة للأطفال، التخدير، التجميل، التمريض والفنيين المختصين وممرضات غرفة العمليات والتأهيل الطبي، وعقدنا أول اجتماع لنا بعد وصول التوأم بيومين شرحت فيه لأعضاء الفريق حالة التوأم وعرضت عليهم بعض الصور المتعلقة بها ونتائج الفحوصات الأولية، وبعد استعراض كل ذلك اتضح وجود اشتراك في منطقة أسفل الصدر والبطن، كما أوضح فحص القلب وجود عيوب خلقية في قلب تالين وهي عبارة عن ثقب بين البطينين مع هبوط بسيط في القلب. طلبنا بعض الفحوصات الدقيقة واتفقنا على الاجتماع بعد أسبوع. وفي الاجتماع الثاني استعرضنا بمشاركة الزملاء في قسم الأشعة الفحوصات والأشعة التي أجريت بناء على طلبنا، ثم راجعنا حالة التوأم بتفصيل، وتبيَّن لنا بعد المراجعة وجود اشتراك في أغشية القلب والكبد واشتراك آخر بسيط في الأمعاء، واتفق كافة أعضاء الفريق على إمكانية الفصل بنسبة نجاح تربو على ٨٠٪ بمشيئة الله، وفي ضوء كل ذلك قررنا إجراء عملية الفصل بعد أسبوعين من ذلك، وحدد لها يوم السبت ٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ٤ إكتوبر ٢٠٠٣م على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية، أي في يوم الأربعاء ١ إكتوبر ٢٠٠٣م، وصل وزن التوأم مجتمعًا إلى الوزن المثالي وهو حوالي ٩ كيلوجرامات. وفي الساعة الرابعة من عصر يوم العملية الوهمية حضر الفريق الجراحي في غرفة العمليات وأعددنا خطة جراحية مكتوبة كاملة وشاملة لكل تفاصيل العملية تجري على سبع مراحل، وراجعنا كل هذه المراحل وتأكدنا من جاهزية غرفة العمليات، واتفقنا على اللقاء في الساعة السابعة من صباح يوم العملية الأساسية، لنبدأ عملنا في السابعة والنصف. شرحنا تفاصيل الحالة لوالدي التوأم وكانا على قناعة تامة بكل المجريات، واتفقنا على اللقاء معهما مرة أخرى قبل العملية بنصف ساعة. وفي اليوم السابق لموعد العملية اتصلت بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وشرحت له تفاصيل

جدة تاليا وتالين ودمعة وداع قبل دخول غرفة العمليات

عملية فصل الكبد

الحالة، وأكدت له إمكانية نجاح العملية، وأنها ستُجرى في الغد إن شاء الله، وكعادته حفظه الله أوصاني وزملائي بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه في كل خطواتنا وأن نطمئن بأن النجاح سيكون حليفنا بمشيئته جل وعلا، ثم دعا لنا بالتوفيق، فودعته عبر الهاتف بكل شكر وتقدير.

نقل حي على الهواء

وفي ليلة العملية ذهبت إلى النوم مبكرًا كالعادة وصحوت مبكرًا، ووصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة صباحًا، والتقيت بزملائي ثم بوالدي التوأم مع توأمهما بغرفة التجهيز قبل العملية بربع ساعة كي أتيح لهما فرصة طرح أي سؤال يخطر ببالهما في تلك اللحظة، وليطلبا أي معلومات قد يحتاجان إليها.. وأخبرت جميع أفراد الأسرة الأب والأم ووالدها ووالدتها بأن العملية ستكون منقولة لأول مرة حيًّة على الهواء عن طريق التلفزيون لأن الإعلام بدأ يهتم بمثل هذه الحالات بعد أن أصبحت تمثل واجهة للعالم العربي والإسلامي، وطلبت منهم الحضور في قاعة الاجتماعات حتى تتسنى لهم مشاهدة العملية مباشرة والاتصال للحصول على أي معلومات مني أو من زملائي مباشرة. حانت مني التفاتة إلى أعين والد التوأم ووالدته فرأيت الدموع تنحدر منها بغزارة، وانهمرت القبلات من أفراد الأسرة على البنتين، وهما بدورهما ودعتاهم برفع الأيدي والتلويح بها.

دخلنا غرفة العمليات في الساعة السابعة والنصف صباحًا، وشرع فريق التخدير فورًا في مهماته، وتلا ذلك عمليات التعقيم حسب الخطة.. وبعدها مباشرة بدأنا عملية الفتح باسم الله وعلى بركة الله تعالى، وتمثلت المرحلة التالية في فتح عظام وعضلات الصدر وعظمة القص، ثم وجدنا اتصالاً في أغشية القلب وتمكنا من فصلها، وإبعاد قلب تالية عن قلب تالين. وإقفال الأغشية مرة أخرى، وبعدها تم فصل الكبد وفصل الاتصال البسيط في الأمعاء، وأخيرًا بدأ العد التنازلي لإكمال عملية الفصل وشارك فيه البث الحي عن طريق التلفاز، واكتملت كل مراحل العملية كما خطط لها بفصل الطفلتين عن بعضهما وكانت الفرحة عارمة مصحوبة بتصفيق حار شاركنا فيه والدا التوأم، ولأول مرة انتقلت تاليا إلى سرير منفصل عن تالين في غرفة العمليات، وأعقب ذلك تغطية الفراغ بعد الفصل، واستغرقت مدة العملية حوالي تسع ساعات. ونقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث قابلنا جميع أفراد الأسرة عند باب العمليات وكان العناق حاراً، ودموع الفرح تنساب على الخدود، وصحبوا جميعهم التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا لمدة أسبوع نُقلتا في نهايته إلى جناح الأطفال رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل التي استغرقت مدتها حوالي ٤ أسابيع، ثم خرجتا من المستشفى لتتلقاهما أيادٍ عطوفة وحنونة إذ طلب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) استقبال التوأم وأسرته في مكتبه الخاص بالحرس الوطني. وبالفعل انتقلت كامل الأسرة بصحبة الفريق الطبي إلى مكتبه حفظه الله حيث استقبل التوأم استقبالاً حاراً، وهنأ الأسرة على نجاح فصل الطفلتين وشفائهما، كما هنأ الفريق الطبي على نجاحه وتوفيقه، والتقطت له يحفظه الله صورة تذكارية مع التوأم والأطباء، وقدم هدايا للأطفال، ثم قلد الأطباء أوسمة تقديرًا لجهودهم، وكان هذا هو الدعم الإنساني الكبير من هذا الإنسان الكريم

الفريق الطبي

زيارة معالي الدكتور عصمت عبدالمجيد

فريق وللأطفال. بعد ذلك غادر التوائم إلى جمهورية مصر العربية، ثم عاد التوأم بعد عام إلى الرياض للمتابعة، وأجريت عملية تصحيح لقلب تالين نجحت نجاحًا باهرًا ولله الحمد والمنّة ثم عادتا إلى بلديهما. وعندما بلغ عمرهما الخامسة عادتا مرة أخرى إلى الرياض للفحص والمتابعة، واتضح أنهما في حالة صحية جيدة، واستقبلهما خادم الحرمين الشريفين في مزرعته مع بقية التوائم في حشد رائع وبهيج والتقطت له صورة جماعية مع كل التوائم ووالديهم.

تاليا وتالين عند الخروج من المستشفى

obeikandi.com

obeikandl.com

١٠

بُـعد عالمي

محرم ١٤٢٥هـ/ مارس ٢٠٠٤م

obeikandl.com

بُعد عالمي

محرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤م

لسعودية على ألسنة الملايين

تمامًا كما أعطى التوأم الماليزي بُعدًا إسلامياً لهذه الخبرة العالمية الإنسانية؛ ها نحن نستقبل توأماً من أقصى شرق آسيا، من دولة الفلبين ليـ فَّر بُعدًا عالمياً وزخماً إعلامياً دولياً جعل أسم المملكة العربية السعودية أهزوجة لطيفة على ألسنة مئات الملايين من البشر، حمدنا الله سبحانه على تنامي هذه الخبرة وبلوغها إلى العالمية، الخبرة السعودية التي عززت قيم الدين الإسلامي، وأكدت رحابة مبادئه ومفاهيمه وإنسانيته التي تسع كل الشعوب، وأعطت أنموذجاً حياً ومتميزًا على سماحته مع مختلف أهل الديانات والمذاهب والمشارب، فالوطن الذي أعطانا ورعانا وأهَّلنا؛ لجدير ببلوغ هذه الشهرة الطبية العالية. أسرة التوأم الفلبيني تعتنق الديانة المسيحية، وقد شملتها أريحية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وأظهرت هذه الموافقة بُعد النظرة والحكمة في قراره حفظه الله، فقد نقلت وسائل الإعلام الفلبينية أن الديانة الإسلامية بدأت تلامس قلوب كثير من غير معتنقيها في الفلبين، ذلك أن الدين الذي لا يُفرِّق بين بني البشر، ويملك الاستعداد لاستيعاب كل جراحات الإنسان؛ لا شك أنه دينٌ عالمي.

كانت هذه الأسرة فقيرة تعيش على الكفاف في قلب قرية تبعُد عن العاصمة مانيلا مسافة ليست بالقليلة، وكانت تتأهب وتستعد لاستقبال طفل جديد رغم العَوز والفقر الشديدين الذين يجوسان داخل منزلها الصغير الذي لا تزيد مكوناته عن غرفة واحدة وصالة صغيرة، منزل يكشف مظهرًا واضحًا من التواضع والبساطة. فالأب يعمل بأجر زهيد لا يكاد يكفي قوته لأيام قليلة، وليس له أي دخل آخر يعينه على مؤونة عيشة. ما كان الأبوان يدريان ما يخبئه لهما القدر، وفي نهاية مراحل الحمل جاءهما الخبر بأن الزوجة تحمل توأماً.. فقرٌ مدقعٌ وإمكانات محدودة، وظروف مالية صعبة لا تؤهلهما لاستقبال طفل واحد فضلاً عن توأم، وعما زاد الأمر سوءًا أن ولادة التوأم تتطلب إجراء عملية قيصرية بسبب تعسُّر الولادة العادية، ازداد الهمُّ على والد التوأم الذي اضطر إلى استدانة مبالغ كبيرة لمقابلة تكاليف العملية القيصرية، شعر أن العبء النفسي والمالي يزداد ثقلاً وصعوبة. ذهب إلى المستشفى، وظل ينتظر لحظة الولادة وهو شارد ساهم يتوزع تفكيره بين المخاطر التي تتهدد حياة زوجته وطفليه، والديون التي أرهقت كاهله ولا يدري كيف السبيل إلى سدادها!! وتجول في خاطره أحيانًا أسئلة كثيرة حول التوأم القادم، كيف يتمكن من رعايته وهو يكدح ويتعب طوال يومه من أجل لقمة العيش؟ أين الإمكانات التي تساعده في تحقيق متطلباته من تغذية ومأكل وملبس ومشرب؟ كيف تتعامل الأم مع التوأم؟ ومن أين له الوقت لمساعدتها؟ هل يقوى على رعايتهما حتى يكبرا؟ وإن مرض أحدهما أو كلاهما فمن أين له بمصروفات العلاج؟ مشكلات كثيرة في انتظاره. دارت في مخيلته وزادت حيرته وهمومه!! وبينما كان في غمرة شروده وتفكيره؛ انتبه على صوت الطبيب وهو يخبره باكتمال عملية الولادة، وقبل أن ترتسم الابتسامة على وجهه؛ أردف الطبيب بأن التوأم ملتصق (سيامي)، لم يستوعب معنى كلمة (سيامي)، وما أن شرح له الطبيب معنى المفردة حتى شعر وكأن صاعقة تضربه فوقع على الأرض كالمغشي عليه، تأثر وبكى كثيرًا، حاول أن يتمالك نفسه ولكن الصدمة كانت كبيرة

آن وماي قبل العملية

صورة لحوض آن وماي

وآثارها عميقة، وأدرك أن هذه الحالة غير عادية وصعبة ومعقدة، ويتطلب علاجها تكاليف باهظة، ولا بد من البحث عن دولة أو مراكز متخصصة تتوافر فيها الخبرة الكافية لعلاج مثل هذه الحالات، اتصالات وسفر وتكاليف إقامة وفحوصات وعلاج.. عبء لا يقوى عليه جسده الناحل ودخله المتواضع، وإذا عجز عن علاج طفلتيه؛ فهل تستطيع الأسرة التعامل مع الحالة؟ وهل تتحمَّل تطفل الفضوليين من أهل القرية؟

استجابة غير متوقعة

نهض الأب من على الأرض وقصد غرفة زوجته مهمومًا تزلزل المحنة كيانه، ولما التقت أعينهما انفجرا باكيين بكاءً مريرًا كاد يمزق أضلعهما، حاولت الزوجة رغم انكسارها التخفيف عن زوجها إلا أن عواطفها وأشجانها غلبتها؛ فاكتفت بإرسال الدموع تجري على خديها. وبعد أيام خفَّت حدة الهموم، وتضاءلت آثار الصدمة، وبدأ التفكير في البحث عن حل لهذه المشكلة، المشوار طويل وصعب، وعدم توافر المعلومات وعدم معرفة الجهة التي يمكنها معالجة هذه المشكلة شكلا عائقين أساسيين أمام تحرك الأب الذي أحس أن الدنيا تدور به وتسْوَدُّ أكثر فأكثر أمام ناظريه، لا حيلة ولا سند، أقرباؤه في قريته لا يملكون غير نظرات الإشفاق، مساعداتهم لا تتعدى عبارات المواساة، أحسَّ وهو يتمعَّن في عيون أهل قريته متوسّلاً ومستعطفًا أن معظمهم لا يلتفتون إليه ولا يأبهون لحالته، ويمضون وكأن الأمر لا يعنيهم. بعضهم فضوليون، وآخرون يصرفون وجوههم بعيدًا ويتأفَّفون، أكد له بعض أصدقائه أن مثل هذه الحالة يمكن علاجها خارج الفلبين.. تأوَّه وزفَرَ بعمق والحزن يكاد يفطر قلبه ويزلزل كيانه، تحدَّرت دمعات حرَّى على وجنتيه وهو يتساءل؛ ما السبيل إلى تجاوز هذه المحنة؟ أنا عاجز عن التحرك داخل بلدي؛ فكيف بي خارجها..؟! تملَّكته الأحزان والآلام، ترك نفسه فريسة للهموم تطحنه طحن الرَّحى؛ وبينما هو في هذه الحالة الكئيبة التي تعطَّل فيها تفكيره وخارت قواه، وأصبح كالمشلول؛ نصحه أحد جيرانه بعدم الاستسلام للكآبة واليأس، واقترح عليه مخاطبة فرع إحدى الجمعيات البريطانية الخيرية العاملة في مانيلا لعله يجد عندها مخرجًا يفتح له أبواب الأمل، حزم أمره واستعان بالمصروفات التي استدانها من أحد أقربائه في السفر إلى العاصمة حيث الجمعية المشار إليها، وبواسطتها بعث رسالة استغاثة عبر وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية، كانت رسالة استعطاف واسترحام للعالم، كان يحلم ويتطلع إلى إحدى الدول الغربية الغنية التي تتوفر فيها الإمكانات الطبية والتقنية، والقادرة على التعامل مع هذه الحالة؛ ولكن خاب أمله حين لم تتجاوب أي دولة غربية مع استغاثته التي أطلقها..ولم يكن يتصور،بل لم يدر بخلده أن تصل هذه الرسالة إلى رجل بر رحيم، والد و نسن عظيم في بلاد الحرمين الشريفين، إلى الملك عبدالله (ولي العهد آنذاك)، وبينما كان ينتظر ويؤمِّل في أن تتكرَّم دولة غربية باستقبال طفلتيه؛ لامست الرسالة قلب الإنسان والوالد العطوف الملك عبد الله، فما أن اطَّلع حفظه الله عليها حتى أصدر على الفور توجيهًا بنقل التوأم وأسرته إلى الرياض وعلاجه على نفقته يحفظه الله بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض. سمع الأب الفقير والأم المسكينة بالخبر ففرحا فرحًا شديدًا وتأثرا كثيرًا لأنهما ما كانا يتصوران أن تأتيهما الاستغاثة من دولة مسلمة؛ ولم تسعفهما تجربتهما المحدودة في أن يجدا المساعدة من قائد مسلم؛ بل كانا يتوقعانها من دولة غربية، أو أن تتحمَّل حكومة بلدهما

فصل الجهاز البولي

الفريق الطبي لعملية آن وماي

تكاليف العلاج. ولكن أتاهما المخرج من القائد الإنسان الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك).. وأدركا أن هذا عطاء إنساني يفوق تصوراتهما، ويتجاوز اعتقاداتهما التي تحصر أعمال الخير في المنظمات الخيرية الغربية، كانت المفاجأة كبيرة لم تحتملها عواطفهما؛ فانهمرت دموعهما من شدة الفرح.

استبدَّت الحيرة بوالد التوأم؛ هل يسافر مع زوجته أم يبقى؟ فقره يتحكَّم في قراره، فإن غلبته عاطفة الأبوة وسافر مع أسرته؛ سيخسر وظيفته ويصبح عاطلاً عن العمل، وإن آثر البقاء فلن يقوى على تحمل هموم الابتعاد عن أسرته وهي في شدتها ومحنتها بحاجتها إليه، القرار صعب؛ غير أن مرارة العيش أشد قسوة وألمًا، وأجبرته صعوبة الحياة إلى قبول أخف الأمْرَيْن: البقاء رغم ما يمكن أن يعانيه من هواجس وخوف وقلق. طلب من شقيقة زوجته مرافقتها بدلاً منه، وهكذا كان القرار.

ن وماي في الرياض

وصل التوأم إلى أرض السلام بلاد الإنسانية ومنها إلى مدينة الرياض، وكانت الأم الضعيفة حائرة وقلقة ومتهيبة من وجودها ي دولة تجهل لغتها وعاداتها، ولكن كان همُّها مركزًا على توأمها وإمكانية علاجه، ومما خفف عليها وأزال هواجسها وأبعد عنها لخوف وجود الفريق الطبي وإحدى الممرضات الفليبينيات في استقبالهما بالمطار، ونقل التوأم بمرافقة الأم وأختها إلى مدينة الملك عبد العزيز الضبية للحرس الوطني حيث كنت في استقبالهم مع زملائي عند مدخل المستشفى، ثم نقلنا الطفلتين إلى الغرفة رقم (٧) في جناح الأطفال رقم (٧) وأخضعناهما إلى فحص دقيق تضمن بعض الفحوصات الأولية، وبعد ذلك تحدثت مع والدتهما شرحت لها عن طريق مترجمة تفاصيل الحالة، وأخبرتها باشتراك الطفلتين في البطن والحوض، وأن الحالة معقدة وتستدعي جراء مزيد من الفحوصات الدقيقة كي نخرج بقرار إيجابي، وبيَّنت لها أن هذه الفحوصات ضرورية رغم تفاؤلنا بنجاح فصل لتوأم. وبعد ذلك شكلت الفريق الطبي الذي ضم حوالي ستين شخصًا من التخصصات المعنية، واجتمعنا بعد وصول التوأم مين، وواصلنا دراسة الحالة، واستعرضنا الصور الخاصة بها، وطلبنا إجراء فحوصات شاملة ودقيقة، ثم قررنا عقد اجتماع خر بعد أسبوعين، وبالفعل أجريت الفحوصات المطلوبة التي شملت أشعة مقطعية ومغناطيسية وأشعة ملونة للجهاز البولي والتناسلي والجهاز الهضمي. وعقب إكمال الفحوصات اللازمة ترأست اجتماعًا استعرضنا فيه حالة التوأم، ثم عرض الزملاء في قسم الأشعة تفاصيل الحالة واتضح لنا وجود اشتراك -كما ذكرت- في البطن والحوض، علاوة على اشتراك في الجهاز الهضمي والأمعاء الغليظة وفتحة الشرج، واشتراك في الجهاز التناسلي والجهاز البولي. كما اتضح لنا أن هذه الحالة تتسم بالغرابة والندرة حتى على مستوى العالم؛ فقد كان للطفلة (آن) عيب خِلْقي عبارة عن تكيُّس بالفص الأوسط للرئة من الجهة اليُمنى مما شكل عضلة كبيرة للفريق الطبي؛ بل ويمكن أن يُعدَّ تهديدًا لعملية الفصل؛ ولكن بعد مناقشات طويلة بين الفريق الجراحي وفريق التخدير، ثارت تساؤلات: هل نجري عملية لاستئصال ذلك الفص لأنه يؤثر على التنفس، ثم نجرى عملية الفصل بعد أسبوع من ذلك؟ أو ندمج العمليتين معًا؟ وبعد دراسة علمية مستفيضة للحالة؛ قررنا جميعًا دمج العمليتين، أي إجراء عملية استئصال تلك الفص المعيب بالرئة، ثم الاستمرار في عملية الفصل تحت تأثير نفس المخدر حفاظًا على حياة التوأم، لقد كانت تلك حالة

دموع لاتجف قبل العملية

زيارة وزير الصحة الأمريكي للتو م الصبيني

نادرة، وربما كانت الأولى من نوعها على هذا المستوى، ولكن قرارنا كان صائبًا بالفعل. اتفق الفريق الطبي على إجراء العملية يو م السبت ٢٩ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠٠٤م بعد أن وصل التوأم إلى الوزن المثالي وتهيأت الظروف المناسبة، على أن تسبقها بيومين عملية تجريبية وهمية. توليت شرح هذه التفاصيل لوالدة التوأم التي أعربت عن تفاؤلها، وابتسمت وفرحت وتلهفت إلى فصل ابنتيها (آن وماي)، وأتحنا لها مع أختها حضور العملية التجريبية الوهمية، ووافقت على إجراء العملية.. ثم راجعنا خطوات العملية التي كانت تتكون من عشر مراحل وفق التصور الذي حددناه مسبقًا، واتفقنا على اللقاء في اليو م المحدد للعملية.

إنجاز علمي جديد

شكلت هذه العملية نقلة وبُعدًا عالمياً، فقد صحبها اهتمام واضح من وسائل الإعلام. وبعد العملية التجريبية الوهمية ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وشرحت له تفاصيل العملية، وكعادته حفظه الله يحرص على رفع درجة الثقة لدى أعضاء الفريق الطبي، فأمرنا بالاعتماد على الله، وأن نكون متفائلين، ثم استأذنته في الذهاب إلى مكة لأداء العمرة، وأنا أسأل الله التوفيق، وبالفعل اصطحبت زوجتي إلى مكة يو م الخميس حيث أدَّينا مناسك العمرة، ودعونا الله كثيرًا أن يوفقنا في هذه العملية وغيرها خدمة لبلدنا المملكة العربية السعودية وللأمة العربية والإسلامية، ولنُبين للعالم أجمع الوجه الصحيح لسماحة الدين الإسلامي. غادرت مكة المكرمة بعد صلاة الجمعة، وفي المساء خلدت إلى الراحة مبكرًا واستيقظت مع أذان الفجر، وبعد أداء الصلاة تناولت إفطارًا خفيفًا ثم توجهت إلى المستشفى والتقيت مع أطباء قسم التخدير في الساعة السابعة صباحًا، وبعد اكتمال بقية الزملاء عقدنا اجتماعًا في الساعة السابعة والربع، وفي هذه الأثناء تم إحضار التوأم إلى غرفة العمليات بصحبة الأم وأختها، وقدمت لهما شرحًا عن تفاصيل العملية مرة أخرى، ثم أبلت الأم تقبِّل طفلتيها وعيناها تدمعان بغزارة، فاحتضنتها بعض الممرضات الفلبينيات واصطحبنها إلى غرفة الاجتماعات حيث تعرض العملية على شبكة التليفزيون الداخلية. بدأت العملية بالتخدير ثم عملنا على فتح صدر التوأم (آن) واستأصلنا الفصر المُتكيِّس خلال ما يقارب الساعة ونصف الساعة، وتمثلت المرحلة التالية في تعقيم التوأم وإجراء منظار للمسالك البولية، وبعد تعطية التوأم بدأت العملية بقص الجلد بين الطفلتين وأكملنا مراحل العملية جميعها دون أن تواجه الفريق الطبي أي صعوبات، واستغرقت مدة العملية حوالي ثماني عشرة ساعة ونصف.. ونجح الفريق الطبي في هذه العملية المعقدة مسجِّلاً إنجازًا علميًّا جديدًا للوطن وللعالم العربي والإسلامي، وفي النهاية وقفنا لالتقاط صورة جماعية توثيقية.. واستقبلتْ والدة التوأم طفلتيها عند باب غرفة العمليات في طريقهما إلى العناية المركزة بدموع الفرح والقبلات، وكانت وسائل الإعلام حاضرة تصوِّر وتسجِّل المشهد، وتستطلع انطباعات الفريق الطبي، وتتعرف على مشاعر الأم في تلك اللحظات المشحونة بالعواطف والوجدانات.. شاركت أسرتي في هذه العملية بإرسال كعكة خاصة للفريق الطبي تهنئه بنجاح العملية. وكعادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) اتصل بالفريق الطبي مهنئًا بهذا النجاح الكبير الذي تحقق بعون الله وتوفيقه، كما استقبل

زيارة صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله

فرحة الخروج

لفريق تهنئة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، ونقلت هذه التهاني إلى والدة التوأم أيضاً. مكث التوأم في لعناية المركزة حوالي عشرة أيام ثم نقل إلى جناح الأطفال حيث بدأت عملية التأهيل التي استمرت لمدة خمسة أسابيع تخللتها لفاجأة سارة لفريق الطبي تمثلت في زيارة خادم الحرمين الشريفين للطفلتين للاطمئنان على صحتهما، وكان يسأل أعضاء الفريق لطبي عن حالتهما ووضعهما مما أكد إنسانية هذا الرجل، ومدى حبه للأطفال. غادرت الطفلتان إلى الفلبين وعندما بلغ عمرهما لرابعة عادتا إلى المملكة العربية السعودية للمتابعة، ولا زال وضعهما مطمئناً ولله الحمد، كما استقبلتا بعد ذلك مع بقية التوائم ي مزرعة خادم الحرمين الشريفين...

وهكذا شكّلت هذه التجربة الناجحة تجسيدًا صادقًا لسماحة الدين الإسلامي الذي لا يفرق بين جنس أو شكل أو لون أو لبقة أو مذهب.. هذا الدين الذي يعطف على الإنسان أيّاً كان وأينما وُجد.

آن وماي بعد ثلاث سنوات مع والدتهم وخالتهم

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

أطباء بولندا يشكِّكون!!

ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م

أطباء بولندا يشككون!!

ذو القعدة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥م

وافد غريب في ضيافة كراكوف

(كراكوف) بلدة صغيرة في بولندا لا يتجاوز عدد سكانها عشرة آلاف نسمة، لم تسمع في تاريخها العريق باسم (التوائم سيامية)، ولا تعلم شيئًا عن التصاق الأجنة، حياة سكانها هادئة وادعة دومًا، من بينهم سيدة تنتمي إلى أسرة فقيرة، شعرت هذه سيدة خلال لأشهر الأولى من زواجها بأعراض الحمل، وكان الحمل بالنسبة لها تجربة جديدة تعايشها لأول مرة، حلمت بأن زق بطفل يملأ حياتها ويسلّيها ويُسعد أسرتها البسيطة، وتصورت نفسها تناغيه وتمازحه وتلاعبه.. ومع تقدم أشهر الحمل، وعند واسطه ظهرت عليها بوادر غريبة غير تلك التي عرفتها من قريباتها وصديقاتها المتزوجات، أحست أن أعراضه مختلفة، ومشكلاته ي ازدياد، ارتفاع في الضغط، ضخامة في حجم البطن، ولذلك سارعت إلى إجراء فحوصات في أحد المستشفيات الصغيرة ارت تلك الفحوصات الشك في أنها تحمل توأماً من الإناث، قلقت، وداخلها همٌ حول كيفية التعامل مع طفلتين رضيعتين في قت واحد، وكيف توفق بين رعايتهما واحتياجاتهما والتزاماتها الأسرية الأخرى، استمرت في مراجعاتها للمستشفى، وأحست طبيبة أن هذا الحمل غير واضح، وتنامى لديها نوع من الشك بأن في الأمر شيئاً غير عادي، كأن تكون في التوأم عيوب خلقية، دفعها هذا الشك إلى أن تطلب من هذه السيدة مراجعة مركز متخصص لتشخيص الحالة في مدينة (يانكوفو) القريبة من اكوف، وبالفعل أُخضعت السيدة لفحوصات وصور عديدة تبيّن على ضوئها حملها بتوأم سيامي. صُعقت الأم وهالها الخبر كت كثيراً كما لم تبك من قبل، ودفعها الخوف والقلق إلى طرح مجموعة من الأسئلة والاستفهامات على المختصين، أين كان الالتصاق؟ ما هو حجمه؟ التصاق كامل أم جزئي؟ هل سيعيش التوأم أم لا؟ ولكنها لم تتلق أي إجابة شافية من الأطباء شرفين عليها وإزاء هذه الحقيقة تحرّك تفكيرها للبحث لإيجاد مخرج، وماذا تفعل إذا لم يتيسر لها وجود حل لهذه المشكلة؟ سمت أن التعامل مع حالات التوائم الملتصقة قاصر على مراكز متخصصة لها خبرات وتجارب في هذا المجال، ويحتاج إلى وال طائلة ونفقات عالية، وقد يتطلب الأمر السفر إلى خارج البلاد وما يصحب ذلك من تكاليف تفوق طاقة الأسرة وقدرتها الية، أحست أن عبئًا ثقيلاً يجثم على صدرها. ولما حان وقت الولادة اتجهت إلى المستشفى، باشر الأطباء المختصون حالتها، جروا لها عملية قيصرية، وبعد الولادة أخبرها الأطباء أن القادم توأم من الإناث ملتصق في منطقة الورك والحوض، وأفزعوها وقلقوا مضجعها حين أكدوا لها أن عملية فصل التوأم معقدة وشديدة الصعوبة، ولا تُجرى إلا في المراكز المتخصصة. لم يغمض لها جفن منذ أن شُفيت من جراح العملية القيصرية، وانشغلت بالتوأم، وسيطر عليها التفكير في وسيلة تعينها على البحث عن لاذ. أدخل هذا الوافد الجديد والغريب الأم في حيرة كبيرة ممتدة،، ظروف الأسرة في غاية التواضع ولا تتيح إلا حداً أدنى من العناية بنفسها؛ فكيف بتوأم سيامي يقتضي رعاية خاصة وعناية طبية فائقة، ومراجعة لمراكز طبية متخصصة، ومبالغ طائلة لسفر، واحتياجات أخرى مرئية وغير مرئية لا قِبَل لها بها. حملٌ ثقيل جَثَمَ على كاهلها كاد يُسلمها إلى الهلاك. وما أن بدأت أسرة في التردد المتكرر على عدة مراكز طبية في بولندا؛ حتى ازدادت معاناتها وأضحت أكثر حدة وقسوة، مراجعات مخيبة

أولغا وداريا عند وصولهما

صور للإلتصاق في العمود الفقري

وقاتلة للآمال، فما الأمر؟ أجمع الأطباء على صعوبة الحالة وتعذُّر إجراء أي نوع من العمليات لعلاجها!! وأكد لها الأطباء أن نسبة نجاح فصل طفلتيها ضئيلة جداً، ومثل هذه العمليات لا تجرى إلا في مركز متخصص بالولايات المتحدة الأمريكية.. يأس يتراكم على يأس، وهَمٌّ يزول بمثله كالشوك يُنزع بالإبر.

تطلع إلى أمريكا وإغاثة من السعودية

إذن لابد للأسرة والحالة هذه من أن ترمي بصرها خارج حدود بلدها لعلها تحظى باستجابة إنسانية، أو تحنو عليها أياد كريمة. تطلَّعت العيون وهفت القلوب إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يعيش أحد أقربائها هناك، اتصل شقيق الأم به ليشاركهم البحث عن مساعدة في منظمة تطوعية أو هيئة خيرية، ثم نصحها بأن تودع صيحة استغاثة على شبكة الإنترنت عل وعسى أن تطرق آذان العالم أجمع .. فآمال المحتاج لا تخبو وإن شابتها بعض مشاعر اليأس.. وبالفعل وضعت الأم استغاثتها على الشبكة شارحة حالتها بكل تفاصيلها، بينما أجرى قريبها اتصالات متعددة ببعض المراكز الأمريكية المتخصصة، ولكن لم تفلح اتصالاته ولم تحظ بأي استجابة، فاتسعت مساحة خيبة الأمل في قلب الأم، وخفتت جذوة طموحاتها.. وفي غمرة استسلامها لهذه الحالة اليائسة؛ لم تكن تدري أنها ستجد من يساعدها. وذات يوم، وبينما كانت جالسة على شرفة منزلها غارقة في التفكير، ودموعها منسكبة على خديها؛ سمعت رنين هاتفها فهرعت إليه، فكان على الطرف الآخر قريبها الذي يعيش في أمريكا ليخبرها بأن الاستجابة جاءتها من دولة لم يسبق أن خطرت على بالها طوال حياتها على الإطلاق، من المملكة العربية السعودية.

نعم، لقد وصلت صيحة الإغاثة إلى القائد الإنسان، الملك عبدالله (ولي العهد آنذاك)؛ فلم يتردَّد في إغاثة هذه الأسرة، إذ وجَّه حفظه الله بسرعة نقلهم من بولندا بلد العراقة والتاريخ إلى المملكة العربية السعودية مهد الديانة الإسلامية التي غمرت العالم بالنور والضياء، وأشاعت قيم المحبة والسماحة والإخاء.. كانت هذه الدوافع إنسانية بحتة تُبيِّن مدى كرم وعطف هذا الإنسان، وتستبطن نهجًا دعوياً وإعلامياً ووطنياً بعيد المرامي والأهداف وبالغ الدلالة.

تلقت الأسرة البولندية هذه الدعوة والمبادرة الكريمة عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية بوارسو، لم تستوعب الخبر، تفاجأت، ذُهلت وكادت تصاب بالدوار، تساءلت: أيعقل أن يأتي التجاوب من بلد خارج منظومة العالم الغربي؟ لم يكن ذلك واردًا حتى في الخيال، فالعالم الغربي في عُرف أهله هو وحده المعنيُّ بصيانة مشاعر الإنسان، ووحده الذي يُجسِّد القيم الإنسانية نهجًا وسلوكًا، ثم أن العلم والطب والجراحة وتقنياتها وأجهزتها جميعها صناعات غربية لم تستوردها دول المشرق العربي والعالم النامي حتى الآن!! لم يخطر ببال الأسرة أن تكون للمملكة العربية السعودية ريادة في مجال جراحة فصل التوائم السيامية. وكانت دهشتها أعظم حين تبيَّنت وعرفت سرعة التجاوب، وأن الملك عبد الله تكفَّل بكل تكاليف السفر والإقامة والعلاج. ورغم ابتسامة الفرح التي أطلت على وجه الأم؛ إلا أنها بكت وذرفت الدمع غزيرًا، وتساءلت، وتساءل معها أفراد هذه الأسرة البسيطة: كيف يهتم رئيس دولة كبرى، وملك المملكة العربية السعودية بأسرة بسيطة تعيش في أواسط بولندا تلك الدولة التي لا تنتمي إلى نفس الديانة، ولا تتكلم نفس اللغة، وليست لها علاقات قوية مع دولته؟! وربما تزامنت هذه المبادرة مع هجمة يشنها

عند التخدير

بداية العملية

الإعلام الغربي على المملكة العربية السعودية، وعلى العالم العربي والإسلامي، ولكن مبادئ المسلمين وقيمهم قائمة على التسامح والعفو، وتدعو إلى الحوار بالتي هي أحسن، وجميع المبادرات التي تخرج عن العالم الإسلامي تستهدف الخير والمنفعة، وتدعو إلى المحبة والتعاون بين بني البشر، ذلك أن الإسلام دين عالمي يخاطب جميع شعوب الأرض.. ولا شك أن في هذا الموقف الإنساني العظيم مدعاة لتغيير المفاهيم، ولإعادة النظر في التصورات والقناعات المبنية على معلومات أو عرف متوارث!!

تردد في قبول الدعوة

بلغت الفرحة مداها في قلب الأم، وطغت على محياها سمات السعادة؛ ولكن مع ذلك فهناك ثمة مشاعر خوف وقلق غامضة تكتنفها. خوفٌ من غربة، ومن اختلاف لغة وتباين عادات وتقاليد، وعلاوة على كل ذلك الحيرة التي كادت تُضعف فرحتها وتدفعها إلى التردد في قبول الدعوة بسبب الشكوك التي أثارها الإعلام الغربي حول الخبرة السعودية في فصل التوائم الصيامية.. ولكن رغم ذلك شرعت الأسرة في الاستعداد للسفر والتأهب لمغادرة بولندا، وتوجهت الأم إلى المستشفيات التي تعاملت مع حالتها للحصول على التقارير والمعلومات المطلوبة؛ ولكن الأطباء البولنديين حاولوا تثبيطها، وأطلقوا ألسنتهم بمتطاول والتشكيك في كفاءة الطب والجراحة السعودية، واجتهدوا في نفي إمكانية نجاح مثل هذه العمليات في المملكة العربية السعودية أو في أي دولة غير غربية، بل ذهب بعضهم إلى استحالة إمكانية فصل التوأم (داريا وأولغا)!! إلا أن وسائل الإعلام البولندية والغربية تناقلت الخبر بتركيز شديد حتى أصبح أمر السفر محور الأخبار في نشرات الفضائيات، والعناوين الرئيسية التي ظهرت بالبنط العريض في الصفحات الأولى للصحف البولندية وبعض الدول الغربية، واستمرت تتناوله بالتحليل والتقييم اعتماداً على البُعد الإنساني والقيمي الذي أظهرته المبادرة السعودية الكريمة.

أكملت سفارة المملكة العربية السعودية كل الترتيبات اللازمة لنقل التوأم من مدينة كراكوف إلى العاصمة وارسو، ثم إلى الرياض مباشرة. وصلت الأم وتوأمها وطبيبة بولندية متدربة لمساعدتها في الترجمة إلى مطار الملك خالد حيث كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، وكنت في استقبالهم عند مدخل المستشفى بحضور بعض وسائل الإعلام المحلية والخارجية، كما حضر لاستقبالهم سفير بولندا بالمملكة العربية السعودية، ثم نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) والغرفة رقم (٧)، وباشرت على الفور مع زملائي إجراء فحوصات دقيقة للتوأم، ثم طلبتُ بعض الفحوصات الأولية، وبعد استكمالها جلستُ مع والدة التوأم ومعي أحد زملائي وبينتُ لها بواسطة الطبيبة المرافقة أن الطفلتين ملتصقتين في آخر العمود أو الحبل الشوكي والحوض والورك، وتتطلب الحالة إجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة التي قد تستغرق عدة أسابيع نستطيع بعدها اتخاذ قرارنا النهائي بالفصل. وبعد ذلك تشكَّل فريق طبي وجراحي بلغ عدد أعضائه خمسة وستين عضواً بين رجل وامرأة لمتابعة حالة التوأم، وكان يضم تخصصات: جراحة الأطفال، الأطفال، تخدير الأطفال، جراحة العظام، جراحة الأعصاب، المسالك البولية، التمريض، تخصصات العناية المركزة وغيرها من التخصصات المساندة والتأهيل.

أولغا وداريا أثناء العملية

فصل الجسد أثناء العملية

شلل في انتظار التوأم..!!

وفي اليوم التالي ترأستُ اجتماعًا راجعنا خلاله حالة التوأم، ورأينا إجراء فحوصات متعددة ودقيقة وصور أشعة مقطعية وأشعة مغناطيسية، وقياس قوة العضلات والأعصاب، وأشعة ملونة للأمعاء والمسالك البولية، وبعد عشرة أيام التقينا مرة أخرى في غرفة الاجتماعات بجوار مكتبي، وخضعت الحالة لنقاش مكثف تبيَن بعده وجود اشتراك في مؤخرة الحبل الشوكي مع تداخل في الأعصاب بين الطفلتين، واشتراك في الأمعاء الغليظة وفتحة الشرج والتصاق وتقارب في الجهاز التناسلي، واشتراك في عظمة الحوض والورك. كانت هذه الحالة معقدة، وتركز نقاشنا حول مشكلة التوأم من ناحية الأعصاب، وبشكل أكبر حول مخاطر فصل مؤخرة العمود الفقري والحبل الشوكي نظرًا للقلق الكبير الذي كان يعترينا من إمكانية حدوث شلل للتوأم بسبب التداخل الكبير فيها. وبعد ذلك اتفق الجميع على إمكانية فصل التوأم بنسبة نجاح قد تصل إلى ٧٠٪ مع احتمال حدوث ضعف أو شلل في الأطراف السفلية وعدم تحكم في فتحة الشرج، وإثر هذه المعلومات جلست مع والدة التوأم الطبيبة المرافقة وشرحت لها تفاصيل الحالة بدقة، وإمكانية النجاح ودرجة المخاوف.. وبعد كل ذلك اقتنعت ووافقت على إجراء العملية وقلبها يكاد ينخلع من مكانه شفقة وخوفًا على حياة صغيرتيها؛ ولكن لابد مما ليس منه بد، فنسبة النجاح كبيرة ولا تستدعي هذا القدر من الخوف والوجل والقلق. وفي هذه الأثناء ومن باب المصادفة صرح أحد الأطباء البولنديين بأن التوأم سيصاب بالشلل!! وتناقلت وسائل الإعلام البولندية هذا التصريح، وبالطبع شكل ذلك صدمة للفريق الطبي الذي يتطلع إلى التشجيع وإلى شحنه بالثقة بدلاً من محاولات الإحباط والتثبيط التي ستنعكس سلبًا على الأم وتجعلها تشكك في قدرات الفريق؛ ولكنها لم تعبأ بهذا التشكيك، وأعربت عن ثقتها في الفريق بموافقتها الكاملة على إجراء العملية.

قرر الفريق إجراء العملية يوم الأثنين٢٢ ذو القعدة ١٤٢٥هـ الموافق٣ يناير٢٠٠٥م، وخطط إلى استكمال جميع مراحلها في مدة تستغرق حوالي ثماني عشرة ساعة، واتفقنا على أن تسبقها عملية تجريبية وهمية يوم يناير٢٠٠٥م. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن وسائل الإعلام المحلية والعربية أبدت اهتمامًا شديدًا بالعملية لأنها أول حالة من دولة غربية تقصد الاستفادة من الخبرة السعودية، كما اهتمت بها وسائل الإعلام الغربية التي لم تكف عن التشكيك في قدرة المملكة العربية السعودية. وبعد ذلك ذهبت لمقابلة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، وشرحت له تفاصيل هذه الحالة، وما يصاحبها من ضغط وتشكيك إعلامي غربي، فطمأنني كعادته وأن الله سبحانه وتعالى سيوفق الفريق الطبي مادام معتمدًا عليه، ثم استأذنته في الذهاب لأداء العمرة بصحبة زوجتي، وبالفعل توجهت إلى مكة المكرمة قبل موعد العملية بيومين، وأدَّيتُ مناسك العمرة ليلة العملية وابتهلت إلى الله جل وعلا أن يوفقنا، وأن يحقق بهذا التوفيق رفعة للإسلام والمسلمين، ويجعل منه خطوة في طريق الأمة العربية والإسلامية الساعية إلى استعادة مكانتها الحضارية، وأن يكون نجاحنا بمثابة ردٍّ على كل من يقدح في قدرات العالم العربي والإسلامي ويشكك فيها، أو في أن الإسلام دين سلام ومحبة وإخاء. غادرت الرحاب الطاهرة بعد صلاة الجمعة، وما أن وصلت الرياض حتى قصدت المستشفى للاطمئنان على التوأم، وتأكدت من الاستعدادات والترتيبات لإجراء العملية التي أخذنا لها شعرًا

حوار الأم والسفير عن العملية

صورة الفريق الطبي للتوأم البولندي

يمثل الإسلام والمحبة والإخاء هو: (السعودية مملكة الإنسانية) نظرًا لما تحمله مبادرة الملك عبد الله من معان إنسانية وما تمثله من دلالات للسلم والسلام.

قلق ليلة العملية

لا أخفي أنني كنت قلقًا ليلة العملية، فاستعنت على النوم بتناول قرص دوائي، واستيقظت قبيل الفجر، وبعد الصلاة سألت الله التوفيق، ثم عدت إلى البيت وتناولت إفطارًا خفيفًا مع زوجتي وابني خالد وبناتي شذى وغادة وريم ونورة وسارة وهيفاء وهناء، وكانت هذه الجلسة الأسرية اللطيفة في الصباح الباكر شارحة للصدر؛ إذ التفَّ الجميع حولي يشجعونني، ويضرعون إلى الله أن تكتمل جميع مراحل العملية بنجاح تام. اتجهت إلى المستشفى ولم يفارقني التفكير في العملية طوال الطريق لأن نجاحها يُعدُّ نصرًا للخبرات والقدرات المسلمة. وصلت المستشفى في الساعة السابعة صباحًا، واكتمل عقد الزملاء جميعهم، وفي الساعة السابعة والربع وصل التوأم إلى باب غرفة العمليات، وقبل أن تودعه الأم نظرت إليَّ نظرة عميقة مشفوعة بنوبة من البكاء، ثم مسحت دموعها حين طلبتُ منها طرح أي سؤال يعنُّ لها حول العملية، لم تنطق واكتفت بإرسال مزيد من الدموع ثم انكبت على بنتيها تقبلهما بحرارة. وفي غرفة العمليات بدأت المرحلة الأولى بالتخدير، ثم التعقيم وتغطية التوأم لنشرع في عملية الجراح باسم الله وبالتوكل عليه، وكانت العملية منقولة على التلفاز وشبكة الإنترنت، وكان هناك تواصل مع والدة التوأم والإعلاميين حيًا على الهواء في غرفة الاجتماعات، وبدأت العملية بفتح البطن ومنطقة الحوض، وبعد كل ساعة أو ساعتين نتواصل مع الإعلاميين أثناء العملية، وتتابعت مراحل الجراحة حسب الخطة المعدة سلفًا، وبعد خمس عشرة ساعة ونصف الساعة فصلت داريا عن أولغا بفرحة كبيرة وعارمة وتصفيق حاد في غرفة العمليات وقاعة الاجتماعات. واكتملت مراحل العملية بإعادة تأهيل الأعضاء وإقفال الجراح واستغرقت كل مراحلها ١٨ ساعة ونصف الساعة متواصلة، وتلا ذلك التقاط صورة توثيقية تذكارية للفريق الطبي، ثم خرجنا بصحبة التوأم، وكانت الأم أول المستقبلين بجانب فريق من الإعلاميين. وقبل خروجنا من غرفة العمليات اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) و صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظهما الله لتهنئة الفريق الطبي وأسرة التوأم بهذا النجاح الباهر الذي تحقق في المملكة العربية السعودية والذي يُحسب أيضاً للإسلام والمسلمين. نقلنا الطفلتين إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث مكثتا حوالي ١٢ يومًا، وبعد يومين أفاقتا من البنج وكانت صحوتهما تامة، وفي اليوم الثالث وبعد رفع الأجهزة تشرف التوأم بزيارة كريمة من ولي العهد الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز مع تواجد إعلامي غربي وعربي ومحلي، وتزامنت هذه الزيارة مع بداية أول رضعة للتوأم بعد هذه العملية المعقدة. وتلخَّص تصريحه حفظه الله لوسائل الإعلام في أن المملكة العربية السعودية تُسخِّر إمكاناتها لخدمة الإسلام والمسلمين. وبعد أسبوعين نقل التوأم إلى جناح الأطفال رقم (٧) والغرفة رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل. وعلى عكس ما توقع الأطباء البولنديون نجحت العملية نجاحًا باهرًا ولم يصب التوأم بشلل ولله الحمد، وبعد اكتمال عملية التأهيل خلال

التوأم مع رئيس بولندا السابق (ليخ فاليسا)

صورة مع التوأم و والدتهما

شهرين غادرت الطفلتان المستشفى عائدتين إلى بلدهما بصحة وعافية حيث استقبلتهما وسائل الإعلام البولندية التي كتبت كثيرًا عن هذا النجاح الذي يمثل نجاحًا للإسلام والمسلمين. وبعد العملية بعامين عاد التوأم إلى المملكة العربية السعودية لإجراء الفحوصات والاطمئنان عليهما، وتبيَّن أن حالتهما ممتازة، واعتادتا على المشي والركض دون أي مشكلات مما يؤكد سلامتهما وعدم وجود أي إعاقة لديهما، ثم استقبلهما الملك عبد الله في مزرعته والتقط معهما صورة تذكارية توثيقية.

أبلغ رد على المشككين

وكما ذكرنا فقد تابع العالم أجمع وبترقب شديد مراحل هذه العملية عبر وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية . وكانت وقائع هذا النقل الحي أفضل ردٍّ على المشككين، وأبلغ دليل على قدرة هذا الوطن وتطور خبرته في مثل هذه الجراحات النادرة، وعكس ذلك صورة زاهية عن المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي لدى الملايين ببولندا وأوروبا، وأحدث قدرًا كبيرًا من التغيير في الذهنية الغربية تجلَّى بوضوح في ارتفاع أصوات عديدة تنادي بعدم التحامل على الدول الإسلامية، وتقول إذ كان هذا ما يفعله المسلمون تجاهنا؛ فلا شك أن إعلامنا متحامل وغير منصف، وربطهم بالإرهاب فرية وبهتان، وأنهم محبون للسلام وأهل مبادرات وكرم. كما أقيمت احتفالات كثيرة للثناء على الملك عبد الله والإشادة بخدماته الإنسانية الجليلة وتكريمه بالعديد من الأوسمة، وأنشئت مراكز باسمه حفظه الله.

وإزاء هذا النجاح أصبح الملايين من البولنديين يتحدثون عن المملكة العربية السعودية في المناسبات وامتدحت ويكتبون عنها في صحفهم باعتبارها تمثل وجهًا مشرقًا للإسلام؛ بل تولَّدت لدى كثير منهم الرغبة في دراسة الإسلام والتعرف على مبادئه وقيمه وتعاليمه وخطابه وإمكانية استيعابه للآخر.. وفتح ذلك آفاقًا جديدة للعلاقات السياسية والتجارية والثقافية والتعليمية اكتظ بناؤها وتشكَّلت أطرها أثناء زيارة خادم الحرمين الشريفين إلى بولندا في شهر يونيو ٢٠٠٧م.

حنان الأم

obeikandl.com

التوأم البولندي ولحظة مرح

كلمة في احتفال سفارة بولندا بالمملكة

صورة مع أولغا وداريا مع والدتهما

obeikandi.com

obeikandl.com

١٢

مفاجأة أثناء العملية

ربيع الثاني ١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٥م

obeikandl.com

obeikandl.com

مفاجأة أثناء العملية

ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - يونيو ٢٠٠٥م

حمل وتكاليف علاجية باهظة

قدم من جمهورية مصر العربية إلى المملكة العربية السعودية طلبًا للعيش، عمل في متجر صغير مندوبًا للمبيعات، حرص على ادِّخار كل ما يكسبه لمقابلة مصروفات أسرته البسيطة التي تعيش في وطنها، ظل يكد ويتعب ويعمل ليل نهار من أجل تهيئة مسكن لإحضار زوجته التي تاقت نفسه إلى استقدامها لتعيش معه في المدينة التي يعمل بها؛ لا سيما وأنه يعود بعد العمل مجهدًا ومنهكًا. كانت إمكاناته محدودة، ويبذل جهدًا كبيرًا في خدمة المتجر لمساعدة مالكه الذي كان كريمًا وعطوفًا ونبيلاً معه، والفعل ساعده صاحب المتجر في مهمته، وقدمت الزوجة، وفرح كثيرًا بالتئام شمل الأسرة في المسكن الصغير الذي استأجره بأحد الأحياء القريبة من مكان عمله. وبعد الاستقرار حلم الزوجان بأن يرزقا طفلاً يؤنسهما ويملأ منزلهما فرحًا ومرحًا. وشاء الله أن تحمل الزوجة، وكان الحمل في بدايته طبيعاً، ولكن ما لبثت الزوجة مع تقدم أشهر الحمل أن شعرت بمشكلات مصاحبة له وبأعراض غير تلك التي عرفتها من محيطها، بدأت تشعر بنوبات متتابعة من التعب والإرهاق، لاحظت الارتفاع المستمر في حجم البطن حتى الأشهر الأخيرة. وأثناء الفحص تبيَّن أنها حامل بتوأم ففرح الزوجان فرحًا شديدًا بالطفلين القادمين وهما يأملان أن يغيرا نمط حياتهما ويضفيان روح البهجة والسعادة في مساحة غرف بيتهما الصغير، ولكن تولدت لدى الطبيبة بعض الشكوك في نوعية الحمل فطلبت إجراء فحوصات إضافية أكثر دقة، وكشفت الفحوصات التي اكتملت خلال أسبوعين أن الأم تحمل بتوأم سيامي، ولا بد من جراحة قيصرية عند الولادة. ثم أخبرت الطبيبة الزوج وزوجته بأن هذا النوع من الحمل يُصنَّف ضمن الحالات الصعبة جداً التي يتطلب علاجها مصروفات عالية وتكاليف باهظة، ويحتاج إلى مركز متخصص بتقنيات رفيعة وخبرة كبيرة. انشغل الأب بالمشكلة وأخذ يبحث ويستفسر هنا وهناك عن مكان يمكن أن تتيسر فيه المساعدة لزوجته وطفلتيه، وتمر هذا البحث عن معلومات قدمها له أحد أصدقائه حول مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض باعتبارها مكان الخبرة العربية والعالمية في هذا النوع من الجراحات. وعلى عجل اتصل بمكتبي، وحددت له موعدًا لزيارتي، وفي المقابلة أطلعني على التقارير الخاصة بزوجته، فطلبت منه العودة بعد يومين ريثما أحصل على موافقة لعلاج التوأم، وبالفعل ذهبت في اليوم التالي إلى خادم الحرمين الشريفين وأطلعته على تفاصيل الحالة وصعوبتها بالنسبة للأسرة المعنية القادمة من جمهورية مصر العربية الشقيقة، وقبل إكمال بقية حديثي وجَّه حفظه الله بإدخال الزوجة إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض لإجراء عملية الولادة، ثم التعامل مع حالة توأمها الملتصق على أن يتحمل حفظه الله تكاليف العلاج كافة. وبعد أسبوع أُدخلت المرأة إلى المستشفى، وعلى الفور تشكَّل فريق من طب النساء والولادة الذي تولى إخضاع الحالة لفحوصات دقيقة كشفت نتائجها عن وجود اشتراك كبير واتصال بين التوأم في منطقة أسفل الصدر والبطن وبداية الحوض، ثم التقيت بوالدي التوأم وأخبرتهم بأن هناك اشتراكًا كبيرًا واضحًا ومؤكدًا، مع شك في وجود مشكلات في القلب بين التوأم، وطلبت منهما ألا ينزعجا طالما أن إمكانية المساعدة متاحة بصورة كبيرة، وأن يستيقنا أن الأمل في الله سبحانه وتعالى متحقق بإذنه جل وعلا، ظهرت

آلاء وولاء عند وصولهما

الفريق الطبي يقوم بفحص التوأمين

عليهما علامات القلق والحيرة والخوف وأنا أتحدث إليهما، لم تتمالك الأم نفسها فبكت، وحاولت مسح دموعها عدة مرات، ثم قالت سيفرج الله كربتنا إن شاء الله، أما الزوج فقد أظهر قدرة وجَلَدًا في السيطرة على أعصابه، وأعرب عن ثقته الكبيرة في الفريق الطبي، وقال إن من يعتمد على الله ويتوكّل عليه؛ فلن يُخيِّبَ رجاءه بمشيئته جلَّ وعلا.

هبوط في قلب التوأم

وبعد عشرة أيام من ذلك اللقاء أجرينا العملية القيصرية، ونُقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة لحديثي الولادة حيث خضع لعمليات الإنعاش والتقويم. وتلا ذلك تشكيل فريق طبي من تخصصات: أمراض الأطفال، جراحة الأطفال، التخدير، التجميل، القلب، التمريض والفنيين والتأهيل وغيرها من التخصصات الأخرى المساندة. أما الأم فقد غشيتها موجة من الكآبة بعد الولادة؛ خصوصًا عندما رأت ابنتيها وتأثرت تأثرًا شديدًا؛ ولكنها عادت إلى طبيعتها بمساندة زوجها وهدأ روعها إلى أن شفيت وغادرت المستشفى وهي في صحة وعافية. وقرر الزوجان بعد مشاورات ومداولات عديدة تسمية الطفلتين (آلاء وولاء). عقد الفريق اجتماعًا اتفق فيه على إجراء فحوصات دقيقة للقلب والبطن والجهاز الهضمي والجهاز البولي والتناسلي وأشعة مقصعية وأخرى مغناطيسية وغيرها من الفحوصات. ثم أخضعنا التوأم لنظام تغذية لزيادة وزنه إلى مستوى مناسب، كما شكلنا فريقًا من اختصاصيات التغذية لمتابعة الطفلتين يوميًا بيوم ضمانًا لحصولهما على سعرات حرارية كافية للنمو، وكان وزنهما عند الولادة ثلاثة كيلو و٩٠٠ جرام ويتطلب تأهيلهما للعملية ارتفاع الوزن إلى ٨ كيلو جرامات. وبعد أسبوعين من الفحوصات الدقيقة ترأست اجتماعًا للفريق الطبي حددنا فيه المشكلات التي تواجه التوأم، وشارك في الاجتماع أطباء القلب وأطباء الأشعة. وأوضحت الفحوصات وجود عيوب خلقية كبيرة في القلب لدى التوأم أدَّت إلى هبوط بالقلب واستدعت استخدام أدوية منشطة لمع هذا الهبوط، واتضح أيضاً وجود فتحات في البطينين والأذينين وضمور في عضلات القلب خصوصًا للطفلة ولاء، وتناقشنا كثيرًا عن مشكلات القلب ومدى تأثر التوأم من إجراء العملية، وكان النقاش حول مدى الإسراع في إجراء العملية لمنع هبوط القلب، أو تجرى عملية قلب تصحيحية ثم تعقبها عملية الفصل، ورأينا أيضاً الاستمرار في متابعة التوأم لمعرفة مدى تجاوبه لأدوية القلب ثم اتخاذ القرار المناسب بعد ذلك. لم يكن النقاش سهلاً ولا القرار يسيرًا نظرًا لبروز اختلافات في الرأي، وأخيرًا اتفقنا بالإجماع على مراقبة التوأم لمعرفة مدى تجاوبه مع الأدوية. كما أوضحت الفحوصات وجود اشتراك في الكبد واشتباه اشتراك في الأمعاء، وفي أغشية القلب وعظام الصدر وعظمة القص. وكانت المشكلة الرئيسة للتوأم هي مشكلة القلب.

وبناءً على المناقشات المستفيضة ونتائج الفحوصات بدأ الفريق الطبي لأمراض القلب في استخدام أدوية منشطة للقلب مع التركيز على مراقبة التوأم مراقبة دقيقة ولصيقة، ومتابعة مشكلات القلب ومدى التجاوب مع العلاج، مع ملاحظة تدرج الوزن بصورة يومية، وكان التجاوب يتفاوت ويختلف بين يوم وآخر، تحسُّنٌ طورًا واضطراب في طور لاحق. وكاد رأينا موزَّعًا بين قرار إجراء عملية للقلب أو الانتظار. اجتمعنا مرة أخرى وتناقشنا طويلاً حول مدى إمكانية الفصل، أو إجراء عملية القلب، فرجح الجميع قرار الاستمرار في الأدوية المنشطة بعد تعديل الجرعات، مع المراقبة الدقيقة التي أظهرت بعد حين وجود تجاوب بطيء

مرحلة التعقيم

بداية العملية لفصل التوأم

تحسُّن في الوزن إلى أن وصل إلى المعدل المناسب والمطلوب بعد ثلاثة أشهر من ولادتهما وهو حوالي ثمانية كيلوجرامات. عقد الفريق الطبي اجتماعًا ناقش فيه مدى إمكانية الفصل شارك فيه أطباء القلب والأطفال والعناية المركزة والتخدير وجراحة الأطفال والتجميل والتمريض وفنِّيو غرفة العمليات وغيرهم من أطباء التخصصات المساندة، ورأوا جميعًا أن من الأفضل استعجال عملية الفصل ثم متابعة التوأم بعد ذلك، وإرجاء العملية التصحيحية للقلب إلى وقت لاحق.

أطباء التخدير قلقون؟

تقرر أن يكون يوم السبت ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ٤ يونيو ٢٠٠٥م، موعدًا للعملية على أن تسبقه عملية وهمية تجريبية في الساعة الرابعة من عصر يوم الأربعاء ١ يونيو ٢٠٠٥م. كان أعضاء الفريق الطبي قلقين وخاصة أطباء التخدير نظرًا لمشكلات التي تعترض القلب، ومدى تحمل التوأم لعملية من المتوقع أن تستغرق مدتها حوالي ١٢ساعة متواصلة. وفي اليوم المحدد للعملية التجريبية الوهمية اجتمع أعضاء الفريق بغرفة العمليات، وتمت مراجعة الخطة الجراحية المكتوبة والمجزأة على ثماني مراحل بدقة، وبعد أن تأكدنا من كافة التجهيزات التي يحتاج إليها الفريق الطبي قررنا إجراء العملية، ثم شرحنا مدى خطورتها لوالدي التوأم وأوضحنا لهما أن نسبة الخطر تصل إلى ٤٠٪ بسبب مشكلات القلب، فلم يترددا في الموافقة توكُّلاً على الله سبحانه وتعالى ورجاءً كاملاً في عونه وتوفيقه.

وبعد هذا تشرفت في نفس اليوم بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في مزرعته، وبعد التحية والسلام أجلسني إلى جواره، فأخبرته باتفاقنا على إجراء العملية، وأوضحت له ما يعانيه التوأم من مشكلات في القلب ومدى خطورتها. وكعادته في صدق إيمانه وثقته الكاملة بربه؛ أمرني بالاعتماد على الله واستحضار معيَّته جل وعلا في مشوارنا ولن يُخيِّب جهدنا.. وفي نهاية الزيارة استأذنته في التوجُّه إلى الرحاب الطاهرة لأداء العمرة، وفي يوم الخميس اصطحبت زوجتي إلى مكة المكرمة، وبعد أداء المناسك ابتهلنا إلى الله عز وجل والتضرع إليه أن يُلزمنا جانب التوفيق، وأن يكتب للتوأم الشفاء والصحة والعافية. غادرت بيت الله الحرام بعد صلاة الجمعة عائدًا إلى الرياض، وبعد وصولي مباشرة قمت بزيارة للتوأم من أجل التأكد من جاهزيته وجاهزية غرفة العمليات. ثم توجهت إلى البيت وتناولت عشاء خفيفًا بين أفراد أسرتي، ثم خلدت إلى النوم لأستيقظ في الصباح الباكر قبيل أذان الفجر، وبعد الصلاة أعدَّت لي زوجتي إفطارًا خفيفًا تناولته وأنا منشغل البال والخاطر بالعملية وملابساتها نظرًا لما يكتنفها من مخاطر بسبب مشكلات قلب التوأم. وفي الطريق إلى المستشفى لاحظ السائق استغراقي الكامل في التفكير وما أتمتم به من عبارات، وظل صامتًا طوال المشوار كعادته عندما يراني في مثل هذه الحالة التي تسبق العمليات الحرجة. دخلت المستشفى واتجهت مباشرة إلى غرفة التجهيز، وهناك التقيت بزملائي، واستقبلت التوأم ووالديه، ولاحظت أن الأم تتجه إلى ابنتيها تلثم أيديهما بحرارة وعيناها ممتلئتان بالدموع، وهي لا تلام على ذلك فطالما أن العملية كبيرة ومعقدة ودرجة مخاطرها كبيرة، بينما أظهر الأب قدرًا من التماسك ورباطة الجأش، ولكن ما أن دفعنا التوأم نحو باب غرفة العمليات حتى ارتوى خداه بدموعه المنسكبة بغزارة دون أن يتفوَّه بكلمة واحدة، فطلبت من الزملاء

آلاء وولاء أثناء العملية

الفريق الطبي المشارك في عملية فصل التوأم آلاء وولاء

في العلاقات العامة وعلاقات المرضى والخدمة الاجتماعية اصطحابه إلى الصالة العامة حيث يمكنه متابعة العملية والحديث معنا عن طريق الجهاز الصوتي المباشر بغرفة العمليات.

أعصاب مشدودة

استهل فريق التخدير أولى مراحل العملية بحذر شديد لمراقبة مشكلات القلب، وبعد التخدير وتوصيل جهاز التنفس الصناعي طوال ساعتين، انتقل بعدها أطباء التخدير إلى العمل في إدخال قساطر لمراقبة ضغط الأوردة المركزية، وكذلك إدخال قساطر أخرى في الشرايين لمراقبة ضغط الدم والتأكد من استقرار التوأم ومتابعته أولاً بأول. استغرقت هذه المرحلة حوالي ساعتين ونصف الساعة تلتها عملية تعقيم التوأم من الأمام والخلف، ثم استخدام أغطية معقمة لتغطيته، وأعقب ذلك تعقيم الفريق الطبي الأول الذي يبدأ العملية، وبدأت أنا وزملائي من جراحة التجميل بتحديد منطقة الفصل، تناولت مشرطي الصغير بعد التأكد من أطباء التخدير أن التوأم في حالة مستقرة، وبضغط خفيف على الجلد حرّكته باسم الله وبعونه وهو ينساب رويدًا رويدًا بين جسدي آلاء وولاء على مسافة ١٥ سم، وبعد ذلك تناولت جهاز الكي الكهربائي الذي تشابه مقدمته رأس الدبوس لمنع النزيف بإذن الله، واستخدمته لقص الأغشية تحت الجلد إلى أن وصلت إلى عظمة القص والأضلع ففصلتها بالكي الكهربائي والمشرط الصغير، فانفتح لصدر إثر ذلك ليوضح وجود اشتراك في أغشية القلب، ونظرًا لرقة غشاء القلب فلا بد من فتحه بدقة وحرص وعناية، وتمكنا بالفعل من ذلك بمشاركة زملائي من جراحة القلب، وبنهاية هذه الخطوة اكتمل إبعاد قلب آلاء عن ولاء رغم أن أعصابنا كانت مشدودة وكنا قلقين خوفًا من أن يتأثر قلبا الطفلتين، وظللنا نراقب جهاز الضغط، ونتحدث إلى الزملاء في قسم التخدير، ولكن والحمد لله فقد مرت هذه المرحلة بسلام. وأعقب ذلك رتق أغشية قلبي التوأم بصورة منفصلة، وهذه أول مرة ينفصل فيها القلبان بسلام وأمان، وشكلت هذه أولى مراحل الفصل تحدثنا بعدها إلى والد التوأم، وبعد ذلك غادرنا الزملاء من جراحة القلب وجراحة التجميل، وبقي في مشاركتي الزملاء من جراحة الأطفال وتابعنا فتح البطن وأغشيتها كاملة لنجد اشتراكًا في الكبد. وكانت تنتظرنا مفاجأة كبيرة جداً تمثلت في اشتراك كامل في الإثنا عشر، وكذلك بداية الأمعاء الدقيقة لمسافة حوالي ٤٠ سم.. اشتراك في الأمعاء والتصاق في الشرايين، واشتراك في البنكرياس وفي قنوات المرارة.. وبهذا الاشتراك المتعدِّد تدخل هذه الحالة ضمن تصنيف الحالات النادرة جداً على مستوى العالم. لم تساعدنا أجهزة التشخيص في البداية على اكتشاف هذا الاشتراك نظرًا لصعوبة تحديد مكانه، انظرنا قليلاً ريثما نتيح لأنفسنا فرصة للتفكير في كيفية تجاوز هذه المعضلة المفاجئة، ثم اتخذنا قرارًا بفصل البنكرياس والقنوات بعد فصل الكبد.

مرحلة حساسة وحرجة

استخدمنا لفصل الكبد مشرط الأشعة الصوتية والكي بالليزر والكي الكهربائي مع استخدام الدبابيس لرتق الشرايين والأوردة والقنوات، وكانت هذه مرحلة حساسة وحرجة تطلبت درجة عالية من الدقة. أكملنا فصل الكبد بسلام خلال ساعتين دون أن يصاحب ذلك حدوث نزيف كبير ولله الحمد، ويُعدّ فصل الكبد والقلبين دون نقل دم للتوأم، وبنزيف لا يتعدى سنتمترات مكعبة قليلة إنجازًا كبيرًا في حدّ ذاته. وفي هذا تأكيد واضح على أن الفريق الطبي اكتسب خبرة كبيرة

عناق حار بعد اكتمال العملية

التوأم مع والديهما والسفير المصري

توفيق الله. بعد ذلك فصلنا البنكرياس والإثنا عشر وهي أيضاً من المراحل الدقيقة والحساسة واستغرقت مدتها ثلاث ساعات إضافية لم تكن مضمنة في خطة العملية، وتطلب العمل في فصل القنوات حرصًا ودقة متناهية. وانتقلنا إلى المرحلة التالية التي تمثلت في فصل الأضلع وأغشية البطن وجلد البطن من الخلف. وبعد ١١ ساعة من بداية العملية كانت المرحلة الحاسمة تفصل آلاء عن ولاء التي تابعها الأبوان عن طريق الشبكة الصوتية الداخلية، وكذلك بعض الزملاء الأطباء ومجموعة من الإعلاميين بغرفة العمليات.. وفي النهاية بدأ العد التنازلي ليكتمل مع الصفر فصل جسدي الطفلتين عن بعضهما بنجاح كبير دون أي مشكلات لهما أو نزيف يتطلب نقل دم إضافي. نُقلتْ الطفلتان إلى طاولتين مستقلتين عن بعضهما لأول مرة، ثم انقسم الفريق الجراحي إلى فريقين ليتولى كل منهما العناية بإحدى الطفلتين. ووظّفتْ الساعات المتبقية من مراحل الخطة في إعادة تركيب الأمعاء وقنوات الكبد وقنوات البنكرياس. وهكذا مع نهاية ١٥ ساعة من العمل المتواصل اكتمل فصل التوأم، وأعقب ذلك تغطية الجراح ونقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة، وعلى بابها أسرع إليَّ والد التوأم ليحتضنني ويقبلني تعبيرًا عن فرحته العارمة، ولسانه يلهج بشكر الله وحمده. أما الأم فقد اتجهت إلى سرير طفلتيهما تحتضنهما وتقول هذه أول مرة تراهما في سريرين منفصلين، ثم تبعتهما إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثتا مدة أسبوعين تحت أجهزة التنفس الصناعي. ثم رفعت هذه الأجهزة مع استقرار الحالة بعد أربعة أيام وتلا ذلك إدخال الطعام. وفي اليوم الخامس بعد نجاح العملية تشرف التوأم بزيارة أبويَّة كريمة من خادم الحرمين الشريفين جسَّدت لفتة إنسانية قبَّل خلالها الطفلتين، وهنأ والديهما على هذا النجاح. ولم يغب الإعلام العربي والغربي عن هذه اللحظات، وأجرت وسائل الإعلام المصرية لقاءً مع خادم الحرمين الشريفين أكد فيه أمدَّ الله في عمره أن هذا العمل واجب تمليه مصلحة الأمة العربية والإسلامية، وبهذه المواقف والمبادرات يثبت الملك عبد الله أنه ملك للإنسانية.

غادرت الطفلتان العناية المركزة إلى جناح الأطفال حيث مكثتا حوالي الشهرين، وفي نهايتهما غادرتا المستشفى بصحة وعافية، واستمرت متابعتهما في العيادة الخارجية للمستشفى. وبعد عام أجريت لهما عمليات قلب بنجاح دون مشكلات، وبعد إجراء العملية بعامين زارتا خادم الحرمين الشريفين في مزرعته، واطمأن عليهما والتقط صورة تذكارية معهما ووالديهما.

قبلة من جسد واحد

obeikandl.com

١٣

حجر الأساس والتوأم المغربي

صفر ١٤٢٧هـ/ مارس ٢٠٠٦م

obeikandl.com

حجر الأساس والتوأم المغربي

صفر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦م

وضعت زوجتك توأماً.. ولكن!!

في قرية مغربية صغيرة تتوسط منطقة زراعية بين العاصمة الرباط والدار البيضاء تعيش أسرة فقيرة جداً على فلاحة قطعة زراعية محدودة المساحة، وتقع القرية بمنأى عن المستشفيات ومراكز الخدمات الصحية، سكن الأسرة متواضع كغيرة من مساكن صغار الفلاحين، وهو يتكون من غرفتين مسقوفتين بمواد محلية بسيطة ودورة مياه بلدية، وتستعين الأسرة على متطلبات حياتها بتربية الدواجن داخل باحة البيت للاستفادة من لحومها وبيع منتجاتها من البيض وصغار الكتاكيت، ويكدُّ الأب ويكدح طوال نهاره في مزرعته الصغيرة التي تدر عليه دخلاً لا يكاد يكفيه مؤونة شهره، كما تدأب الأم في خدمة زوجها وأطفالها، وليس للأسرة ما تدَّخره لغدها.

شاء الله أن تحس الأم بأعراض حملها الرابع الذي كان طبيعياً في بداياته، ولم تلحظ أي أعراض مغايرة لما اعتادته من قبل، ولكن بعد مرور عدة اسابيع تأكَّد لها أن الأعراض تختلف عن سابقاتها، بدأ بطنها يكبر تدريجياً على غير العادة، وحسب عرف القرية وواقعها وموقعها النائي عن المراكز الحضرية، وتعذُّر وسائل النقل؛ لم تعتد النساء الحوامل على مراجعة المستشفيات، وهكذا كانت هذه الأم. ولكن مع تقدم أشهر الحمل، واختلاف الأعراض التي أقلقتها، وشعورها بالتعب والإرهاق مع أقل مجهود؛ طلبت من زوجها إجراء فحوصات، غير أنه كان يكتفي بطمأنتها باستمرار، لإدراكه أن إمكاناته محدودة ولا تسمح له برحلة إلى الدار البيضاء أو الرباط. وبما أن جبلَّة المرأة وفطرتها التي فطرها الله عليها دليلُها، فإن استنتاجاتها في أمور النساء لا تخيب، ومن ثم فقد لازم الأم شعور بالخوف من أعراض حمل تختلف كثيراً عن سابقاتها، كان حدسها يدفعها إلى تغليب اعتقادها والجزم بأنها حامل بتوأم أو ثلاث، فحجم بطنها أكبر بكثير مما اعتادته، ولذلك أشركت والديها وجيرانها وصديقاتها في همومها وهواجسها لعلها تحظى لديهم بما يطمئنها، تتابعت عليها نوبات التعب والإرهاق وتزايد إحساسها بثقل ما تحمله في رحمها، ولازمتها حالة من الكسل والخمول، وميل شديد إلى الراحة والاسترخاء؛ غير أن ضرورات الحياة اليومية، وإدارة الشؤون المنزلية المنوطة بها، ومتطلبات رعاية أبنائها، والظروف الصعبة التي يعيشونها؛ كلها كانت كفيلة بإجبارها على الحركة، ومقاومة كل الأعراض، والقيام بواجباتها على أكمل وجه. وفي المراحل الأخيرة من الحمل أدرك الأبوان أن مخاطر الحمل تزداد، ولا يمكن إجراء الولادة بصورة طبيعية على يد قابلة القرية كما هي العادة في الحمل الطبيعي، لجأ رب الأسرة إلى جيرانه طلباً للعون والمساعدة؛ خاصة مع امتلاك السيارات لعل أحدهم يتكرَّم بنقله إلى المدينة المجاورة، وبالفعل نُقلت الأم بعد أن اقترب مخاضها. وبمجرد دخولها إلى المستشفى أجريت لها فحوصات عاجلة أكدت للأطباء أن الولادة تتطلب عملية قيصرية عاجلة، وبالفعل أُدخلت مباشرة إلى غرفة العمليات بينما بقي الزوج في الخارج قلقاً ومهموماً ومتلهفاً لخروج الأطباء أو الممرضات. ولكن تأخَّر الخبر وطالت فترة العملية وهو ينتظر على أحر من الجمر، وما برح يزرع الممر أمام غرفة العمليات جيئة وذهاباً، وما أن أطل الطبيب الذي باشر عملية الولادة حتى أقبل عليه وسمات الانزعاج بادية على وجهه، أخبره الطبيب باكتمال عملية الولادة وسلامة زوجته، أحس

إلهام وحفصة عند وصولهما

والد إلهام وحفصة ونظرة الوداع قبل العملية

لحظتها بالسعادة واستبشر وتبدلت علامات القلق على وجهه وتحولت إلى فرح، وطفق يسأل الطبيب ما إذا كان التوأم ذكورًا أم إناثًا؟ فأجابه الطبيب بأنه لا يعلم، استغرب الأب ودهش وعاودته مشاعر الحيرة والقلق، وأمسك بيد الطبيب وتشبث بها وهو يستفهم بنبرة الأب المشفق: كيف لا تعلم وأنت خارج لتوّك من غرفة العمليات؟ استجمع الطبيب جأشه وأخبره بأنها ولدت بنتين؛ ولكن..!! ثم صمت الطبيب برهة ولم يكمل!! فاستعجله الأب والحيرة تكاد تحجب بصره: ولكن ماذا ياهدا؟ لم يكن أمام الطبيب من بد في إظهار الحقيقة مهما كان وقع الخبر وتأثيراته، فقال: إنهما ملتصقتان!! فتساءل الأب بعفوية أهل الريف: لماذا لا تبعدان عن بعضهما؟ فأوضح له الطبيب بأن هذا عيب خلقي أي أنهما توأم سيامي، فتابع الأب ببساطته: مذا تعني بتوأم سيامي؟ الرجل لا يعرف معنى للمفردة كأهل قريته الذين لا يزيد عددهم عن ٢٠٠ شخص، ولادة التوائم عندهم نادرة جدًا فكيف بتوأم سيامي!!

بكاء ومناجاة

أصيب الأب بصدمة كبيرة بعد أن تبيَّن طبيعة الحالة وصعوبتها، وارتجف بعد أن ألمَّ بتفاصيلها وبتعذّر علاجها، فما كان منه إلا أن أمسك رأسه بكلتا يديه وضغط به على الجدار؛ ولكنه استعاد رشده واستجمع جأشه وأخذ يسترجع ويستغفر الله جل وعلا ويسأله الثبات على الإيمان وكان يتمتم ويقول: يا إلهي ماذا أفعل، رب أعني على حل هذه المشكلة فأنت تعلم بحالي ولا معين إلا أنت.. بكي وهو يناجي ربه وهو يستعرض شريط ظروفه وواقع الأسرة المرير.. كفكف دموعه ثم سأل الطبيب: وماذا أعمل إزاء هذا التوأم؟ أكد له الطبيب أن المسألة ليست سهلة، وأن الحالة صعبة جداً ويتطلب علاجها مراكز متخصصة وتكاليف مالية عالية، لأن مثل هذه المراكز لا توجد في المغرب، بل محصورة في عدد من الدول الغربية.. أظلمت الدنيا أمامه، لم يحدث أن سافر إلى إحدى المدن الكبرى في بلاده، ولم ير حتى العاصمة طوال حياته، فكيف يسافر إلى أمريكا أو أي دولة أوروبية؟ إنها محنة حقيقية لا يقوى عليها تكوينه القروي. وبعد أن هدأ روعه قليلاً قصد غرفة زوجته ووجدها قد أفاقت لتوها من المخدر، فما أن رأته حتى بادرته بالسؤال: ماذا رزقنا الله جل وعلا؟ ذكورًا أم إناثًا؟ أم ولدًا وبنتًا؟ أجابها مطمئنًا بأنه توأم من الإناث، علت الابتسامة شفتيها وفرحت ثم حمدت الله وشكرته على هذه النعمة، ولكنها لاحظت وجومه والدموع المنحدرة على عينيه فاعترتها إحساس بالقلق، فسألته ماذا بك؟ هل ولدتا ميتتين، هل فقدت إحداهما حياتها؟ وخشية على مضاعفة قلقها لجأ إلى تبسيط الأمر، فقال: إنهما بخير ولكن لديهما مشكلة بسيطة!! لم يطاوعها إحساسها بقبول هذا التبسيط فأمسكت يد زوجها بقوة تشده إليها وهي تحاول استخراج الحقيقة من بين شفتيه متناسية جراحها وتأثيرات العملية.. وسألته: أخبرني ماذا حل بابنتيَّ؟ فقال لها إن المشكلة بسيطة ولا ترقى إلى درجة انزعاجك هذا، وعليك أن ترتاحي حتى تلتئم جراحك.. إزاء هذا الوضع المبهم أصرت على رؤية توأمها، ولمَّا تيقن إصرارها وخوفه من مغادرة سريرها وهي على تلك الحالة؛ وجد نفسه مضطرًا إلى إخبارها بحقيقة الأمر، وشرح لها تفاصيل الحالة وما تطلبه من إمكانات لعلاجها في الخارج، شهقت وبكت كما لم تبك من قبل حتى خاف عليها، ثم تساءلت: ماذا نعمل وكيف نعمل؟ أود أن أرى بنتيَّ، ونزولاً على إلحاحها طلب من الطبيب نقلها لرؤية توأمها، رافق زوجته

صور من العملية

انتهاء الفصل قبل نقلهما

إلى غرفة العناية المركزة، ولما وقع بصرهما عليهما انتحبا وذرفا دموعًا غزيرة كادت تبلل غطاء الطفلتين وهما يقبلانهما لولا أن طلبت منها الممرضة الابتعاد ومغادرة الغرفة.

بشرى عبر تلفاز الجيران

بدأ الأب رحلة البحث إلى المجهول رغم جهله بأولى خطوات هذه الرحلة المضنية، ولا يعرف إلى أين يتجه به المركب!! سأل الأقارب والجيران والأصدقاء، ومعارف الجيران بالمدن وفي الخارج كمن يحاول البحث عن إبرة في كثبان ممتدة من الرمال، وبعد يومين طلب منه الطبيب اختيار اسمين لابنتيه لتسجيلهما وتوثيق الولادة واستخراج الشهادات، فاتفق مع زوجته على تسميتهما حفصة وإلهام، وبعد أسابيع من الولادة، وبينما كانت همومه تتزايد وتكاد تأكله كالنار المحرقة، ذكر له أحد أهل الخير أنه سمع ذات مرة في التلفزيون أن علاج مثل هذه الحالات متاح في المملكة العربية السعودية التي تملك خبرة في هذا المجال، أحاد الاتصال مع المعارف والأصدقاء لعلهم يدلونه على وسيلة تحقق له الاتصال مع الجهات المعنية هناك، فنصحوه برفع استغاثة إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله.. وتلقى حفظه الله رسالة الاستغاثة هذه أثناء حفل أقيم بمناسبة وضع أحجار الأساس لسبعة مشاريع حيوية بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بجدة، وبينما كان حفظه الله في طريقه إلى موقع الاحتفال (وضع حجر الأساس) سمع هذه الاستغاثة، ولما وصل إلى الموقع وقبل بداية مراسم الحفل وبداية البرنامج أبلغني بتوجيهه الكريم لقبول هذه الحالة مباشرة ضمن كلمتي التي ألقيها ضمن فعاليات الحفل الذي كانت تنقله الفضائيات حياً على الهواء كي تصل إلى مسامع والدي التوأم، وكانت كلمتي في البداية بعد قراءة القرآن الكريم، وفي نهايتها أعلنت توجيه خادم الحرمين الشريفين بسرعة نقل التوأم من مسقط رأسه في المغرب الشقيق. كان الأب يتابع فعاليات الحفل في منزل أحد جيرانه لأنه لا يملك أي جهاز من أجهزة استقبال البث الهوائي حتى الراديو يخلو منه البيت. وبينما كان الجميع يتابعون نشرة الأخبار جاءتهم البشرى بتوجيه خادم الحرمين الشريفين ملك الإنسانية، فأقبل عليه الجيران يهنئونه بهذه اللفتة الكريمة بينما كان هو يبكي ويشهق من شدة الفرح. فخرج يركض من بيت الجيران في الطريق إلى منزله وإحساس طاغ بالفرح يكاد يدفعه إلى الطيران والتحليق، حيث وجد زوجته وسط جميع أفراد الأسرة وأبلغهم بهذه المكرمة السارة، فانطلقت ألسنتهم تلهج بالدعاء والثناء لله سبحانه وتعالى. وبدأت الهموم والغموم التي وقعا أسيرين لهما زمنًا طويلاً في الانفراج ولله الحمد والمنة.

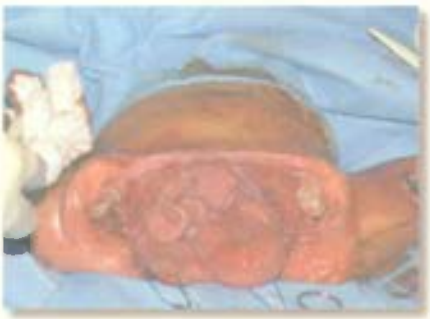

لحظة الفصل

إغلاق الجرح والتجبير

حفصة تبتعد عن إلهام

وبسرعة اتصلت سفارة المملكة العربية السعودية في المغرب بالأسرة، وبدأت معها ترتيبات نقلها من قريتها إلى الدار البيضاء ومنها إلى الرياض حيث كان في استقبالها بمطار الملك خالد الدولي فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم جميعًا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، استقبلتُ التوأم مع زملائي على بوابة المستشفى ونقلناهما إلى الغرفة رقم (٧) لجنح الأطفال (٧)، وأجريت على الفور الفحوصات الطبية اللازمة، وتلا ذلك تشكيل فريق طبي متخصص لدراسة الحالة ضم جراحة الأطفال، أمراض الأطفال، التخدير، العظام، جراحة المسالك البولية، القلب، التجميل، التأهيل، التمريض والفنيين علاوة على التخصصات الأخرى المساندة. اجتمع الفريق وقرر إجراء فحوصات عديدة ومتخصصة خلال أسبوعين، ثم عقد اجتماعًا آخر بعدها استعرض فيه كل تفاصيل الحالة، فتبين له وجود اشتراك في منطقة البطن والحوض مع وجود أطراف سفلية سليمة لكل منهما، واشتراك في الجهاز الهضمي وبالذات في الأمعاء الغليظة والجهازين التناسلي والبولي وفي أسفل العمود الفقري، ولذلك أشرنا فريق جراحة الأعصاب. وعلى إثر ذلك قرر الفريق إجراء مزيد من الفحوصات الأخرى الدقيقة للعمود الفقري. وبعد أن وصل التوأم إلى الوزن المناسب اجتمعنا وقررنا إمكانية فصل التوأم بنسبة نجاح تصل إلى ٧٠٪ وحددنا يوم السبت ٤ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ مارس ٢٠٠٦م لإجرائها، وسبقتها بيومين عملية وهمية تجريبية راجعنا فيها الخطوات العشر للعملية، وتأكدنا من جاهزية المعملة. وكعادتنا قبل كل عملية شرحنا تفاصيلها لوالدي التوأم؛ فأعلنا موافقتهما على كافة مجرياتها، وأعربا عن قناعتهما بقرار الفريق وثقتهما فيه. وفي اليوم المحدد للعملية اكتمل حضور كل أعضاء الفريق الطبي في الساعة السابعة صباحًا، وألقى والدا التوأم تحية وداع مقرونة بكثير من القبلات على ابنتيهما قبل إدخالهما إلى غرفة العمليات، وبدأت مراحل العملية في الساعة السابعة والنصف بالتخدير تلتها عملية منظار للمسالك البولية ثم مرحلة التعقيم وتغطية التوأم، وبعد ثلاث ساعات بدأت العملية الكبرى باسم الله واعتمادًا عليه، ثم تتابعت المراحل واحدة تلو الأخرى إلى أن توجت بفصل حفصة عن إلهام ولله الحمد بمتابعة والد التوأم الذي كان يتواصل معنا عن طريق المايكروفون وشبكة التلفزيون الداخلية واعتراه إحساس طاغ بالفرح عندما شاهد لحظة فصل الجسدين الصغيرين عن بعضهما بعد حوالي ١٥ ساعة من العمل المتواصل، ثم قسمنا الفريق الطبي إلى فريقين لاستكمال بقية العملية التي استغرقت ١٨ ساعة متواصلة واصطففنا في نهاية العملية لأخذ الصورة التوثيقية التذكارية، وعند خروجنا من باب العملية عانقني والد التوأم وهو يبكي من شدة الفرح، كما فرحت زوجته وهي تتجه إلى ابنتيها. نقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثتا حوالي ثلاثة أسابيع أفاقتا بعدها تمامًا وعادتا إلى وضعهما الطبيعي، وبعد ذلك نقلتا إلى جناح الأطفال رقم (٧) لتبدأ عملية التأهيل، وبعد ثلاثة أشهر غادرتا المستشفى إلى مسقط رأسهما في المغرب الشقيق لتعودا بعد هذه العملية إلى المملكة العربية السعودية لمتابعة الفحوصات الدورية التي أوضحت أنهما بخير وصحة، جيدة.

عناق حار

الفريق الطبي

إلهام وحفصة بعد العملية

إلهام

حفصة

obeikandl.com

١٤

توأم بين الحرب والفقر

ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ ديسمبر ٢٠٠٦م

obeikandl.com

زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم

زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم العراقي

obeikandi.com

توأم بين الحرب والفقر

ذو القعدة ١٤٢٧- ديسمبر ٢٠٠٦م

حمل تحت الرصاص ودوي المدافع

أبوان صغيران، وفقرٌ يكاد يطفئ البريق في الأحداق، وحرب ضروس تدور في شوارع وطرقات وأحياء مختلف مدن العراق لاسيما العاصمة بغداد التي تمزقها تفاعلات تلك الحرب، يقع منزل الأسرة في منطقة النجف التي لا تبعد كثيراً عن بغداد، كانت المنطقة وادعة قبل أن يمزق دويُّ المدافع والراجمات وأزيز المجنزرات وأصوات الطائرات المقاتلة سكونها وهدوءها ويمنع النوم عن عيون بنيها.

في هذه الضحية وفي خضم هذه الأوضاع الحربية الصعبة القاتمة أحست الزوجة بأعراض حمل جديد، وكان هذا الحمل بداية رحلة يجهلان مجراها ومرساها.. بدأ الحمل في ظروف أمنية ملتهبة، و قتال لا يهدأ أبداً، هدمٌ وقتلٌ وحرق ونهب، وسياراتٌ مُفخخة وهجماتٌ انتحارية، واقع مرعب من يصبح فيه لا يُمسي، ومن ينام لا يأمن أن يصحو.. داخل نفق هذه المخاوف والمآسي، وقد الموارد وصعوبة العيش تتابعت أشهر الحمل، والأم تجهل ما يتحرك في طيَّات رحمها، كانت تأمل مع زوجها أن يرزقهما الله مولود أو مولودة تضفي على حياتهما المحفوفة بالمخاطر سعادة ولو اسمية، وتداعب فراغ الأم وتنسيها بعض مآسي الحرب وويلاتها؛ ولكن مشيئة الله جل وعلا أرادت غير ذلك، فكان حمل الأم مختلفًا وآلامه أشد، وثقله أكبر، بطنها يتكوَّر وينتفخ يوماً بعد يوم بصورة لم تعهدها من قبل، إحساس بالتعب لا يفارقها، ولكن لم يكن أمامها سوى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى مع الأخذ بالوسائل، فقصدت مستشفى القرية المتواضع الذي لم يضف جديدًا إلى ما كانت تعلمه؛ بل كان تشخيصهم مجرد توصيات لا تستند إلى أدلة تشخيصية ملموسة، شكَّ كادر التمريض في وجود توأم، وغلَّب بعضهم احتمال طفل واحد، بينما رجَّح آخرون وجود سوائل زائدة في الرحم أدت إلى انتفاخ البطن، ولم تكن زيارتها لهذا المستشفى ذات جدوى؛ بل ضاعفت همومها وقلقها. مرَّت الأيام والليالي بين ظلمات وألم وخوف وجوع حتى اقترب موعد الولادة، ولمَّا جاءها المخاض نقلها زوجها إلى ذلك المستشفى المتهالك ذي الإمكانات الفقيرة، فقرر أطباؤه إجراء عملية قيصرية لها، فكانت ولادتها مختلفة ومتعسِّرة وغير طبيعية. توالت الساعات الطوال والأب صغير السنِّ ينتظر خارج غرفة الولادة على أحر من الجمر، متلهفاً لسماع خبر يسعده ويُنهي الطمأنينة و لسكينة على قلبه، ولما طال انتظاره شعر بالقلق والحيرة والارتباك إلى أن أطلت الممرضة فانطلق نحوها يرقُب شفتيها لعلهما تتحركان بالبشرى، وعوضًا عن ذلك قذفت إليه بالخبر الذي صدمه وزلزل كيانه، أخبرته بأنه رُزق توأماً؛ ولكنه ليس كمثل بقية التوائم العاديين، إنه توأم ملتصق بوزن أقل من الطبيعي. خرج هذا التوأم في ظروف أشدُّ حلكة وظلامًا، فلا إمكانات متوفرة، ولا وسائل أمان أو أجهزة لعلاج مثل هذه الحالات، علاوة على ما يعانيه المستشفى وغيره من ندرة واضحة في أدوات التعقيم، بل ولا وجود لأي ملمح للرحمة أو الاكتراث بمثل هذه الحالة في ظل الظروف القاسية التي تئن من وطأتها بلاد الرافدين. في هذا الجو المشحون بالموت لا تستطعم الأسر مذاقًا لحلوى، ولا تحسُّ بأوراق تتنفس من حولها، أو بورود تتفتَّق أو أزهر تتفتَّح معلنة ميلاد حياة جديدة، ولا تتوقع هدنة تتيح للنفس لحظة اطمئنان وادعة تتأمَّل فيها مقاومة الطبيعة من حولها لجور

فاطمة والزهراء عند وصولهما

شرح تفاصيل العملة

الإنسان وإفساده للحياة وتدميره لمقوماتها.. كل شيء ذابل وبلا نكهة؛ وجوه البشر، أوراق الشجر، ألوان الزهر، رذاذ المطر وحتى صلابة الحجر.. لا شيء يُبهج القلوب ويُضحك الوجوه. تلقَّى الأبُ المسكين خبر التوأم السيامي بمشاعر الخوف ودموع الحزن، ذُهل وتملَّكته الحيرة، وبقي أسيرًا لآثار الصدمة فترة طويلة، وبكي بكاءً مريرًا، وأحس وكأن عينيه تذرفان دمًا لا دموعًا. جلس يقاوم هذه الأحزان والآلام بعد أن استعاد قليلاً من رباطة جأشه، رفع كفَّيه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يُفرِّج كربته.. هدأت نفسه قليلاً وإن ظل وجهه مكسوًا بمسحة من الكآبة، وعاوده القلق والهمُّ حين نقل خطواته في الاتجاه إلى غرفة زوجته، كيف يخبرها وهي ما زالت تحت تأثير جراح الولادة القيصرية وآلامها؟ وكيف يكون وقع هذا الخبر عليها؟

إبتسامة لم تكتمل

بعد أن أفاقت الأم من آثار المخدر؛ تاقت نفسها إلى معرفة جنس مولودها: ولدٌ هو أم بنت؟ وما أن أبصرت زوجها يدخل عليها في غرفتها حتى بادرته بالسؤال: ما عساي أنجبت؟ صمت برهة واستعصت عليه الإجابة، انعقد لسانه لأول وهله، ثم تمالك نفسه وأجابها وهو يتمتم حزينًا مرتبكًا: لقد رزقنا الله طفلتين، علت شفتاها ابتسامة عريضة أنستها آلام الولادة، غير أن هذه الابتسامة غارت على فمها حين أكمل زوجها عبارته: ولكنهما غير سليمتين!! فصرخت متسائلة: ماذا تقصد؟ ما بالهما؟ هل هما على قيد الحياة؟ فأكد لها أنهما بخير ولكنهما تحت العناية المركزة، وهي عناية ليس لها من مدلولاتها إلا اسمها، فهي تفتقر إلى أساسيات وضروريات الأجهزة والمعدات. ثم ذكر لها أن الطفلتين ملتصقتان، لم تستوعب معنى الاصطلاح؛ وحين تبيَّن لها معناه لم تتمالك نفسها، وزفرت زفرة حارة وذرفت دموعًا مريرة كأنها مختلطة بقطرات دم ساخن، انكمشت في فراشها وتكوَّمت على نفسها تبكي بحرقة، اجتهد زوجها في مواساتها والتخفيف عنها وهو يمسح دموعها ويدعوها إلى الاسترجاع والصبر. جلس بجانبها وقد تجسَّمتْ أمامهما المصيبةُ كجبل شاهق،.. حارا في الأمر، تواردت في مخيلتهما أسئلة كثيرة يجهلان الإجابة عنها، ولا يدريان من يملك مفاتيح حلِّ هذه النازلة.. وحُقَّ لهما أن يحارا ويكتئبا؛ فهما يدركان أن حال المستشفى الصغير المتواضع ليس بأحسن من حال أسرتهما، إذ لم يسبق لطاقمه الطبي أن واجه مثل هذه الحالة الغريبة، وتنقصه الخبرة اللازمة، إضافة إلى أن المستشفى نفسه يعاني فقرًا شديدًا في المعامل والمختبرات والأجهزة والتقنيات الحديثة! وفي هذه الأثناء زاراهما والدا الأم ليشاركاهما فرحة المولود الجديد، ولكنهما عندما وقفا على المشهد وتبيَّنا ملامح الحزن والكآبة على الزوجين؛ انتابهما الشك، ولما علما الخبر كان وقعه عليهما كالصاعقة. وبعد أيام من الهمِّ والحزن والتفكير والقلق بدأ الزوجان رحلة البحث عن حلٍّ تدفعهما عاطفة الأبوة والأمومة المتدفقة، ولم يكن أمامهما سوى إيجاد مخرج لمساعدة طفلتيهما رغم الظروف الكالحة التي يعيشها العراق، انطلقا في مسعاهما متوكلين على الله تعالى الذي يُفرِّج همَّ المهمومين ويُنفِّس كرب المكروبين، ويفتح أبوابه لكل المحتاجين.

خفتت آثار الصدمة، وتضاءلت مشاعر الحزن والأسى، وانقطعت نظرة الفضولي القريب والبعيد؛ وظلت الأسرة تترقَّب متطوعًا لتقديم المساعدة أو اقتراح حلٍّ مناسب، قادها النصح والمشورة إلى وسائل الإعلام العراقية والعربية التي تجاوبت مع الحالة، وتناقلت الخبر، وأطلقت صيحة استغاثة باسمها، سمعت الدول المجاورة هذه الصيحة، وسمعها العالم أجمع؛ ولكن هل

وداع والد التوأم فاطمة والزهراء قبل العملية

أثناء العملية

من مجيب؟ توقّع والدا التوأم وذوو النوايا الحسنة أن تكون الدول الغربية ذات التواجد الكثيف في العراق، وصاحبة الإمكانات الفنية والخبرات الطبية المتطورة أن تكون أول وأسرع المستجيبين، ولكن اصطدمت الاستغاثة بآذان صمّاء.

الإخلاء الطبي السعودي في مطار بغداد

وفي ماليزيا حيث كان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في رحلة رسمية إلى هناك، ورغم البرنامج الرسمي المزدحم؛ سمع حفظه الله صيحة الاستغاثة هذه، وعلم بالظروف الصعبة التي تعيشها الأسرة، فما كان منه إلا أن وجّه على الفور بإرسال طائرة الإخلاء الطبي إلى بغداد لنقل التوأم إلى الرياض رغم الحظر الجوي وما يمكن أن يكتنف هذه الرحلة من مخاطر.. تلقت الأم الضعيفة هذا الخبر فبكت بكاءً شديدًا، بكاء اختلف كثيرًا عن سابقه؛ فقد كان مبعثه الإحساس العارم بالفرح والسعادة، ولم تستطع كتمان أو مقاومة دموعها، وشاركها زوجها هذه الانفعالات، ومكثا ينتظران بلهفة وصول طائرة الإخلاء، التي يستلزم دخولها إلى الأجواء العراقية إذناً من القوات الأجنبية المنتشرة في كل شبر من العراق، فهي الوحيدة التي تملك بمفردها حق اتخاذ القرار بينما تفتقده الجهات الرسمية هناك حينها. وبعد محاولات عديدة حصل قائد الطائرة على الإذن المطلوب وهبط بها في مطار بغداد رغم أصوات المدافع والرصاص الذي يتساقط كزخّات المطر، وبالفعل نُقل التوأم ووالداهما والطبيب المشرف عليهما إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض. كانت الحالة الصحية للتوأم (فاطمة والزهراء) حرجة جداً تطلبت تدخلاً طبياً وهما على متن الطائرة، وفي المطار كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف نقلتهم إلى المستشفى، وأُدخل التوأم حالاً إلى وحدة العناية المركزة للأطفال حيث كنت مع زملائي في استقبالهما بحضور بعض وسائل الإعلام المحلية والعربية والعالمية، وشرعنا على الفور في تقييم الحالة التي كانت صعبة جداً، وكان وزنهما معًا لا يتجاوز ثلاثة كيلوجرامات، ويعانيان التهابات مفرطة في الجهازين البولي والتنفسي، مع وجود بكتيريا وفطريات في جسدهما، وتطلّب ذلك متابعة دقيقة وعناية فائقة حفاظًا على حياتهما. ثم بدأتْ بعد ذلك مرحلة الفحوصات الطبية وتشكيل الفريق الطبي الذي بلغ عدد أعضائه حوالي ٧٥ شخصًا يمثلون كافة التخصصات، وتركزت جهودهم على العناية بالتوأم ومساعدته تجاوبًا مع توجيه خادم الحرمين الشريفين. عقد الفريق الطبي أول اجتماع له بعد وصول التوأم بثلاثة أيام استعرضنا فيه الحالة الطبية للتوأم، واطّلعنا على بعض الصور الخاصة به، وأجرينا بالإضافة إلى ذلك فحوصات أخرى عديدة كشفت لنا وجود اشتراك في الصدر والبطن واحد وطرف سفلي لكل منهما وثالث صغير ومشوّه لا يخص أيّاً منهما. ورأينا بناءً على ذلك ضرورة التركيز على حياة التوأم وتغذيته. استغرقت مدة العناية بالتوأم حوالي أربعة أشهر حظيا فيها بمتابعة دقيقة ساعة بساعة إلى أن تجاوز وزنهما سوياً عشرة كيلو غرامات، وعقدنا بعد ذلك عدة اجتماعات لاستعراض نتائج ما أُجريَ من فحوصات دقيقة كشفت وجود اشتراك في الكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة، واشتراك في الجهازين التناسلي والبولي، ونظرًا لوجود الطرف الثالث المشوه فقد تناقشنا طويلاً حول ضرورة إجراء عملية لتمديد الجلد وإرخائه حتى نتمكن من تغطية الفراغ بعد الفصل؛ لأن الاتصال كبير والحالة حرجة، واتفقنا عليها جميعًا في النهاية باستخدام بالونات تحت الجلد لتمديده عبر عدة مراحل تستغرق مدتها أربعة أسابيع،

فصل الكبد

بعد الإنتهاء من فصل الوراء

وتولّى أطباء التجميل هذه المهمة، وواصلوا نفخ البالونات كل يومين أو ثلاثة إلى أن وصلت إلى الحد الأقصى. وبعد ذلك قررنا إجراء عملية الفصل يوم السبت ١١ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢ ديسمبر ٢٠٠٦م، واتفقنا في اجتماعنا الأخير على تجزئة العملية على ١٠ مراحل، وتوقعنا لإكمالها وإنجازها كاملة ٢٠ ساعة متواصلة، وكالعادة أجرينا عملية وهمية تجريبية قبل هذا الموعد بثلاثة أيام راجعنا خلالها أجهزة العمليات مع التأكد من جاهزية الفريق الطبي، كما راجعنا الخطة المكتوبة واتفقنا على مراحلها كاملة ثم شرحنا كل هذه التفاصيل لوالد التوأم، وأخبرناه بإمكانية إجراء العملية بنسبة نجاح لا تتجاوز ٦٠٪ نظرًا لما يعانيه التوأم من مشكلات والتهابات فضلاً عن حجم الاتصال الكبير. وبعد أن أحاط بكل المراحل وافق على إجراء العملية متقبّلاً كل ما يمكن أن ينتج عنها.

اهتمام إعلامي غربي

ذهبت إثر ذلك إلى خادم الحرمين الشريفين في مزرعته وشرحت له تفاصيل الحالة وملابساتها ونسبة نجاحها، فبارك خطواتنا ونصحنا بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه في كل مراحل العملية، ثم استأذنته في السفر إلى مكة المكرمة لأداء العمرة حيث اتجهت إلى الله عز وجل بخالص الدعاء أن يوفقنا ويكتب للتوأم الشفاء والعافية، وأن ييسر للفريق الطبي طريق النجاح خدمة للإسلام والمسلمين. وبمجرد عودتي إلى الرياض ذهبت إلى المستشفى للتأكد من جاهزية العملية. وكان هناك اهتمام كبير ومتابعة مباشرة من الإعلام الغربي لهذا التوأم الذي نُقل من قلب بغداد حيث تتواجد القوات الغربية كافة، أقلقت هذه المتابعة الإعلامية اللصيقة الفريق الطبي، وشكّلت عنصر تحدٍّ لي ولزملائي مما ضاعف إصرارنا على النجاح بإذن الله تعالى.

كان نومي قلقًا ليلة العملية، فصحوت مبكرًا وأديت صلاة الفجر ثم توجهت إلى المستشفى والتقيت بالزملاء وتحدثت إلى والدي التوأم اللذين كانت أعصابهما متوترة ومشدودة، ويبكيان لحظة وداعهما لطفلتيهما. بدأت العملية في الساعة السابعة والنصف صباحًا وكانت منقولة على شبكة الإنترنت مع نقل حي بواسطة العديد من الفضائيات. واستُهلت أولى مراحلها بالتخدير فالتعقيم، ثم حملت المشرط الصغير وشرعت في فصل الجلد بين التوأم باسم الله وعلى بركة الله، وبعد إكمال فصل أضلع الصدر وأغشية القلب المشتركة وإبعاد قلب فاطمة عن قلب الزهراء، واصلنا عملنا في رتق الأغشية من جديد، لننتقل بعدها إلى مرحلة فتح البطن وفصل الكبد. وفي هذه الأثناء تلقينا اتصالاً مباشرًا من فضائيات غربية شهيرة مثل (CNN) و (BBC) تستطلعان عن مدى تجاوب فاطمة والزهراء ونسبة نجاح العملية، وكنا نرد على استفساراتهم وأسئلتهم بكل ثقة واطمئنان دون التوقف عن مهماتنا الجراحية مستهدفين من ذلك إبراز صورة مشرقة لأبناء الأمة العربية والإسلامية، وأخذها بأسباب العلوم والمعارف والتقنيات، وبلوغ درجة عالية من الخبرة على المستوى العالمي، واكتملت هذه المرحلة وما أعقبها من مراحل أخرى لفصل الأمعاء والمسالك البولية والأجهزة التناسلية والطرف الثالث المشوه وتجزئة الجلد والعضلات بين الطفلتين وفصل الحوض. وبعد حوالي ١٥ ساعة ونصف الساعة اكتمل تمامًا فصل فاطمة عن توأمتها الزهراء بفرحة غامرة

عناق حار من والد التوأم

فاطمة والزهراء بعد العملية

من أعضاء الفريق ووالدي التوأم، وارتفعت موجة من التصفيق حين نقلت فاطمة إلى سرير منفصل عن شقيقتها الزهراء. واستغرقت إعادة عملية تأهيل الأعضاء وتغطية الجراح ساعتين ونصف الساعة تقريبًا.. وبذلك يكتمل نسيج هذه القصة الطويلة الصعبة والمعقدة للتوأم القادم من العراق، وتصل جميع فصولها ومشاهدها إلى نهايتها خلال ١٨ ساعة ولله الحمد. ثم نُقلتا مستقلتين عن بعضهما إلى غرفة العناية المركزة، وكان والدهما (حيدر) على باب غرفة العمليات يعانقني ويعانق أعضاء الفريق كلاً على حدة ويدعو لهم بالتوفيق الدائم والنجاح المستمر، بينما كانت زوجته تبكي وهي تلمس يد فاطمة مرة وتقبِّلها ثم تنتقل إلى الزهراء لتفعل الشيء نفسه. مكثت الطفلتان حوالي خمسة أسابيع في العناية المركزة وأسبوعين في جناح الأطفال. وبعد أن أفاقتا من المخدر زارهما القائد الإنسان والوالد العظيم الملك عبد الله في العناية المركزة زيارة أبوية حانية وقبَّلهما، وهنأ والديهما على شفائهما، وطلب منهما البقاء في بلدهما المملكة العربية السعودية إلى أن تتماثل الطفلتان إلى الشفاء الكامل بإذن الله تعالى؛ بل عرض عليهما إحضار من يحتاجان إليه من أقاربهما لمساعدتهما إذا لزم الأمر، ونصحهما بعدم الاستعجال لأن ظروف العراق لا تسمح بمتابعة علاج مثل هؤلاء الأطفال الأبرياء.

وبعد حوالي ثلاثة أشهر من إجراء العملية وبعد أن تحقق للطفلتين الشفاء الكامل استأذن والدهما في العودة إلى العراق وأصر على ذلك رغم محاولة الفريق إقناعه بالعدول عن قراره والبقاء في الرياض لوقت أطول، ولكنه فضَّل العودة نظرًا لظروفه الشخصية. وفي يوم السبت ٤ ربيع الثاني ١٤٢٨ الموافق ٢١ إبريل ٢٠٠٧م غادر التوأم العراقي (فاطمة والزهراء) المملكة العربية السعودية بصحبة والديهما متوجهين إلى الجمهورية العراقية الشقيقة بعد اكتمال فترة علاجهما التي استمرت أكثر من سنة وشهرين.. وهكذا اكتملت هذه القصة التي بدأت فصولها في العراق وانتهت في الرياض.

فاطمة والزهراء بعد العملية

obeikandl.com

شوفوبو وفنبوم تهديان بلدتهما للإسلام

ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ أبريل ٢٠٠٧م

obeikandl.com

زيارة خادم الحرمين الشريفين

لحظة وصول التوأم

obeikandl.com

شوفوبو وفنبوم يهديان بلدتهما للإسلام

ربيع الأول ١٤٢٨هـ - أبريل ٢٠٠٧م

لعاشر توأم سيامي

في قرية صغيرة تبعد حوالي خمس ساعات بالسيارة عن العاصمة الكاميرونية بانجي تعيش أسرة متوسطة الحال، ومثل جميع سكان القرية تكدح هذه الأسرة طوال ساعات نهارها في زراعة بعض المحاصيل تحت ظروف مناخية صعبة يضربها الجفاف حين يستعصي الخريف وتشح الأمطار، ويقتصر إنتاجها على مؤونة عيشها اليومي، الفقر سمة غالبة على أهل القرية، مساكنهم عبارة عن أكواخ جدرانها من فروع الأشجار الجافة، وأسقفها مخروطية منسوجة بالقش أو ببعض الأعشاب الطويلة رقيقة السيقان كتلك التي تشتهر بها البيئات الفقيرة. رب الأسرة نصراني ينوء بحمل ثقيل، لم يكمل تعليمه؛ بل ترك مقاعد الدراسة رغم تفوقه ليتفرغ على إعالة أسرته الكبيرة، هجرها مضطرًا وفي نفسه حسرة، زهد في العمل الوظيفي لأن عائده لا يكفيه مؤونة أيام، وآثر العمل في مزرعة الأسرة.. كان يعول ١٣ فردًا (والداه وزوجته وأطفاله التسعة)، ينهض مبكرًا في الصباح ويعود مجهدًا في المساء، لم يكن يهدأ له بال ولا يقرُّ له جفن حتى تسخو الأرض وتجود بما يتيسَّر، كان حريصًا على مقاومة الظروف، ولا يحتمل رؤية أفراد أسرته يتضورون جوعًا، ولذلك كان راضيًا عن دأبهم واجتهادهم في مساعدته لفلاحة قطعة أرضه التي أضحت لا تجود إلا بالقليل، ولولا مجموعة الأبقار التي يملكها، ويخصها ببعض إنتاج أرضه؛ لما عرفت أسرته للعيش طعمًا، فالأبقار تساعده في حرث الأرض، وتدرُّ الحليب فيخصص بعض ما تجود به لإطعامهم، ويبيع ما يتبقى منه لينتفع بثمنه في شراء المستلزمات الأخرى، وتوفير المصروفات المدرسية لأبنائه. كان عيشه والحالة هذه خاليًا من الطموح، ولا يعرف من الحياة إلا الكد والتعب لصيانة أبنائه من الوقوع في براثن الجوع. حملت زوجته لتهب له طفله العاشر، وليزداد حمله ثقلاً، وبدأت أعراض هذا الحمل مختلفة، تباطأت معه حركة الزوجة وقلَّ نشاطها، إرهاق وتعب مع أقل مجهود، شعور بالمعاناة ظل يلازمها، وهاجس القلق والخوف يسيطران عليها؛ لأنها وحدها التي تدرك ثقل ما تحمله في رحمها وما يسببه لها من إجهاد، لم يكن بوسع الزوج الانتقال بها إلى مستشفيات العاصمة أو أي مدينة كبيرة أخرى.. فهذه تكاليف فوق احتماله، وعزيزة على مزارع يُجاهد الأرض ليكفي أهله ذُلَّ السؤال. تتابعت أسابيع الحمل وحياة الأسرة تجري على منوالها الرتيب، ومعاناة الأم تزداد وقلقها يتضاعف.. حانت لحظة المخاض، ليس ثمة من يقدم المساعدة سوى قابلة القرية الوحيدة، هرع الأبناء إليها يستدعونها على عجل، أقبلت بمعداتها البدائية، وتمكنت من إكمال المهمة داخل عيادة شديدة التواضع، ولادة طبيعية ولكنها مُتعسِّرة وصعبة أوشكت أن تودي بحياة الأم ومولودها، في حين كان من الطبيعي إجراء مثل هذه الولادة بعملية قيصرية في أحد المستشفيات المؤهلة. شعرت القابلة والأم معًا بصدمة كبرى ودهشة بالغة لحظة خروج المولود من الرحم إلى الضوء، تفاجأت الاثنتان بخروج توأم سيامي ملتصق، ارتجفت القابلة خوفًا وهلعًا وكادت تسقط على الأرض خشيًا عليها لولا أن تمالكت نفسها وجلست على أقرب مقعد لها. أدخلت المفاجأة الأم في نوبة بكاء عنيف، لم تتبيَّن القابلة من شدة خوفها وذعرها ما إذا كانت الأم تبكي من الألم الحاد الذي صاحب عملية الولادة؟ أم من غزارة نزيف الدم الذي أعقبها؟ أم من صدمة التوأم الملتصق؟

التوأم الكاميروني عند وصولهما

مع والديهما صباح يوم العملية

الأب في الخارج ينتظر خروج القابلة، طال الانتظار، حار في هذا التأخير غير المعهود، ثم خرجت لتنقل إليه الخبر كما هو مجردًا، لم تنتظر ردة فعله أو تحاول قراءة مشاعره؛ بل هرعت للاستنجاد بطبيب في قرية مجاورة، فأقبل على الفور يساعدها في رتق آثار التمزق جراء الولادة. وبعد استقرار حالة الأم وتوأمها بدأ الأب رحلة البحث عن حلٍّ لمشكلة التوأم الذي اختار له الأبوان اسمي (شوفوبو وفنبوم). كانت إحدى البنتين ضئيلة الحجم ضعيفة الجسد مقارنة بأختها، وفوق ذلك تعاني مشكلات صحية عديدة، ولذلك لم يخْفِ العاملون والعاملات في العيادة أو المركز الصحي الذي يُعنى بهما قلقهم وخوفهم من أن تفقد حياتها سريعًا، ولكن شاء الله أن تقاوم ظروفها الصحية وتبقى على قيد الحياة، كشف الأب جهوده بمساعدة الأقارب وأهل القرية بحثًا عن حل، ولكن دون جدوى، فبقي على حاله حزينًا منكسرًا مدة من الزمن إلى أن دخلت القرية إحدى الجمعيات الخيرية المسيحية المعنية بالأطفال، فحظي التوأم شوفوبو وفنبوم باهتمامها وعنايتها وإشرافها، وفي هذه الأثناء تطوع أحد أطباء هذه الجمعية بالولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة قريب له هناك ببث رسالة إغاثة عبر شبكة الإنترنت لكافة المراكز المتخصصة في فصل التوائم.

رسائل للكاميرون عبر أمريكا

وهنا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض استقبلنا مثل غيرنا من المراكز النظيرة هذه الاستغاثة، وطلبت تقارير طبية وصورًا للتوأم، وبعد عدة أسابيع تسلمنا هذه التقارير؛ ولكن لم يكن التواصل مع والدي التوأم وأهل قريتهم سهلاً على الإطلاق نظرًا لعدم وجود اتصال هاتفي مباشر أو عناوين بريدية، فكانت اتصالاتنا قاصرة على رسائل إلكترونية تمر عبر الولايات المتحدة الأمريكية، فتتولى تلك الجمعية الخيرية إرسالها بدورها إلى العاصمة الكاميرونية، ثم تُنقل بواسطة أشخاص إلى قرية التوأم، وبعد أن وصلت هذه التقارير؛ بادرت بنقلها وعرضها على خادم الحرمين الشريفين الذي كان في جلسة أسرية مع بعض إخوته وأبنائه، وبعد أن اطلع عليها تأثر كثيرًا ولم يسأل عن لون التوأم أو هويته أو ديانته أو مستواه الاجتماعي؛ بل سأل عن وضعه الصحي، ثم وجهني على التو بإخبار والدي التوأم بموافقته على علاج ابنتيهما وتكفله حفظه الله بكافة نفقات سفرهم وإعاشتهم في المملكة العربية السعودية. كان يفعل كل ذلك بنخوة القائد المسلم، ولا يبحث عن مجد أو إعلام؛ بل كان يبتغي وجه الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيرًا، وأن يُبيِّن للعالم الصورة الحقيقية للمملكة العربية السعودية، وأن يُظهر الوجه المشرق للأمة العربية والإسلامية.

وإثر هذه الموافقة الكريمة أرسلت رسالة إلكترونية عن طريق الجمعية الخاصة التي تتولى العناية بهذا التوأم، وبعد أسبوعين علمتُ أن الأسرة تلقت الخبر، فحركتها المفاجأة الكبيرة التي كانت تتجاوز عقولهم، فبكى جميع أفرادها فرحًا، لم يحدث أن كانت لديهم أي معلومات عن المملكة العربية السعودية سوى اسمها، ولم يسمعوا بالملك عبد الله؛ ولكن هذه اللفتة والمبادرة الإنسانية جعلتهم يدعون له بالصحة والعافية. انضم الأهل والأقارب والجيران إلى هذه الأسرة وهنأوها بهذه البشرى التي تضع حدًّا لمعاناة توأمهما. ولاستكمال الإجراءات كُلِّفت سفارة المملكة بالكاميرون بالعناية بالتوأم وترتيب نقله مع أسرته إلى الرياض.

في يوم السبت الخامس من ربيع الأول ١٤٢٨هـ الموافق الرابع والعشرين مارس ٢٠٠٧م وصل التوأم إلى مطار الملك خالد الدولي بالرياض حيث كان في استقباله فريق طبي وسيارة إسعاف نقلته إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني.

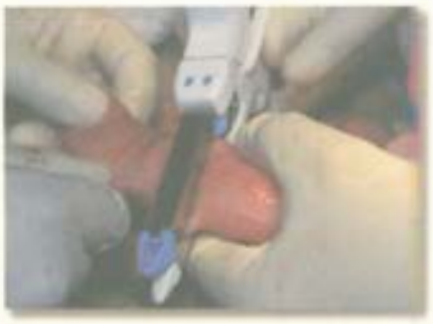

فصل الأمعاء

لحظة الإنفصال في غرفة العمليات

وكنت في استقباله مع زملائي على بوابة المستشفى كما هو معتاد. وبدأت أولى مهماتنا بفحص التوأم فحصًا دقيقًا وبعد استكمال الفحوصات تحدثت إلى والدهما الذي كان يجيد اللغة الإنجليزية، وشرحت له وضع ابنتيه، واشتراكهما في منطقة الصدر والبطن والحوض، وأنها بحاجة إلى مدة عشرة أيام تقريبًا لإكمال كل الفحوصات واتخاذ القرار اللازم، وفي نهاية هذه المدة عقد الفريق الطبي اجتماعين استعرض فيهما الفحوصات وتبين له وجود اشتراك في الكبد والأمعاء والجهاز البولي والتناسلي والحوض، ولكل واحدة منهما طرف سفلي واحد وتشتركان في طرف ثالث مشوه، واتفق أعضاء الفريق على إمكانية عملية الفصل رغم أن التوأم تعاني مشكلات في القلب وضغطًا في شرايين الرئة؛ ولكن هذا ليس عائقًا أمام العملية. وكان القرار بإجراء العملية على عشر مراحل تستغرق مدتها حوالي ١٥ ساعة.

٢٦ يشاركون في عملية الفصل

وبعد عدة دراسات واجتماعات تقرر إجراء العملية يوم السبت ٤ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق ٢١ أبريل ٢٠٠٧م على أن تسبقها ثلاثة أيام عملية وهمية تجريبية، ثم شرحنا كافة تفاصيل العملية لوالدي التوأم. وفي اليوم المحدد للعملية الوهمية تواجد أعضاء فريق الجراحي الذين بلغ عددهم ٢٦ من جراحين وفنيين وطبيب تخدير وممرض، وتلا ذلك مراجعة الخطة وتجهيز غرفة العمليات، ونقل التوأم إليها. وأكمل أطباء الأطفال إجراءات تجهيز التوأم واستعد الفريق الجراحي ليوم العملية. وفي يوم الخميس توجهت مع زوجتي كعادتي قبل كل عملية إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بأن يوفقنا في تعزيز رفعة الأمة الإسلامية والعربية وإلى تحقيق تطلعات خادم الحرمين الشريفين بإنجاح هذه العملية. وفي اليوم المحدد نقل التوأم إلى غرفة العمليات، وكان الوالدان في وداعهما فبكت الأم وخانتها قدرتها على التماسك بعكس زوجها الذي تمالك نفسه وقاوم انفعالاته العاطفية رغم علامات التأثر الواضحة على وجهه. بدأت أولى مراحل العملية في الساعة السابعة والنصف بالتخدير واستغرقت مدته ساعتين ونصف الساعة، تلتها مرحلة التعقيم، ثم بدأنا باسم الله وعلى بركة الله بمشرطنا الصغير في فتح الجلد بين التوأم، وبعد فتح عظام وعضلات الصدر تمكنا من فصل أغشية القلب عن بعضها، وانتقلنا إلى فصل الكبد باستخدام أجهزة الليزر والأشعة الصوتية لمنع النزيف الذي كان قليلاً ولله الحمد، وأعقب ذلك فصل الأمعاء الدقيقة ثم الغليظة، وفصل المسالك البولية والأجهزة التناسلية وعضلة الحوض، ثم فصل الطرف المشوه الثالث بفصل العظام واستخدام الجلد والعضلات لتغطية الفراغ، واكتمل فصل الجسدين عن بعضهما بعد حوالي ١٣ ساعة من بداية العملية، تلا ذلك إعادة تركيب الأطراف التي استغرقت مدتها ثلاث ساعات لتكتمل مهمتنا الجراحية بعد ١٦ ساعة من العمل المتواصل ولله الحمد.

لا يمكن أن يحدث هذا؟!

وبعد نجاح العملية قام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بتهنئة الفريق الطبي في غرفة العمليات التي غادرناها ليستقبلنا والدا التوأم بحرارة وبابتسامات عريضة تعبيراً عن السرور والفرحة لرؤية بنتيهما

الفريق الطبي للتوأم الكاميروني

والد التوأم يعلن إسلامه

لأول مرة على سريرين منفصلين. لم يدر بخلدهما إطلاقًا أن يغادرا ذات يوم قريتهما الصغيرة النائية في أقصى وسط غرب أفريقيا إلى مدينة العلم والتراث الرياض التي أكدت للعالم أنها بلد السلم والسلام والحضارة. مكث التوأم في العناية المركزة حوالي عشرة أيام، وحين أفاقتا في منتصفها زارهما الوالد الحنون والأب المتواضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في غرفة العناية المركزة بابتسامته المعهودة، وقبّلهما وهنأ والديهما اللّذين لامست قلبيهما هذه الزيارة الكريمة، وحينها قال والد التوأم لا يمكن أن يحدث هذا، فالملك عبد الله المشغول بإدارة دولته والذي يهتم بشؤون الأمة العربية والإسلامية يُشرِّف طفلتين صغيرتين بسيطتين قادمتين من وسط أفريقيا بزيارته الكريمة، طفلتان يحمل والداهما الفقيران لونًا مختلفًا وديانة مختلفة وثقافة مختلفة، في حين لم يعبأ بنا أو يهتم بمشكلتنا أي إنسان في بلدنا، ناهيك عن أن رئيس دولتي لم يعلم بوضع التوأم.. كانت هذه الزيارة بمثابة الشعور الكبير الذي أحدث تأثيرًا كبيرًا في نفسيتي والدي التوأم .. بعد ذلك نقل التوأم إلى الجناح رقم (٧) لتبدأ مرحلة التأهيل التي استغرقت ثمانية أسابيع. وفي يوم من الأيام طلب والد التوأم زيارتي في المكتب، فأذنت له، وأنا لا أدري ما يدور في ذهنه، ولا أعلم سببًا لزيارته بعد أن شُفيت ابنتاه تمامًا، وظننتُ أنه يريد الاستئذان ليعود إلى وطنه.. وقبل أن أسأله حاجته انطلق لسانه يتحدث عن الإسلام والمسلمين وعن الملك عبد الله وما يتمتع به من مشاعر إنسانية، وما يتميَّز به من تواضع وأريحية تجعله يتجاوز الرسميات ويُشرِّف التوائم بزيارتهما في غرفتهما بالمستشفى، بل ويستقبلهم في مزرعته الخاصة لا يمنعه عن ذلك اختلاف ملّة أو لغة أو ثقافة أو لون، ثم طلب مني تزويده ببعض الكتيبات التي تعينه على فهم الإسلام وأساسياته ومبادئه وقيمه، فانشرح قلبي وبادرت على الفور بإهدائه مجموعة من الكتب الإسلامية المترجمة إلى الإنجليزية. وبعد عدة أيام عاد ليخبرني بأنه أصبح قريبًا من الإسلام، واستيقن أنه الدين الذي يحمل علاجًا لأدواء الإنسانية، وإجابات شافية لحيرتها، وهو الدين الحق، دين سلم وسلام، وأن ما يقوم به المسلمون ابتداءً من خادم الحرمين الشريفين وانتهاءً بالفريق الطبي من استقبال أطفال من جنسيات وديانات مختلفة لإجراء جراحات نادرة لهم وباهظة التكاليف ليدلُّ دلالة بالغة على أن الإسلام لا يمكن أن يكون دين قومية واحدة، أو نزر لمنطقة جغرافية بعينها؛ بل هو دين البشرية جمعاء، والعقيدة الإسلامية عالمية الخطاب، ونظامها صالح لكل جوانب الحياة، ولذلك فقد قررتُ اعتناق هذا الدين، وبالفعل أعلن إسلامه وأصبح أخًا لنا في العقيدة.. وهكذا أضاءت شوفوبو وفنبوم نفق أبيهما ومنحتاه مفتاح الهدى، وكانتا سببًا في أن ينقل خطاه على طريق الرشاد. وبعد أيام قليلة غادر إلى بلاده بهوية جديدة، وآلى على نفسه أن يكون داعية للإسلام في وطنه. ولقد بلغ عدد المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام إلى وقت إصدار هذا الكتاب ٦٧٠ فردًا من قرية التوأم وكان الدافع الكبير لهؤلاء هو التعامل والمنهج الإنساني الذي يتمتع به خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ثم حسن معاملة الفريق الطبي للتوأم الكميروني.

فرحة الإنفصال

فرحة الخروج

صورة قبل سفرهما

obeikandl.com

١٦

فقدنا الأمل ولكن..

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م

obeikandl.com

خادم الحرمين الشريفين خلال زيارة أيوبة للتوأم السعودي عبدالله وعبدالرحمن

obeikandl.com

فقدنا الأمل ولكن..

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

حمل غريب.. !!

كان نواف وزوجته يعيشان في المدينة المنورة، مدينة الإشراق والنور، بلد المحبَّة والخير.. مهاجر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكان نواف يحيا حياة عفوية بسيطة خالية من المنغصات لأنه كان قريباً إلى ربِّه مخبتًا إليه باجتهاده في امتثال أوامره واجتناب نواهيه.. ولم يكن هو وزوجته يتوقعان أن يرزقهما الله بتوأم، وذات يوم شعرت الأم بأعراض حملها الرابع، وأحسَّت باختلافه عن أي حمل سابق، شكت إلى زوجها، وأوت إليه تبثه همومها وقلقها من هذا الحمل الغريب، فطرة الأم التي فطرها الله عليها تجعل أحاسيسها تتسم دائمًا بالصدق، فهي لا تشكو ولا تتوجَّع إلا إذا كان في الأمر ما يستدعي ذلك. وفي منتصف أشهر الحمل ذهبت إلى عيادة الطبيبة التي تراجع معها؛ فأخضعتها لبعض الفحوصات، وفي ضوء نتائجها شككت في أن يكون الحمل بتوأم، غير أن هذه النتائج لم تبيِّن التصاق التوأم. تزايدت معاناة الزوجة من ثقل ما تحمل، ومن الصعوبات والمشكلات التي يسببها، ووفقًا لتعليمات الطبيبة تابعت مراجعتها إلى المستشفى مرَّة في كل ثلاثة أو أربعة أسابيع. وفي نهاية الحمل أجرت الطبيبة فحوصات أكثر دقة، فاتضحت لها معالم الصورة، ولازمها شك في أن يكون التوأم ملتصقًا (سيامياً)، وذلك اقترحت على الزوج استشارة مركز متخصص، ونصحته بمراجعة مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني في الرياض. أقلقه الأمر وأزعجه، فظروفه لا تساعده في مقابلة تكاليف مثل هذه الحالة، ولا السفر إلى العاصمة الرياض، فأطفاله ما زالوا صغارًا _إمكاناته متواضعة، وفوق كل ذلك فإن الدخول إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية يتطلب تنسيقًا وموافقة مسبقة. فأشار عليه أحد معارفه بإرسال برقية إلى خادم الحرمين الشريفين، وبالفعل ما أن علم حفظه الله بتفاصيل الحالة حتى وجه على الفور بنقل الزوجة وزوجها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية على نفقته الخاصة مع تحمل كامل تكاليف السكن والإعاشة وما إلى ذلك.

مشكلات صعبة ومعقدة

في يوم الثلاثاء ١٣ ديسمبر ٢٠٠٥م تم استقبال الزوجين في مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وشكلنا فريقًا متخصصًا من قسم النساء والولادة لمتابعة الحالة، وبعد إجراء فحوصات دقيقة تأكد بما لا يدع مجالاً للشك التصاق التوأم، وحين استوثق الزوجان من الأطباء صحَّة نتائج هذه الفحوصات شعرا بصدمة كبيرة، وتتابعت أسئلتهما حول الحالة ومخاطرها وإمكانية نجاحها؛ بينما تتابعت كذلك دموع الأم تنحدر بغزارة، مع إحساس متصاعد بالقلق والإرهاق، ومعاناة شديدة في الحمل. وبعد أن هدأت حالتها جلستُ إليهما مهونًا عليهما، ومبيناً لهما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل مصيبة مخرجًا ولكل همٍّ فرجًا، وسيعينهما بقدرته سبحانه وتعالى على تحمُّل ملابسات هذا الابتلاء. أعانهما إيمانهما العميق على تقبُّل ما أراد الله بنفس راضية مطمئنة. وبعد أيام أُجريت عملية ولادة قيصرية للأم، فخرج إلى الوجود التوأم السيامي السعودي الرابع

عبدالله وعبدالرحمن عند وصولهما

الوالد يودعهما قبل العملية

(عبد الله وعبد الرحمن)، ونقلا إلى قسم العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، واتضح من تقييم الحالة وجود التصاق في منطقة الصدر والبطن والحوض، مع وجود طرف سفلي لكل منهما، ويشتركان في الجهازين التناسلي والبولي، مع عدم اكتمال جدار البطن، وكانت المثانة البولية والأمعاء الغليظة مفتوحتين إلى الخارج، وهناك اتصال بين الأمعاء الغليظة والمثانة البولية وجميعها تعدُّ مشكلات صعبة ومعقدة. وإثر هذه النتائج تشكل فريق طبي متخصص من عدَّة أقسام لمتابعة التوأم، وشرحتْ الحالة بالتفصيل للزوج والزوجة؛ فتأثرا كثيرًا، وعلت وجه نواف بعض ملامح الشكوك والخوف، وكان إحساسه موزَّعًا بين زوجته وطفليه التوأم في الرياض وبقية أطفاله الصغار الذين تركهم في المدينة المنورة مع حاجتهم الشديدة إلى رعاية الأب والأم لتلبية متطلباتهم ومتابعة دراستهم، إحساس مرير وظروف صعبة؛ ولكن الإيمان بالله هو الملاذ والسلوى. استمر الفريق في إجراء فحوصات دقيقة مع متابعة متواصلة؛ وبما أن الطفلين لديهما انسداد في الأمعاء وعدم تخلُّق لفتحة الشرج، فقد اضطر الفريق الجراحي بعد الولادة ببومين إلى إجراء عملية مستعجلة لعمل فتحة مؤقتة للبراز على جدار البطن، ثم أجرى بعد عدة أيام عمليات أخرى على مراحل لإقفال المثانة البولية، وكانت هناك مشكلات متعددة صحبتها التهابات في المسالك البولية والصدر، وتسمُّم في الدم، وقصور في الأمعاء، وبلغت حالة التوأم مرحلة حرجة جداً مما أضعف أمل الفريق الطبي رغم محاولاته المتابعة والجادة للتغلب على هذه الالتهابات، فكلما شفي عضو لدى احدهما عاد الالتهاب البكتيري وتسمم الدم إلى جسد الطفلين؛ مما يجعلهما في حاجة إلى أجهزة التنفس الاصطناعي، وتكررت هذه التداعيات المزعجة أكثر من خمس مرات على مدى ستة أسابيع.

فقدنا الأمل في حياة التوأم

غادر والدا التوأم الرياض إلى المدينة المنورة لرعاية بقية أطفالهما، مرت ثمانية أسابيع والتوأم على حاله إن لم تزدد حالتهما سوءًا، نقص تدريجي في الوزن دفعنا إلى استدعاء نواف إلى الرياض، وجلستُ معه بوجود زملائي من قسم العناية المركزة، وبيَّنتُ له أننا بدأنا نفقد الأمل في حياة ابنيه، وأنهما على شفا حافة، وعليه أن يتوقع أخبارًا غير سارة في أي لحظة، وأعدت له شرح تعقيدات الحالة عدة مرات، ثم وقَّع على ملفَّيْ التوأم وهو مقتنع ومتقبِّل برحابة صدر وسعة نفس كل ما يقضي به الله جل وعلا، فهو الرازق وهو المانع، وهو المحيي وهو المميت.. وأعرب عن ثقته الكاملة في الفريق الطبي ومخوِّلاً له فعل كل ما يراه مناسبًا ثم قفل راجعًا إلى المدينة المنورة. وبعد أسابيع من الظروف الصحية المتردية التي أوصلت التوأم إلى تلك الحالة الحرجة، ضاعف الفريق الطبي حركته وجهوده ليلاً ونهارًا لمجابهتها والتغلب عليها، ثم بدأ يلاحظ تحسُّنًا تدريجياً بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر من الولادة، وعلى مدى ثلاثة أسابيع شهدت الحالة استقرارًا تدريجياً، واستطعنا بصعوبة رفع أجهزة التنفس الاصطناعي، وطوال شهر آخر استمر استقرار الحالة؛ ولكن ما زالت الالتهابات تعاودهم على فترات متقطعة.. وبعد انقضاء عام كامل استقرت الحالة تمامًا مما حدا بنا إلى التركيز على مرحلة التغذية، وهي مرحلة لم تكن بأسهل من سابقتها بسبب قصور الأمعاء الغليظة الذي أشرنا إليه، بجانب قصور في الامتصاص بالأمعاء الدقيقة، وبدا من الصعب التحكم

مرحلة التخدير

مرحلة التعقيم

في زيادة الوزن، واستغرقت مدة هذه المرحلة حوالي ستة أشهر إلى أن شهد وزن التوأم تحسنًا واقترب من الوزن المطلوب. وبعد اجتماعات عديدة تبيَّن لنا اشتراك التوأم في أغشية القلب والكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة والحوض والجهازين البولي والتناسلي والصرف المشوه الثالث. وما أن تأكدنا من استقرار الحالة حتى عقدنا اجتماعنا الأخير واتخذنا قرارًا بإمكانية عملية الفصل بنسبة نجاح ٦٠٪ تقريبًا. ثم استدعينا والد التوأم مرة أخرى وشرحنا له تفاصيل الحالة، فأسعده أن يرى بصيص نور يعيد الأمل إلى جوانحه، فوافق على إجراء العملية التي تحدد لها يوم الإثنين ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٢ يوليو ٢٠٠٧م على أن تسبقها بثلاث أيام عملية وهمية.

وكما سبقت الإشارة فإن الحالة كانت صعبة جداً ومقلقة لنا ولوالدي التوأم. أطلعتُ خادم الحرمين الشريفين على تفاصيل الحالة وصعوبة القرار بشأنها، ولكنه كعادته حفظه الله كان متفائلاً، وشجعنا على المضيِّ قُدمًا اعتمادًا على الله وتوكلاً عليه. سافرت إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والتضرع والخشوع إلى الله أن يكشف ضر عبد الله وعبد الرحمن ويوفق مسعانا في هذه العملية الصعبة. وفي ليلة العملية زرت التوأم للاطمئنان على جاهزيته. وبعد التأكد من اكتمال الخطة الجراحية التي راجعناها في العملية الوهمية، عدت إلى البيت وخلدت إلى الراحة والنوم، واستيقظت مبكرًا وأدَّيتُ صلاة الفجر، ثم قصدت المستشفى على السيارة وسائقها يتحدث إليَّ وأنا شارد الذهن مع التوأم متمنياً النجاح في فصلهما. وفي الساعة السابعة صباحًا تجمع الزملاء في لقاء قصير، ونُقل التوأم بصحبة والديه إلى غرفة العمليات وعيناهما مليئتان بالدموع.

شهران في العناية المركزة

وفي الساعة السابعة والنصف صباحاً اتجهنا إلى غرفة العمليات مزودين بالتوكل الصادق على الله سبحانه وتعالى، وبدأت أولى مراحل العملية بالتخدير عند الساعة الثامنة إلا ربعًا، واكتملت المرحلة دون أي مضاعفات. ثم وُضع التوأم على جهاز التنفس الاصطناعي، وأعقب ذلك وضع القساطر في الشرايين من أجل تحقيق المتابعة الدقيقة، وبعد ذلك بدأت مرحلة الإعداد بتحديد مكان القطع الأولي، ثم تعقيم التوأم وتغطيته بفوط معقمة، وتلت ذلك مرحلة الجراح وشق التوأم من الأمام باستخدام مشرط صغير والكي الكهربائي لتقليل كمية النزف. وبعد إكمال فتح القفص الصدري اتضح لنا وجود اشتراك في أغشية القلب التي اكتمل فصلها دون أي مشكلات، وأعقب ذلك فصل الكبد باستخدام مشرط الليزر والأشعة فوق الصوتية، وأنجزنا هذه المرحلة كذلك دون نزيف ولله الحمد، كما تمكنا من فصل الأمعاء والجهاز البولي. أما عملية فصل الجهاز التناسلي فقد كانت حرجة وحساسة وتطلبت اتخاذ قرار لم نصل إليه إلا بعد دراسته مرات عديدة مع الزملاء من المسالك البولية، وخلُصت الدراسة إلى هذا القرار وهو أن تُفصل أغشية القضيب المشترك بالنصف من أجل المحافظة على رجولة كلا الطفلين، وخصصنا خصية لكل منهما. واكتملت هذه العملية الدقيقة بفصل الحوض وفصل الطرف الثالث المشترك. ولم يتعرض التوأم طوال هذه المراحل لنزف حاد كما كان متوقعًا، لأن الفريق استطاع توظيف خبرته ومهارته الفائقة في التغلب على الاشتراك الكبير في الأوردة بين التوأم، وبالتالي لم تكن هناك حاجة تستدعي عمليات نقل دم للتوأم. لم تصاحب هذه

أثناء العملية

أثناء العملية - فصل لكد

المراحل الجراحية أية صعوبات بحمد الله رغم أننا كنا نتوقعها عند فصل الأمعاء بسبب العمليات السابقة التي أجريت وصاحبتها بعض الالتصاقات، ولكن تواصل العمل بفضل الله حسب ما خُطِّط له.

وبعد حوالي ١٣ ساعة من العمل الجاد والدقيق والمركز اكتملت المهمة بفصل جسد عبد الله عن عبد الرحمن بقدر كبير من الفرحة المصحوبة بعاصفة من التصفيق الحار من الفريق الطبي ووالد التوأم الذي كان يشاركنا المداخلات عبر شبكة التليفزيون الداخلية. وقد تهلَّلت أساريرُه وامتلأ قلبه حبورًا حين انهالت عليه عبارات التهاني من الحاضرين الذين كانوا يشاركونه متابعة مراحل العملية، وبدأ لسانه يلهج بالشكر والدعاء لله عز وجل الذي أكرمه وزوجته بإسباغ نعمة العافية على طفليهما، ثم عبَّر عن امتنانه لخادم الحرمين الشريفين على هذه المبادرة الإنسانية النبيلة، ولكل أفراد الفريق الطبي، ثم حمد الله تعالى الذي أكرم الشعب السعودي والشعوب العربية والإسلامية قاطبة بهذا الصرح الطبي العظيم؛ مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني التي أصبحت منارة آمال وتطلعات لكل التوائم السيامية من مختلف أنحاء العالم؛ بل ولكل طالبي الاستشفاء من أمراض مستعصية.

وفي المرحلة النهائية من العملية اكتملت إعادة تركيب الأعضاء التي استغرق مدتها ثلاث ساعات، وبالتالي فقد تكللت جميع المراحل بنجاح تام، واستطاع الفريق الطبي اختزال مدتها من ٢٢ ساعة إلى ١٦ ساعة من العمل المتواصل، وأنهى جميع مراحلها بنجاح كامل محققًا إنجازًا كبيرًا آخر أضاف رصيدًا جديدًا إلى خبراته المتراكمة في هذا المجال.

وباكتمالها علت الابتسامات، وامتدت الأيدي تهنئ بعضها بعضًا بهذه الخطوة الموفقة بعون لله. وخرج عبد الله وعبد الرحمن من غرفة العمليات في سريرين أبيضين منفصلين ليجدا والدتهما أول مستقبل لهما ومرحبة بهما عن طريق لمس أيديهما وتقبيلها؛ بينما أقبل عليَّ والدهما يحتضنني بحرارة. وبعد ذلك شاركنا دفع السريرين وهو يتابع فلذتي كبده إلى غرفة العناية المركزة وكادت عيناه تشرقان بدموع الفرح الذي جعل أعين الآخرين تتفاعل وتتجاوب معه في هذه اللحظة الإنسانية الجياشة التي انتصر فيها الطب السعودي بعون الله وفضله على صعوبات الالتصاق وأعاد البسمة إلى شفاه أهل التوأم وذويه. مكث التوأم حوالي ثمانية أسابيع تحت العناية المركزة حتى استقرت حالته.. وفي هذا الوقت الذي أعمل فيه على إعداد هذا الكتاب تجري الاستعدادات لنقل عبد الله وعبد الرحمن إلى جناح الأطفال وهما في صحة وعافية. ولا زال خادم الحرمين الشريفين يتابع حالتهما أولاً بأول، واستقبل والدهما وهنأه بنجاح العملية وتمنى لطفليه كامل الصحة، وأن يعودا إلى المدينة المنورة لتكتمل سعادة جميع أفراد الأسرة. ولقد قام خادم الحرمين الشريفين بزيارتهما بالمستشفى وإطمأن عليهما بزيارة أبوية فياضة وحنونة، وعادا إلى مسقط رأسيهما طيبة الطيبة بين أحضان والديهما.

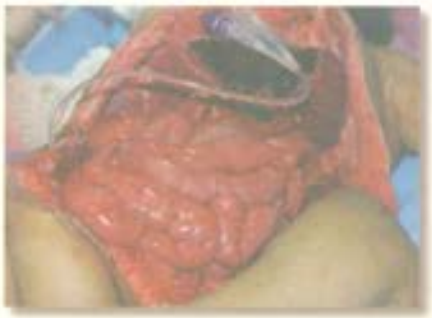

فصل الكبد و الأمعاء

فرحة الوالد

الخروج من العناية المركزة

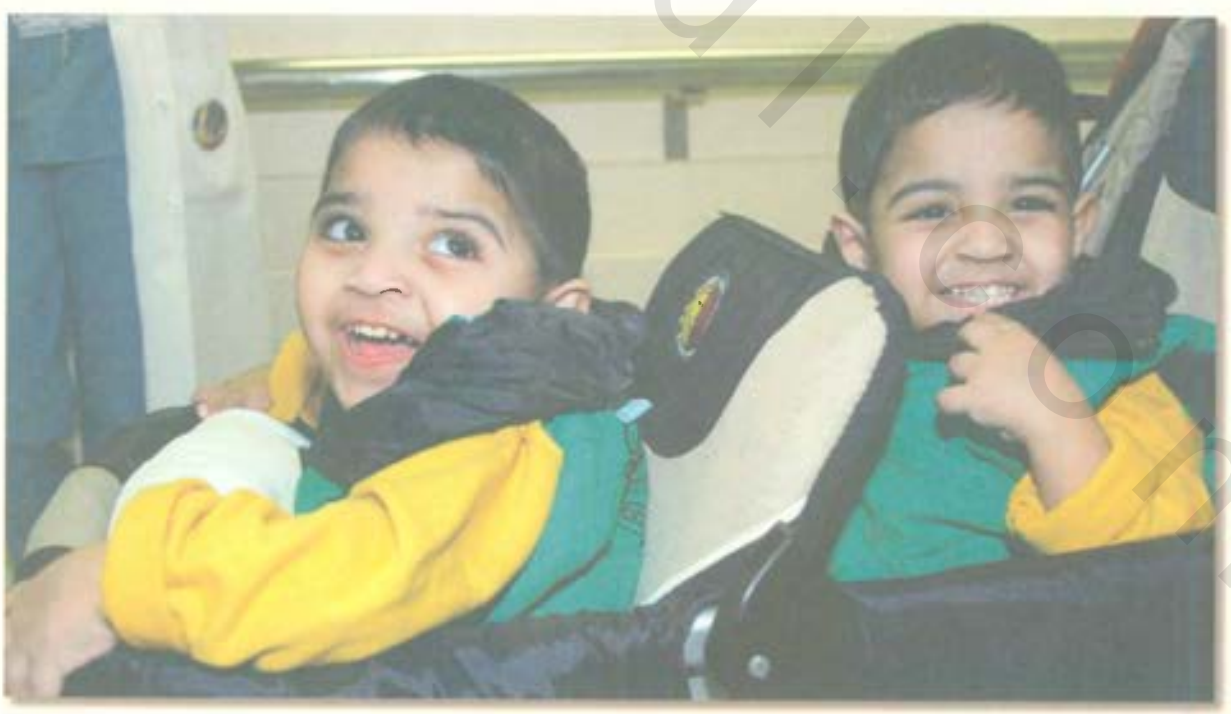

مغادرة المستشفى

obeikandl.com

obeikandl.com

١٧

توأم لم يكتمل

رجب ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م

obeikandl.com

زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم ابتهال

opekandi.com

توأم لم يكتمل

رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

قلق متزايد مع اقتراب الولادة

خميس مشيط مدينة مرتفعة تتوسط جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتمتاز بجبالها ذات المدرجات الجميلة وبمسطحاتها الخضراء الناضرة، وتُشكِّل مع توأمتها مدينة أبها أحد أجمل مصائف المملكة. في هذه المدينة وبين ربوعها كانت إحدى الأسر تترقَّب مولودًا لها بدرجة عالية من اللهفة والتشوق، ولا يفتأ الزوجان المتحابَّان يستعرضان قوائم أسماء كثيرة للإناث والذكور لاختيار أحدها للضيف العزيز القادم الذي يغمر جو المنزل ببراءته وعفويته، ويشيع في جنباته روح المرح والفرح. وفي نهاية الحمل، وقبيل الولادة بوقت قصير أُخضعت الزوجة لصورة صوتية للتأكد من حملها ونوعيته؛ ولكن خرجت الصور بما ليس في الحسبان، وذهبت إلى تغليب الاحتمال بوجود عيوب خلقية غير واضحة في تكوين المولود، فاجتاح الأبوان إزاء هذا التقرير قلق كبير، وأصابتهما الهموم والغموم، واستسلما لهواجسهما وللتفكير المتواصل في العيوب الخلقية التي سيخرج بها طفلهما، وكلما اقترب موعد الولادة ازداد قلقهما الذي بلغ ذروته في الأسبوعين الأخيرين من نهاية الحمل، ومع لحظات الولادة ارتفع مؤشر التوتُّر في جسد الأب، وظل مشدود الأعصاب يترقَّب الخبر متمنياً أن تكذب الفحوصات ويخرج الطفل سليمًا.. خرج إليه الطبيب وساق إليه الخبر الذي ما كان يريد سماعه، مولود بعيوب خلقية لم يرها الطبيب من قبل، وأكد له أن هذه الحالة نادرة جداً.. سيطرت عليه حالة من الوجوم للحظة، ثم انتبه وسأل الطبيب عن هذه العيوب، فأخبره بأن للمولود ثلاثة أرجل وحوض إضافي وعيوب أخرى في الفم والأعصاب، فاستفسره عن ماهيتها وأسبابها؟ إلا أن الطبيب لم تكن لديه إجابات شافية وكافية. ورغم إيمان الأب الكامل بمشيئة الله وقضاه بما يُقدِّره؛ إلا أن الموقف لم يُمكِّنه من السيطرة على عاطفته، فأرسل الدمع مدراراً، ثم وضع يديه على صدغيه وأخذ يضغط عليهما ويقول قدَّر الله وما شاء فعل، ولا نملك إلا القبول والرضا والتسليم بما أراد سبحانه وتعالى لعبده من رزق أو هبة، وله في خلقه شؤون. كان همُّه الأول والأخير يتركز في كيفية إخبار زوجته. وبعد ساعات من الانتظار تمكن خلالها من امتصاص بعض آثار الخبر دخل ليطمئن عليها، ثم هنأها بسلامتها وبالمولود، ولكنها عاجلته بالسؤال عنه ما إذا كان ذكراً أم أنثى؟ وعن العيوب التي أشار إليها الأطباء من قبل؟ تمتم قليلاً وهو يقول إنها بنت وهي بخير وستشفى بإذن الله، لاحظت الأم أن الكلمات تخرج من فمه متعسرة ومتكسرة، ولذلك لم تقتنع بجوابه، فتابعت أسئلتها عن بنتها وعن عيوبها ونوعية التشوهات التي ولدت بها، وبعد إلحاح شديد منها أخبرها بوجود زيادة في أطرافها السفلية والفم والحوض وعيوب أخرى كثيرة، تأثرت كثيراً، تناست آلام الولادة وإرهاقها، ولم تعد تحسُّ بها، وأطلقت العنان لدموعها تنسكب كشلال متدفق مصحوبة بشهيق متصل، أشفق زوجها عليها وأقبل يخفف عنها ويهوِّن عليها، ويُذكِّرها بقبول ما أراد الله، وشكره على ما أعطى وما وهب، ويرجوها ألا تقلق وأن تُسلم الأمر إلى الله جل وعلا، ونجح في تهدئتها بعد مدة من الزمن ليست بالقصيرة، وأقنعها بزيارة الطفلة في العناية المركزة للاطمئنان عليها، وما أن رأتها حتى أجهشت مرة أخرى بالبكاء والشهيق، ثم مسحت دموعها وابتهلت إلى الله أن يكشف ما لحق بطفلتها من ضُرٍّ وتشوهات، ثم أخذت بيدها تُقبِّلها وحملك الزوج، وبعد ذلك عادت إلى غرفتها.

التوأم الطفيلي

بداية العملية

ابتهال توأم سيامي طفيلي

رجع الزوج إلى المنزل وهو يفكر في كيفية الإعداد لرحلة البحث عن علاج لطفلته، سأل الأطباء فأرشـوه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض باعتبارها صاحبة أفضل خبرة في هذا الشأن، فتمثلت خطوته التالية في كيفية الاتصال وبمن يتصل؟ وعندما تلقى الإفادة أرسل رسالة عن طريق الفاكس إلى مكتبي، وبمجرد اطلاعي عليها اتصلت به، فتبينت من تحيته وترحيبه وحديثه مقدار صبره ونبله وخلقه العالي كما هي سمات أهل الجنوب وصفاتهم السامية، واستعرض لي قصة الطفلة وظروفه التي يعيشها، فطمأنته بأن حالة الطفلة ليست معقدة وعلاجها سيكون يسيراً بإذن الله، وأنها ستحظى بعناية خادم الحرمين الشريفين؛ لأن همَّه الأول حفظه الله يتركز على إسعاد المواطن. وعقب هذا الاتصال ذهبت إلى مكتب الملك عبد الله في منزله ونقلت له تفاصيل الحالة، وأطلعته على ظروف الأسرة وأوضاعها، فوجهني على الفور بالعمل على نقل الطفلة ووالديها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني، وإحاطة الأسرة بكل متطلباتها من رعية وسكن ومعيشة وانتقال على نفقته الخاصة.. هذا الرجل تعجز الكلمات والمفردات أن تُعبِّر عن إنسانيته وأريحيته في أعمال الخير، وحبِّه للأطفال المحتاجين. وبالفعل شرعنا في إعداد الترتيبات اللازمة لنقل الطفلة ووالديها بالتنسيق مع المستشفى الذي تعامل مع الحالة في خميس مشيط، وبعد أيام قليلة استقبلنا الطفلة (ابتهال) ونقلناها مباشرة إلى وحدة العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة ثم أخضعناها لفحوصات دقيقة، وبعد اكتمال الفحوصات تحدثت مع والديها وأخبرتهما بأن بداية التكوين في الرحم كان توأماً سيامياً؛ غير أنه لم يكتمل، وتحولت الحالة إلى توأم سيامي طفيلي، أي أن هناك طفلة مكتملة هي (ابتهال) مع وجود أجزاء لطفل آخر دون روح تمثل في وجود الرِجْل الإضافية والحوض وبعض الأعضاء التناسلية المزدوجة وأجزاء من أمعاء غير مكتملة لهذا الطفل، ومثل هذه الحالات نادرة جداً، وهي أكثر ندرة من التوائم السيامية، وبسبب ندرتها فإن خبرة العالم فيها قليلة. وأخبرتهما بأننا سنجري مزيدًا من الفحوصات الدقيقة وفي ضوء نتائجها سنعمل جاهدين على مساعدة الطفلة من خلال إجراء عملية لها. كان والد الطفلة عميق الإيمان واثقًا في قراره، فقال لنا إنها ابنتكم ولن أجد مكانًا أفضل من هنا لتقديم الرعاية لها.

حالة نادرة

شكلنا الفريق الجراحي والطبي، وأخضعنا الطفلة لفحوصات إضافية عديدة، وبعد اكتمالها عقد الفريق اجتماعين واستعرض الحالة التي كانت كما ذكرت عبارة عن توأم طفيلي بعيوب خلقية متعددة منها شفة أرنبية مع ازدواج في الأطراف السفلية حيث توجد رجل ثالثة وحوض إضافي غير مكتمل وأطراف تناسلية مزدوجة وأجزاء من الأمعاء. وبعد أن وصلت الطفلة خلال ثلاثة أسابيع إلى الوزن المناسب قررنا إجراء العملية في السادس من شهر رجب ١٤٢٨هـ الموافق الثاني والعشرين من شهر يوليو ٢٠٠٧م، وأجريت على أربع مراحل حسب الخطة الموضوعة واستغرقت مدتها ست ساعات ونصف الساعة، وتمكنّا من استئصال الأجزاء المتطفلة ثم أعدنا تقويم الحوض.. ونجحت العملية ولله الحمد، ونقلت الطفلة إلى غرفة العناية المركزة

أثناء العملية

الفريق الطبي

لأطفال حيث مكثت خمسة أيام، ومنها إلى جناح الأطفال وبقيت فيه حوالي الأسبوعين، ثم خرجت من المستشفى. وفي هذه أثناء تابع خادم الحرمين الشريفين وضع ابتهال، واطمأن على نجاح العملية، وكلفني بنقل تهنئته إلى والديها.. ثم غادرت إلى دينتها خميس مشيط في الجنوب وهي بصحة وعافية بتوفيق الله وعنايته، على أن تعود بعد عدة أشهر لإجراء عملية تجميلية لسفة الأرنبية.

تعدُّ هذه الحالة إحدى ثلاث حالات استقبلناها وتابعناها وأجرينا لها عمليات جراحية، وهي حالات نادرة تدخل ضمن مصطلح: (التوائم الطفيلية)، الحالتان الأولى والثانية استقبلناهما في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، كنت إحداهما لطفل سعودي حالته مشابهة لحالة الطفلة ابتهال، وأُجريت له عملية ناجحة بحمد الله وهو يعيش الآن بصحة وعافية، أما الحالة الثانية فكانت لطفلة لديها ازدواج في الأطراف السفلية مع ضمور في القلب والأمعاء والكبد وهي ملتصقة عن طريق البطن، إضافة إلى أن الأمعاء خارجة عن البطن، ونجح الجراحون في استئصال الجزء المتطفل، وإقفال التشوهات في جدار البطن. وبحكم العلم والتجربة فإن هذه الحالات الثلاث نادرة على مستوى العالم، ونستطيع القول دون فخر إن خبرة المملكة في هذا المجال تعدُّ جيدة ومتميزة إذا ما قورنت بمثيلاتها في المراكز العالمية المتخصصة.

فرحة الإنتهاء

obeikandl.com

١٨

بناتي وقلبي

شوال ١٤٢٨هـ/ أكتوبر ٢٠٠٧م

obeikandl.com

زيارة خادم الحرمين الشريفين

obeikandl.com

بناتي وقلبي

رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م

حلام تتحول إلى مخاوف

ينحدر محمد من أسرة متوسطة الحال في إحدى قرى منطقة القريات التي تبعد ٧٠ كلم عن «مسقط» عاصمة سلطنة عُمان، وهو موظف بسيط محدود الدخل يتقاضى راتبًا شهرياً بأحد القطاعات الحكومية، تزوَّج وأنجب ولدًا ويستمتع ثلاثتهما بحياة هانئة هادئة تظللها مشاعر الحب والعطف والحنان.. تاقت نفسه إلى طفل آخر يشعل حرارة البيت بقسماته البريئة وشقاوته، يصير أُنسًا لشقيقه وصاحبًا وعونًا له في اللعب والركض والمشاجرة، بينما أعربت زوجته عن رغبتها في طفلة حلوة القسمات تغمر باحة المنزل بمشاعرهما الحلوة الدفيئة وتؤازرها في خدمة البيت عندما تنمو ويخضر عودها ويشتد.. كان كل منهما يتمنى أن يكون القادم في صف جنسه، وعلى هذا كانا يتمازحان ويداعب أحدهما الآخر حتى صارت هذه المداعبة اللطيفة جزءاً من أسمارهما المسائية اليومية.

لم يكتف محمد براتبه الشهري المحدود، فاقتحم مجالات أعمال أخرى تدرُّ عليه دخلاً إضافياً يساعده على مؤونة حياته وظل يحلم بأن تتوسع أعماله ويزداد دخله، وتتكاثر أرباحه مما يتيح له إمكانية الارتفاع بمستوى أسرته وتحقيق رفاهيتها، وفي غمرة آماله وأحلامه هذه؛ بشَّرته زوجته بأنها بدأت تحس بأعراض حمل، فاجتاحته فرحة كبيرة، وبدأ يتطلع إلى الغد وكأنه يراه رأي العين، وما انفك يستعجل الزمن ليرى ابنه الثاني محط اهتمام شقيقه الأكبر وغيرته، وموضع مداعبات أبيه ومستأثرًا بحنان أمه الدافق.

وبعد مرور عدة أسابيع راود الزوجة شكٌّ بأن هذا الحمل يختلف عن سابقه؛ إلا أن محمدًا رغم ميله إلى تصديقها وأخذ شكواها على محمل الجد لم يألُ جهدًا في إبعاد هواجسها وإقناعها بأنه حمل طبيعي. لقد ساوره خوف وقلق من أن يكون هذا الحمل بالفعل غير طبيعي، ومع ذلك عمل على إدخال الطمأنينة على قلبها، وذكَّرها بالاستعاذة من وساوس الشيطان وأن يكون اعتمادها على الله كاملاً وخالصًا حتى تكمل جميع أشهر حملها وتضع مولودها الذي سيضاعف سعادة البيت ويملؤه فرحًا وبهجة بإذن الله تعالى. ومع تتابع مراحل الحمل لاحظ الزوج علامات التعب والإرهاق والخمول البادية على زوجته، ومسحة الكآبة التي كادت تكون سمة ملازمة لها، كبر البطن وتمدَّد وتضخَّم حجمه، ولازمتها نوبات قيء لم تعهدها في مراحل حملها بمولودها الأول، وبمرور الأشهر صارت تشكو لزوجها من آلام شديدة تعانيها، وبسبب ذلك اتسعت مساحة الشكوك والمخاوف لديهما كليهما، وازداد يقينهما بوجود اختلاف واضح في هذا الحمل.. لم تفلح الطبيبة المشرفة على علاجها في إنقاذها من هذه المخاوف بمحاولة طمأنتها بأن كل شيء على ما يرام..

التوأم العماني عند وصولهما

صفا ومروة بعد تمديد الجلد

همهمة أطباء تثير الشك

ومع ازدياد الآلام والمتاعب أصرت على زوجها بضرورة مراجعة جهات متخصصة للتأكد من سلامة الحمل.. استجاب لطلبها وهي في آخر أشهر حملها واصطحبها لمراجعة أحد المستشفيات في العاصمة مسقط حيث أجريت فحوصات عاجلة بالأشعة الصوتية، فكشفت هذه الفحوصات وجود حمل بتوأم فأخبروها بذلك، فتنازعتها مشاعر متباينة إزاء هذا الخبر، فرحة بما يمنُّ الله بها عليها من مولود توأم، وقلق مما يصاحب هذا الحمل من مشكلات ومضاعفات، وخوف من مشقة عملية الولادة نفسها وإمكانية تعسُّرها، وانشغلت كذلك بالتفكير في مستقبل التوأم وكيفية التعامل معه من حيث تغذيته وحمله وما يقترن بذلك من متطلبات المعيشة والتربية والتعليم وما إلى ذلك. ما أن علم الزوج بهذا الخبر حتى فرح قليلاً وانطلق لسانه يلهج بالشكر والثناء على الله سبحانه وتعالى.. عاد الزوجان إلى قريتهما بنفس الأحاسيس المتباينة التي يمتزج فيها الفرح بالقلق، وبعد عدة أسابيع عادا إلى نفس المستشفى حيث أتبع الأطباء تلك الفحوصات بأخرى أكثر دقة.. وإثر ذلك ازدادت حركة الأطباء وتجمعهم وهمهمتهم وهم يتناقشون ويتشاورون، وفوق ذلك استعانوا بأطباء آخرين لمزيد من دراسة هذه الحالة، ثم قرروا إجراء مزيد من الفحوصات. وضاعفت حركة الأطباء واهتمامهم المتزايد بحالتها من قلقها وخوفها، مما دفعها إلى السؤال والاستفهام عن ماهية مشكلتها ومدى خطورتها عليها وعلى توأمها؛ إلا أنهم اكتفوا بطمأنتها، ولكن لم يخفِّض ذلك من درجة مخاوفها ووساوسها، وكلما أمعن الأطباء في التجمع وتداول الفحوصات تسابقت دموعها على خديها وهي في حيرة كبيرة واستبدت بها الهواجس حتى كادت تشكّ غمامة على عينيها.

إحساس عنيف بالضعف والانكسار

وبعد مشاورات واستشارات وفحوص دقيقة ومكثفة أصرت الزوجة على استطلاع الأمر حول حالتها، فنزل الأطباء على رغبتها وأخبروها بأنها تحمل ثلاثة توائم ولد ذكر سليم، وابنتان لديهما مشكلة، وبدأت تسأل الأطباء وهي تبكي بشدة وتستفسر عن هذه المشكلة وحجمها ومدى خطورتها، وتوسلت إليهم توسل الضعيف المنكسر بأن يعمدوا إلى الإفصاح ويطلعوها على أبعاد المشكلة، فرضخ الأطباء لإلحاحها وأخبروها بأن ثمة اتصال أو التصاق بين البنتين في منطقة الرأس.. فشكل لها الخبر صدمة قوية زلزلت كيانها، قلقت واستسلمت لموجة عارمة من البكاء لأنها لم تكن تتوقع ذلك ولم يخطر لها على بال إطلاقاً.. فخبر التوأم الثلاثة كان مزعجًا إلى أبعد الحدود ثم جاء الالتصاق بين الطفلتين صاعقة مدمرة... تكوَّمت على نفسها مفسحة المجال لدموعها تنهمر بغزارة وفقدت القدرة على التفكير والتركيز.. وفي هذه الأثناء دخل عليها زوجها وما أن رأته حتى أجهشت بالبكاء وارتمت نحيبها، أمسك بيدها ملاطفًا ومخففًا من حدة هذا المشهد، ومحاولاً معرفة سبب هذه الإحساس العنيف الذي اجتاحها وجعلها في حالة من الضعف الشديد والقلق والخوف، حاول معرفة ذلك منها دون جدوى، فتركها واتجه إلى الأطباء مستطلعًا الأمر؟ فأخبروه بأنها حامل بثلاثة توائم، فحمد الله سبحانه وتعالى وقال إن هذه ليست مشكلة وثقتنا في الله كبيرة بأن مرحلة الولادة ستكتمل بتوفيق الله.. وقبل أن يقفل راجعًا إلى زوجته تابع الطبيب: ولكن هناك مشكلة أخرى... !! وقف مشدوها وأمسك بيد الطبيب مستطلعاً

الأب و لأم وتوديعهما قبل العملية

سرير خاص للتخدير صنع لأول مرة في
مدينة الملك عبدالعزيز الطبية

عن ماهية المشكلة، فعلم منه عن حالة الالتصاق بالرأس بين الطفلتين، وأخبروه بأن هذا ما يسمى بالتصاق التوائم، فاجأه الخبر وكاد يشلّ توازنه وقدرته على التفكير والتبصر، اغتمَّ ولفَّه إحساس قاس بالحزن والألم تخاذلت معه قواه فجلس على أقرب مقعد لمكالمغشي عليه، وبعد هنيهة وضع رأسه على حافة سرير زوجته وأمسك بيدها يشاركها نوبة البكاء الحارقة التي ما زالت تتملّكها، بتي بكاء الأطفال ثم انتبه لنفسه وكفكف دموعه وتحركت شفتاه تنطقان بحمد الله على ما أعطى ثم صمت قليلاً بينما كانت دموعه تواصل انحدارها.

إشفاق وعبارات تطمين

أحس محمد بعد أن استعاد السيطرة على مشاعره بضعف زوجته وأدرك أن من الواجب عليه في هذه اللحظة أن يتماسك حتى لا يضاعف همومها وقلقها، استجمع قواه وأخذ يهدئ من روعها ويذكرها بأن كل المصائب تهون على من يتوكل على الله ويستحضر معيته ويرجو رحمته، ومن توكل على الله حق التوكل سيجعل الله له بعد عسر يسراً، ومن يصبر ويتجلَّد فلن يقلق ولن يبتئس، وما فتئ يحث زوجته على الصبر وأن تلوذ بالله عز وجل وتحمده على ما يُنعم به عليها من نعمة الولد، وأن المشكلة ستكون علاجها سهل والله قادر على ذلك، ويجب علينا أن نخضع لمشيئته ونقنع بما يريد صابرين محتسبين وراجين عونه للخروج من هذه المحنة، إن استطَعنا التحلي بالصبر فسيجازينا الله خيراً إن شاء سبحانه وتعالى... ولكنها ما انفكت ترسل الدمع مدراراً ولسانها يتمتم بحمد الله وشكره، وصوتها يخرج من بين شفتيها وكأنه صدى صاعد من أعماق بعيدة الغور تتخلله شهقات متقطعة بين حين وآخر.

غادر الأطباء بينما جلس محمد طوال الساعات المتبقية من اليوم محاولاً تخفيف مصيبة زوجته التي يتنازعها القلق والاضطراب والخوف من الأيام القادمات.. أحاسيس متداخلة شديدة التأثير.. استطاع أن يكتم انفعالاته واضطرابه شفقة على زوجته، ولكن ملامح وجهه تكاد تفضحه وتفصح عن ذلك الثقل من الهموم التي جثمت على صدره كصخور صماء.. شرد تفكيره بعيداً وهو يرى مستقبله مشدوداً بخيط من الأسى على هاتين الطفلتين الملتصقتين.. أسئلة واستفهامات ظلت تدور في ذهنه: كيف يأكلان؟ كيف ينامان؟ كيف يتحركان؟ كيف يتعامل معهما؟ إنها محنة حقيقية؛ وخاصة للأم التي ستبدأ معهما فترة الرضاعة..

مرَّ شريط تصورات الغد أمامه وكأنه شريط حي لم يستطع أن يتبين مشاهده بوضوح بسبب الظلمة التي غشيت عينيه لوقع هذه المحنة التي لم تخطر له على بال، امتحان عسير يستلزم منه درجة إيمانية عالية.. دفعه هذا الإغراق في التفكير إلى حالة أشبه بالذهول أفاق منها على صوت الأطباء وبعض المراجعين والمرضى.. ثم نهض متثاقلاً واتجه نحو غرفة الأطباء لعله يستنير بمشورتهم أو يجد عندهم ما يزيح عن كاهله هذا العبء الثقيل، استجار بهم بحثاً عن حل لتجاوز هذه المشكلة العصيبة؛ إلا أن الإجابات التي تلقاها كانت مضطربة ومشتتة هي الأخرى، اختلاف وتفاوت في النصح والحلول والاقتراحات، ولكنهم مع ذلك أقنعوه بوجوب الانتظار إلى حين الولادة، مرَّت الأيام بطيئة وئيدة وكأنها مشدودة بحبال إلى وتد، والزوجان غارقان في همومهما، استبطأ الزوج

جهاز ثلاثي الأبعاد لتسهيل العملية

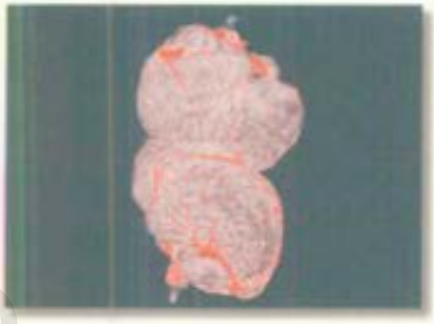

صورة ثلاثية الأبعاد للإشتراك بالرأس

مرورها وود لو كان في إمكانهما طيَّها حتى تنقضي بسرعة وتريحهما من هذا الرهق الذي كاد يورثهما حالة من الوحوم والاكتئاب والإحباط.. اكتفى بالنظر إلى زوجته والتنفيس عن كربها بعبارات تذكرها بوجوب الاعتماد على الله وعدم القنوط أو اليأس.

قراءة في تعبيرات وجه الطبيب

مع اقتراب المخاض رأى الأطباء أنه لا بد من عملية قيصرية، ونصحوهما بالانتقال إلى مستشفى الولادة ضماناً لسلامة الأم وأطفالها، وبالفعل أدخلت إلى المستشفى المعني وفي اليوم المحدد للعملية نقلت في ساعات الصباح الباكر إلى غرفة العمليات بينما ظل محمد خائفًا مضطربًا في الخارج لا يكاد يقوى على الجلوس أو الوقوف، يتحرك لا إرادياً من جهة إلى أخرى يراوده قبس من الأمل بأن يكون تشخيص الأطباء غير دقيق فيخرج التوأم غير ملتصق، وكاد شكه في دقة تشخيص الأطباء يصل إلى درجة اليقين. أوهم نفسه بذلك وكاد يصدقها وهو ذاهل لا يدري من يصافحه أو يلقي عليه التحية من بعيد، لم يعبأ بأحد من أهله وأقاربه الذين كانوا يحاولون طمأنته والتخفيف عنه؛ بل كان كل تركيز حواسه على باب غرفة العمليات، شعر بأن الوقت يمر ببطء وكأن عقارب الساعة تتوقف.. بلغت درجة التوتر ذروتها وهو يراقب خروج الأطباء بعد أن طالت المدة، وظل يهرع نحو كل خارج من غرفة الولادة أو تصادف مروره بجانبها تتدفق الاستفهامات اللاهفة من فمه كمن ينثر ماءً. تحولت فرحة انتظار المواليد إلى أسى، أحس بأن جدران قاعة الانتظار تكاد تنطبق على أضلعه، وأن قلبه يكاد يخرج من صدره، وخشي أن يتصدَّع كبده من الحزن. استغرقت عملية الولادة حوالي ساعتين ونصف الساعة؛ ولكنهما في نظره بامتداد عامين مشحونين بالقلق والتوجس، وما أن خرج الطبيب المختص الذي أشرف على العملية حتى هرع إليه محاولاً قراءة تعبيرات وجهه لمعرفة ما هو مخبوء خلف قسماته، هجم عليه مستفهمًا خائفًا وجلاً، فبشره بأن زوجته سليمة وكذلك الولد ثم قطَّب جبينه فجأة واكتسى وجهه ملمحًا جاداً حاول إخفاءه عنه في البداية، لاحظ محمد ذلك فأمسك بيده وهزَّها بقوة والأسئلة والاستفهامات تتدافع من فمه كالمطر.. رأى الطبيب أن لا بد له من إنقاذ نفسه من حرارة هذه الانفعالات، فقذف له بالحقيقة مؤكدًا صحة الفحوصات وصدق الخبر الصاعق بأن البنتين ملتصقتان بالرأس، ونصحه بالذهاب إلى مشاهدة أطفاله الثلاثة في غرفة الحضانة لعل ذلك يسلوه ويخفف عنه حدة التوتر والقلق هذه

ابتسامة قسرية وعينان تذرفان

اتجه محمد إلى الحضانة على عجل، فرأى الطفل السليم واطمأن على استقرار وضعه، وعلت شفتيه في تلك اللحظة ابتسامة قسرية لم يكن في إمكانه حبسها، ثم التفت إلى حيث الطفلتين وتبيَّن أنهما ملتصقتان بالرأس، وكانت هذه أول حالة من نوعها يسمع بها ويشاهدها، أمعن النظر فيهما يتأملهما ويتملى في براءتهما وعيناه تذرفان بغزارة.. وانطلق تفكيره في كيفية إخراجهما من هذا المأزق الذي يهدد حياتهما.. مكث مدة طويلة نسبياً قبل أن يهتدي إلى حل، ثم رجع عَجِلاً إلى غرفة زوجته ليطمئن عليها، فلما رأته نسيت آلامها ومعاناتها وبادرته بالسؤال عن أطفالها، فطمأنها على سلامتهم ثم أكد لها صحة ودقة تشخيص الأطباء وأن الحالة مطابقة تمامًا لما أظهرته فحوصاتهم تمامًا، ونبَّهها إلى وجوب الاعتماد على الله في الشدائد وأنه جل وعلا قادر على تفريج هذا الكرب والهم، تتابعت

تحديد مكان الفصل

مرحلة فصل الرأس

سيات بكائها وهي ترفع يديها بين آن وآخر إلى الله سبحانه وتعالى أن يعينهما على الخروج من هذه المحنة، وأن يهديهما إلى حل يضمن سلامة طفلتيهما .ثم اتفقا على أن تحمل البنتان اسميْ (صفا ومروة) لعل الله أن يجعل منهما وسيلتين لنزول الرحمة والبركة على الأسرة. وبعد أن زوَّدا سجلاَّت المستشفى بهذين الاسمين كي يدوِّنا في شهادة ميلادهما؛ غادروا المستشفى وفي الحلق مرارة شديدة وعمامة سوداء على الأعين تحجب أضواء المستقبل، ولكن لا بدَّ مما ليس منه بدٌّ، ويلزمهما التفكير بهدوء وتأنٍ ورويَّة لمواجهة هذا الواقع الجديد بشجاعة كبيرة. خفف الأهل والأقارب والأحباب من مأساتهما هذه واستطاعوا مواساتهما حتى أعادوهما إلى طبيعتهما.. تضاعف يقينهما في الله جل وعلا، وكان رضاهما بما قسم لهما سلوتهما وعزاءهما رغم ما يمكن أن يجداه من مشقة في رعاية الطفلتين ومحاولة علاجهما.

بريق ضوء في الظلمة

أعد محمد عدته لمواجهة متطلبات رحلة المجهول، وبدأها بطرح أسئلة واستفسارات حائرة على الأطباء وكل العاملين في القطاعات الصحية من بين معارفه وأصدقائه، أسئلة كثيرة على من يعرف ومن لا يعرف فعسى أن تأتي الإجابة من شخص بعيد كل البعد عن محيط علاقاته الأسرية والاجتماعية والعملية، زادته الإجابات التي تلقاها عن أسئلته النهمة قلقًا على قلق، وارتفعت درجة حيرته حين علم أن الخبرة المتطلبة لفصل طفلتيه غير متاحة في بلده، وأن العملية معقدة جداً وشديدة الخطورة على حياة الطفلتين، وتقتضي الانتقال إلى مراكز عالمية متخصصة في جراحة التوائم السيامية وبتكاليف عالية لا قِبَل له بها، وتتجاوز إمكاناته المحدودة، اختلفت النصائح وتفاوتت الاقتراحات.. بعضهم نصحه بالذهاب إلى أمريكا، وآخرون فضَّلوا بريطانيا ذات التاريخ والإرث العريق والتقدم.. ووسط هذه البلبلة من الرؤى والاقتراحات اتصل به أحد أقربائه الدارسين بإحدى الجامعات الأسترالية، ونقل له ما سمعه من زملائه السعوديين الذين تربطهم به علاقات متينة هناك حين حدثهم عن معاناته مع طفلتيه السياميتين، وبشَّره بأن زملاءه أكدوا له أن مدينة الملك عبد العزيز للحرس الوطني بالعاصمة السعودية الرياض تعدُّ من المراكز العالمية المتخصصة في فصل التوائم السيامية ولها خبرة متراكمة في هذا المجال، وبشروه بأن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز صاحب أيادٍ بيضاء ونواله يطول مختلف أنحاء العالم؛ وقد سبق أن وافق حفظه الله على فصل توائم من قارات عديدة، وله أن يعمل على مخاطبته لعل الله يجعل الفرج في المملكة العربية السعودية ولا يحتاج إلى وطء تراب بلدان بعيدة غريبة عنه ومختلفة كثيراً. ولم يكتف قريبه هذا بذلك؛ بل أرشده إلى عنوان الموقع الإلكتروني لهذه المدينة الطبية بالرياض، ونصحه بمراجعته للتأكد من صحة هذه المعلومات.

توجيه كريم وفرحة عارمة

لم يكن لأحمد اتصال معلوماتي عبر الشبكة العنكبوتية في منزله فانتظر حتى ساعات الصباح ثم توجه إلى إحدى المواقع التي تتيح إمكانية الاتصال الإلكتروني، وعندما دخل على العنوان الذي سبق أن حصل عليه غمرته فرحة كبيرة؛ فقد وجد موقع

البداية – فصل الجلد

فصل الرأس – فصل الحجمة

المدينة غني بالمعلومات الخاصة بالتوائم التي فصلت، وازداد فرحه حين اطّلع على إنسانية خادم الحرمين الشريفين وأريحيته الكبيرة في إتاحة الفرصة لذوي التوائم بالعلاج في المملكة على حسابه الخاص مع التكفل بنقلهم وإعاشتهم، نسخ كل المعلومات المتعلقة بكيفية الاتصال بهذه المدينة وبأهل الخبرة، لم يتأخر بل اتصل على الأرقام التي حصل عليها، فطلبت منه الجهة التي تلقت الاتصال إرسال الفحوصات والتقارير المبدئية اللازمة عن الحالة؛ نقل هذا الأمل إلى زوجته، وكان هذا أول خبر مفرح تتلقاه منذ أن وضعت توائمها، حمدت الله سبحانه وتعالى على هذا البصيص من الأمل، ثم عكف من فوره على تجميع وتجهيز التحاليل والفحوصات والتقارير الخاصة بالحالة من الأطباء في المستشفيات التي تعاملوا معها، وما أن اكتملت بين يديه حتى بادر بإرسالها إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني.

وصلت المعلومات إلى مكتبي فعكفت على دراستها مع زملائي أعضاء الفريق الطبي ثم طلبنا منه تزويدنا ببعض صور الأشعة فأرسلها إلينا، وبعد اكتمالها عرضتها على الملك عبد الله بن عبد العزيز، فسألني عن إمكانية مساعدة هذا التوأم، فأبلغته حفظه الله بإجراء مزيد من الفحوصات الدقيقة؛ ولكن الأمل في الله سبحانه وتعالى كبير، فوافق على علاج الحالة ووجه بنقل التوأم من مسقط رأسه إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بالرياض، فاتصلت بوالد التوأم وأبلغته بهذه الموافقة الكريمة والاهتمام بابنتيه وطمأنته بأن الله عز وجل لطيف بعباده وقادر على أن يفرج همه، وبشرته بأن سفارة المملكة بالسلطنة ستشرع على الفور في اتخاذ كل الترتيبات المتعلقة بنقل الأسرة إلى الرياض.. ملأت جوانحه سعادة كبيرة وشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسر له هذا الأمر، ثم شكر خادم الحرمين الشريفين على كرمه وإنسانيته.. وبعد انتهاء المكالمة أسرع إلى زوجته يزف لها خبر موافقة الملك عبد الله واهتمامه بالتوأم، فشعرت بفرح غامر أزال عنها مسحة الاكتئاب التي كانت تكسو وجهها منذ ولادة التوأم، وخفف عنها مشاعر القلق والحيرة، وبدأت الأسرة في إعداد نفسها للسفر.

(صفا ومروة) في الرياض

اتصلت السفارة السعودية في سلطنة عُمان بالأسرة واستكملت معها كل إجراءات واستعدادات السفر، وفي يوم الجمعة مطلع ذي الحجة ١٤٢٧هـ الثاني والعشرين ديسمبر ٢٠٠٦م غادرت الأسرة العاصمة مسقط، وكان في وداعها بالمطار كل أعضاء السفارة بجانب بعض المسؤولين في السلطنة وعدد غفير من الأهل والأرحام والأقرباء. وصل التوأم إلى مطار الملك خلد الدولي ليجد في استقباله أعضاء السفارة العمانية بالرياض وفريق من المختصين بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني وسيارة إسعاف نقلت التوأم مباشرة إلى مستشفى الحرس الوطني حيث كنت في استقباله بصحبة مجموعة من زملائي، وبعد أن رحبنا بجميع أفراد الأسرة نُقلت الطفلتان (صفا ومروة) إلى جناح الأطفال حيث خضعتا لبعض الفحوص السريرية الدقيقة اللازمة ثم راجعنا كل الفحوصات التي سبق أن أجريت لهما في مستشفيات بلدهما.. وتبع ذلك عقد جلسة مع والديهما لطمأنتهما، وإعلامهما بأن هناك فريق عمل متكامل سيتولى الإشراف الكامل على التوأم يضم متخصصين من جراحة الأعصاب والأعصاب وجراحة التجميل والتخدير وجراحة الأطفال وقسم الأطفال وقسم العناية المركزة والتمريض والفنيين وأخصائيي التأهيل والعلاج الطبيعي

فصل التوأم

الفريق الطبي

كافة الأقسام المساندة، وسوف توفر لهما كل احتياجاتهما ومتطلباتهما ليشعرا أنهما بين أهلهم ولا يراودهم أي إحساس بالغربة. شعرت الأسرة من أول وهلة بالامتنان لحسن الاستقبال والترحاب والحفاوة البالغة التي أحاطتها من جانب أسرة مدينة الملك عبد العزيز الطبية. وقد عبّر محمد عن ذلك حين قال لقد جعلتنا هذه الحفاوة نسعد كثيراً بالوشائج والعلاقات القوية بين الشعبين السعودي والعماني، وترجمنا إحساسنا هذا بالشكر لخادم الحرمين الشريفين كرجل وطن وأمة، وكملك إنسان يشمل بكرمه الفياض كل شعوب العالم على اختلافها.

البالونات تحت الجلد

بعد استكمال كل الترتيبات اللازمة في مدينة الملك عبد العزيز للحرس الوطني، استُهلت إجراءات التعامل مع الحالة بفحوصات شاملة ودقيقة للتأكد من إمكانية فصل التوأم، ثم بدأت في تشكيل فريق طبي كبير تجاوز عدد أعضائه الستين عضواً، وعقد الفريق اجتماعات عديدة وأجرى دراسات دقيقة ومتأنية على التوأم، وبعد مشاورات مكثفة توصلنا إلى أن إمكانية الفصل واردة، ثم دخلنا في مناقشات مستفيضة حول طرق تمديد الجلد لتغطية الفراغ بعد الفصل، واتفقنا في النهاية على استخدام بالونات توضع تحت الجلد، وشرحنا كل هذه التفاصيل لوالدي التوأم، فأعربا عن موافقتهما للخطة التي وضعها الفريق.. وإثر ذلك تولى فريق جراحة التجميل عملية إدخال هذه البالونات تدريجياً لأن عملية نفخها تستمر أسابيع طويلة من أجل الوصول إلى الحجم المطلوب.. خلال هذه الأسابيع واجهت الفريق مشكلة بسبب التهاب نتج عن إحدى البالونات، فاضطر إلى رفعها لتنظيف الجراح ثم إعادة تركيبها، وكان ذلك من أسباب تأخير عملية التمديد هذه.. وبعد ذلك عُقدت عدة اجتماعات بين الفريق الطبي والفريق الجراحي أجريت فحوصات دقيقة للمخ مما حدا بنا إلى إعلان إمكانية الفصل، ولكنها تتطلب أجهزة دقيقة مثل جهاز الأشعة المقطعية المتنقل، وجهاز الملاحة الجراحي وجهاز الأبعاد الثلاثي الحجمي وجهاز الأشعة المقطعي المتحرك وغيرها من الأجهزة اللازمة لمثل هذه العملية النادرة، وذلك إضافة إلى صنع داعم خاص بطاولة العمليات لتسهيل وسلامة التخدير، وهو داعم يُصنع لأول مرة في العالم واكتملت مراحل تصميمه وتصنيعه بالكامل في قسم التخدير بمدينة الملك عبد العزيز الطبية وكان هذا إنجازاً طبياً لهذه المدينة العامرة.. وما أن توافرت الأجهزة حتى عكف الفريق الطبي على وضع خطة جراحية مكتوبة للعملية تضمنت سبع مراحل حددنا نسبة ٦٠٪ لنجاحها.

محمد يؤثر صحة ابنتيه على صحته

بينما كنا نواصل جهودنا في استكمال هذه الإجراءات كي نتمكن من تحديد موعد العملية خلال أسابيع قليلة؛ تلقيت اتصالاً من محمد والد التوأم، وكانت نبرات صوته ضعيفة متكسرة، وأحسست أن أنفاسه تعلو وهو يحادثني، فأخبرني بأنه يعاني مشكلات في صحته وألماً في صدره، فوجهته بالذهاب إلى غرفة الطوارئ على وجه السرعة حيث خضع إلى فحوصات أولية عاجلة قادت أطباء القلب إلى الاشتباه في وجود ذبحة صدرية وضيق في شرايين القلب وقرر الأطباء إدخاله إلى قسم القلب بالمستشفى

الانتهاء والإنجاز

فرحة النجاح

فصدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين على ذلك وتحمل كل تكاليف علاجه، وبالفعل أجريت فحوصات عديدة للتأكد من هذه المشكلة، وفي اليوم التالي زرت محمد في غرفته وشعرت بالاطمئنان عليه، لم يكن مهتماً بما طرأ عليه من مخاطر؛ بل كان كل تركيزه واهتمامه منصبًا على بنتيه، فطلبت منه أن يهدأ ويرتاح ويهتم بصحته ولا يقلق على التوأم لأن عملية الفصل ممكنة بإذن الله جل وبنسبة نجاح كبيرة تصل إلى ٦٠٪.

استمر محمد منومًا في قسم القلب، وفي هذه الأثناء عقد الفريق الطبي اجتماعه قبل الأخير الذي قرر فيه إجر - عملية الفصل في غضون عشرة أيام، في ذات الوقت الذي قرر فيه أطباء القلب إجراء جراحة لمحمد خلال أسبوعين لتغيير الشرايين الثلاثة التي تغذي عضلة القلب نظرًا لما أظهرته الفحوصات من ضيق ومشكلات واضحة يمكن أن تُهدِّد حياته.. وفي ضوء ما قرره أطباء القلب زرتُ محمدًا وأخبرته بضرورة خضوعه لعملية جراحية في القلب خلال هذه المدة الوجيزة، واقترحت عليه تأجيل عمليه فصل التوأم حتى يتعافى من الجراحة التي ستُجرى له لتصحيح وضع قلبه وحتى نطمئن على صحته، ولكنه ألح علينا متوسلاً راجيًا عدم تأخير عملية فصل التوأم لأجله، بل وطلب تأجيل عمليته إلى ما بعد نجاح عملية فصل صفاء ومروة.. كان هذا الطلب صعب جداً لأن الأطباء يدركون مدى مخاطرته بصحته من أجل فلذتي كبده؛ وقبل النزول على طلبه كان لا بد لي من استشارة جراح القلب المختص وأطباء القلب حول إمكانية تأجيل عملية الأب، فاتصلت بهم وطرحت عليهم رغبة محمد في تأجيل إجراء عمليته، فأفادوا بإمكانية ذلك بعد الاستمرار في تزويده ببعض الأدوية الخاصة التي تساعد على استقرار حالته إلى حين.

٦٠٪ نسبة نجاح عملية الفصل

عقد الفريق اجتماعه الأخير قبل عملية الفصل ونقلت لهم خلال الاجتماع ما طرأ على صحة محمد من مشكلات في القلب، ثم قررنا إجراء العملية يوم السبت ١٦ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧ إكتوبر ٢٠٠٧م على أن تسبقها بيومين أي في يوم الأربعاء ٢٤ إكتوبر ٢٠٠٧م عملية تجريبية وهمية، وذلك بعد أن حقق التوأم الوزن المناسب (١١ كيلو غراماً) عقب إخضاعه لنظام غذائي مكثف. وبعد العملية الوهمية ذهبت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مزرعته وأطلعته على هذه النتائج، فسألني حفظه الله عن تفاصيل العملية ونسبة نجاحها، فأخبرته أن هذه الحالة هي الاولى من نوعها التي نستقبلها في مدينة الملك عبد العزيز الطبية، وهي أول عملية التصاق بالرأس ستجرى في هذه المنطقة، نقلت له مدى تفاؤل الفريق الطبي بنجاحها، فطمأنني كعادته بإمكانية النجاح بعد الاتكال والاعتماد على الله.. ثم استأذنته في الذهاب لأداء العمرة، وفي يوم الخميس اصطحبت زوجتي إلى مكة المكرمة، وبعد اكتمال النسك جلست قبالة الكعبة المشرفة أبتهل إلى الله عز وجل أن يوفقنا في هذه العلمية الصعبة التي نأمل أن تكون نجاحًا ورفعة للإسلام والمسلمين وأن يكتب الحياة للطفلتين ويسعد والديهما بهما، وبعد عودتي في يوم الجمعة اتجهت مباشرة إلى جناح الأطفال بالمستشفى لزيارة التوأم والاطمئنان عليه والتأكد من جاهزيته لإجراء الجراحة.

لمسة حنان من الأم

يلمسان بعضهما لأول مرة

وفي ساعات الصباح الباكر من يوم السبت تواتر حضور أعضاء الفريق الطبي عند باب غرفة العمليات.. ثم أُحضرت الطفلتان يصحبهما والداهما، وقبل الدخول إلى غرفة العمليات سألت محمد وزوجته ما إذا كانا يريدان الاستفسار عن شيء بعينه؟ فاكتفيا بإرسال دموعهما لوداع الطفلتين وانكبا عليهما يقبلانهما.

فصل أغشية المخ مرحلة حساسة

بدأت أولى مراحل العملية بالتخدير باستخدام طاولة صنعت خصيصًا لهذه العملية، وتولى صنعها فريق التخدير بمستشفى، وكان هذا إنجازًا طبياً لهذه المدينة العامرة، وانتقلنا بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهي مرحلة التعقيم ثم التغطية ولاها فتح الجلد ثم فتح عظمة الجمجمة وهي مرحلة حساسة إلى حد كبير لأن تحت الجمجمة مباشرة أغشية المخ والمخ ويجب التأني والحذر في استخدام هذه الأجهزة ضمانًا لسلامة المخ، وأعقب ذلك محاولة فصل الأغشية بين الطفلتين، وهي أيضاً من المراحل الحساسة التي تتطلب قدرًا كبيراً من الدقة لأن الأوردة الكبيرة في رأس المخ تنفصل بأقل من ثلاث ملليمترات، وهذا يستلزم من الزملاء في جراحة الأعصاب استخدام المايكروسكوب الجراحي بدقة عالية ضمانًا لسلامة الفصل دون حدوث نزيف يؤدي إلى فقدان التوأم لحياته.. مرَّت هذه المرحلة ببطء شديد إلى أن تمكن الأطباء من فصل المخ وأغشية المخ بينهما بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ثم فصل عظام الجمجمة من الخلف، وتلا ذلك قلب التوأم لفصل الجلد الذي يشكل المرحلة النهائية قبل فصل صفاء عن أختها مروة.. وبعد أن تكللت جميع مراحل العملية بنجاح كامل ولله الحمد نقلت كل واحدة منهما ولأول مرة على طاولة مستقلة وتولى الإشراف على كل واحدة منهما فريق جراحي مستقل لتبدأ بعد ذلك عملية التجميل والتأهيل لتغطية الرأس والتي اكتملت ولله الحمد، وبذلك تكللت جميع مراحل العملية بنجاح كامل.

التوأم يبحث عن بعضه

طغت الفرحة على وجوهنا جميعًا بهذا التوفيق الذي منَّ الله به علينا، وبينما نحن ننقل عبارات التهاني بين بعضنا تلقينا اتصالاً من والد الجميع الذي يفيض قلبه بمشاعر العطف والحنان خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله مهنئًا أعضاء الفريق الطبي على نجاحهم، كما هنأ والدي التوأم على سلامة بنتيهما، ثم وجهنا بالاهتمام بالتوأم إلى أن تكتمل جميع مراحل العلاج،.. واصطف أعضاء الفريق لالتقاط صورة تذكارية توثق لأول عملية فصل توأم ملتصق في منطقة الرأس باعتبار ذلك إنجازًا تاريخياً يضاف إلى الخبرة السعودية وإلى سجلات إنجازات الأمة العربية والإسلامية.. وما أن وضعت أولى خطواتي خارج باب غرفة العمليات حتى احتضنني محمد والد التوأم وعانقني عناقًا حاراً محاولاً تقبيل رأسي ولكني استطعت الإفلات منه، وتبينت أن دموعه بللت جزءاً من وجهي وثيابي ولكنها هذه المرة دموع فرح وسعادة، وكانت تلك لحظة بالغة التأثير، ونقلت الطفلتان إلى غرفة العناية المركزة حيث مكثتا قرابة الأسبوعين، وبدأتا في الإفاقة تدريجياً من آثار المخدر،

صفا ومروة في مطار مسقط بعد العودة

ثم أفاقتا تمامًا بعد ثلاثة أيام، ولاحظنا أن كل واحدة منهما ترفع يدها محاولة لمس أختها في تعبير تلقائي عن مشاعر العطف والحنان المشتركة بينهما.. فكان هذا المشهد مؤثرًا جداً في كل الحضور من أعضاء الفريق الطبي الذين عمدوا إلى تقريب الطفلتين من بعضهما، وما أن أحستا بقربهما حتى أمسكت كل واحدة منهما بيد الأخرى وكأنها تقول لأختها لقد افتقدت جزءًا من جسدي، ولعلي الآن أتشبث به حتى لا يفارقني مرة أخري.

تبديل شرايين محمد

وبعد نجاح العملية بعدة أيام أدخل محمد إلى غرفة العمليات حيث أجريت له بنجاح عملية تبديل الشرايين، وفرحت الأم فرحًا شديدًا وشكرت الله الذي وقف بجانب الأسرة، وتبدلت الهموم إلى فرح وأنس، والقلق إلى طمأنينة، والغم والاكتئاب إلى راحة نفسية. وبعد أربعة أيام من نجاح عملية محمد قرر خادم الحرمين الشريفين زيارة التوأم للاطمئنان على صحتهما وتهنئة والديهما بنجاح عملية الفصل ونجاح عملية الوالد، وكانت لحظة إنسانية تتداعى لها الوجدانيات حين وقف حفظه الله يداعب صفا ومروه بحنان أبوي فياض.. ثم كرَّم أعضاء الفريق الطبي بمنحهم أوسمة على هذا الإنجاز الذي يعد أحد إنجازات مملكة العطاء والانسانية.

غادرت صفاء ومروه غرفة العناية المركزة بعد مرور أسبوعين ونقلتا إلى جناح الأطفال حيث بدأت مرحلة تأهيلهما تدريجياً إلى أن تأكد المختصون من استقرار حالتهما. وغادرت الطفلتان إلى بلدهما سلطنة عمان بعد عيد الأضحى المبارك عام ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، على أن تعودا بعد عدة أشهر لإجراء عملية تجميلية لتغطية عظام الجمجمة إن شاء الله تعالى.. وقبل سفرهما أقيمت لهما مراسم وداع حافلة بالتأثر والحرارة في قسم الأطفال وفي مطار الملك خالد الدولي، وفي مطار مسقط استقبلهما أعضاء السفارة السعودية هناك وبعض مسؤولي الحكومة العمانية ووفد كبير من أسرتي أبويهما وتضمن الاستقبال كلمات ترحيبية وأبياتًا شعرية تهنئه بسلامتهما.

التوأم مع أخويهم بعد عملية ترميم الرأس

التوأم مع العائلة

obeikandl.com

١٩

بين الصفا والمروة

رجب ١٤٢٩هـ/ يوليو ٢٠٠٨م

obeikandl.com

زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم المغربي الثاني

obeikandl.com

بين الصفا والمروة

رجب ١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م

٣ فردًا في البيت الكبير

نشأ سعيد في قرية صغيرة تبعد حوالي ١٥ كلم من مدينة الدار البيضاء في المغرب العربي، وفي بيت واحد مع والديه وإخوانه وأخواته وأطفالهم الذين بلغ عددهم جميعًا ١٣ فردًا،، وكعادة أهل الأرياف في بعض الدول العربية، فإن «البيت الكبير» جمع كل أطراف هذه الأسرة التي تعاني ظروفًا مادية صعبة بسبب دخلها المحدود. ولمَّا لم يوفِّق والدهم في الحصول على أي عمل يدر له دخلاً يساهم به في تحمل أعباء المعيشة؛ فقد حمل سعيد - في وقت مبكر من عمره - مع أخيه الأكبر مسؤولية الصرف على الأسرة وتوفير متطلباتها بالقدر الذي أتاحته لهما فرص العمل المحدودة والمتقطعة. واتسم هذا البيت مثل العديد من بيوت القرية بقدر متواضع من التعليم إن لم يكن معدومًا؛ نظرًا لقلة المدارس ولما تتطلبه فرص الالتحاق بها من مصاريف لا تستطيع هذه الأسرة البسيطة توفيرها، ولهذا السبب ظلت عاجزة عن إلحاق أبنائها بالمؤسسات التعليمية.

وعندما بلغ سعيد سن الزواج بدأ يبحث عن زوجة تساعده على الأقل في تحمل ظروفه النفسية الناتجة عن ضغط العمل وإرهاقه، ولعله يرزق منها بأطفال يثلجون صدره ويضيفون إلى حياته المتواضعة بعضًا من السعادة، وشاء الله أن يتعرَّف على أخت أحد أصدقائه وزملائه الذين جمعهما سويًا العمل في صناعة الديكور والجبس بالدار البيضاء، وهي من الفتيات اللاتي نلن حظاً من التعليم بإكمالها للمرحلة الإعدادية، وسرعان ما أخبر والديه أن يذهبا للتعرف على أسرتها وطلب يدها، وبالفعل تزوجها ونقلها إلى قريته: «دوار أولاد عزوز»، فعاشت معه في بيت أسرته تساعد على تصريف الأعمال والأعباء المنزلية رغم صغر سنِّها، وتضفي إلى سعيد نوعًا من السعادة وتخفف عنه أعباء عمله وظروفه المعيشية الصعبة، وكانت هذه الزوجة - التي تزيد على زوجها في فرص التعليم - تحلم بأطفال يضيفون لها قدرًا من الإحساس بالسعادة والسرور والهناء، مرت الأيام والليالي وأصبحت حياتها مرتبطة بهذه الأسرة البسيطة، وبهذه القرية التي يتميز أهلها بالطيبة والكرم والشهامة والتواصل.

آلام وإرهاق وغثيان

استمرت حياة سعيد وزوجته - رغم تواضعها - خالية من المنغصات والمكدرات والتعقيد، حياة عفوية وبريئة، كما هو الحال في البيئات الريفية حيث البساطة والرضى والقناعة، وظلت الحياة تجري على هذا النحو السهل البسيط بصورة عادية. وبعد عدة شهور أحست الزوجة ببعض الآلام والإرهاق والغثيان، ونظرًا لصغر سنها وجهلها لم تدرك سببًا لذلك، ولمعرفتها بالظروف المعيشية للأسرة لم تطلب من زوجها مقابلة الطبيب، فبعد المسافة وتكاليف النقل والعلاج المصاحبة للاستشارات الطبية ليست في مقدور الزوج، ولذلك تجاهلت الأمر وظلت - رغم الإرهاق والتعب والتقيؤ - تتابع واجباتها المنزلية اليومية في البيت الكبير، وذات يوم استشارت والدتها حول هذه الأعراض التي تنتابها بين حين وآخر؟ فأخبرتها بأنها أعراض حمل وأنها ليست غريبة

الصفا والمروة عند وصولهم المستشفى

الصفا والمروة

على المرأة المتزوجة، فأحست بسرور وسعادة كبيرة لما قالته أمها، وحين أوضحت لزوجها أنها حامل؛ فرح فرحًا شديدًا وأصبح يقلب يديه ويعد الأيام والشهور انتظارًا للمولود القادم، وحلما سويًا برؤية هذا المولود، وهل سيرزقهما الله سبحانه وتعالى بولد أم بنت؟ وظلاً يبحثان عن اسم يطلقانه على هذا المولود، ومرّت في خاطرهما أسماء كثيرة لإناث وذكور. ومع مرور فترة الحمل ووصولها إلى المراحل الأخيرة. وبالتحديد في الشهر السابع - أحست الزوجة بآلام في الجهة اليمنى من بطنها، فما كان منها إلا أن نقلت شكواها لوالدتها صاحبة التجربة والخبرة، فذكرت لها أن سبب تضخم حجم البطن عادة المصحوب بآلام شديدة ربما يكون علامة على الحمل بتوأم، قالت ذلك من واقع تجربتها إذ سبق أن أنجبت ثلاثة توائم لم تكتب لهم الحياة، ثم أنجبت توأماً آخر يبلغ عمرهما الآن ٢٨ عامًا وهما يعيشان حياة سعيدة، طغى عليها شعور بالسرور لهذا الخبر رغم آلامها وما يصاحبها من تعب وإرهاق وتقيؤ وغيرها.

ابتسامة تتبعها صدمة

ومع اقتراب مرحلة الولادة لازمها الشعور بالتعب، ولذلك استشعر الزوج ضرورة مراجعة أقرب مركز صحي لأن هذا أول حمل لها وهو على غير العادة، وبالتالي لا يمكن أن تنجب في المنزل مثل نساء القرية. وقبل أيام من الولادة اشتد الألم، وازدادت أعراضها حدةً؛ فاضطرت الأسرة إلى نقلها على عجل إلى مستشفى ابن رشد بالدار البيضاء حيث أخضعها الأطباء على الفور إلى عملية ولادة قيصرية سريعة، وسيطرت على سعيد أثناء هذا الوقت حالة من التوتر والقلق، وظل يروح ويجيء في ممرات المستشفى وعينه على غرفة العمليات لعل أحد الخارجين منها ينقل له خبرًا يطمئنه على ولادة زوجته واستقرار حالتها؛ ولكن خُيِّل إليه أن الوقت يمر ببطء شديد، فازداد قلقه وخوفه، وبعد فترة انتظار ليست بالقصيرة؛ جاء الطبيب وبشره بالولادة، فأثلج هذا الخبر صدره، وعلت وجهه ابتسامة حين أكد له الطبيب أن حالة زوجته مطمئنة، ولذلك لم يكترث أو يهتم بقول الطبيب وهو يكمل حديثه: لقد ولدت زوجتك توأماً سيامياً، بل استمرت الابتسامة مرتسمة على شفتيه ولم يفارقه الشعور بالفرح؛ لأنه لم يكن يعرف أي معنى لهذا المصطلح، ثم شكر الطبيب وطلب منه رؤية الأطفال، وبعد فترة ليست وجيزة اصطحبه الطبيب لرؤية التوأم؛ فأخذته الصدمة لما تبيَّن أنه رزق بطفلتين ملتصقتين، ولم يستطع لحظتها التحدث؛ بل ألجمت المفاجأة فمه، ودارت في مخيلته أفكار عديدة وأصبح يرى الدنيا بمنظار أسود وتذكر أن حاله ضعيفة، وظروفه المادية محدودة جدًا، ذلك أن مجرد الانتقال من قريته إلى الدار البيضاء يمثل عبئا جسيمًا على ظروفه المادية؛ ناهيك عن علاج توأم ملتصق، خاصة وأن الطبيب أخبره أن علاج مثل هذه الحالات صعب ومعقد جداً، وتحتاج حالة التوأم إلى جراحة وتشخيص دقيق، ولا يمكن إجراء مثل هذه العمليات في المغرب، ولما أكمل استعراض هذا الشريط؛ جلس على أحد الكراسي القريبة من غرفة الولادة واضعًا رأسه بين يديه، ودموعه تنهمر بغزارة؛ ولأنه كان رجلاً مؤمنًا وفيًا صادقًا؛ تمكّن من السيطرة على مشاعره، ولجأ إلى الله سبحانه وتعالى، واستقبل القبلة رافعًا يديه داعيًا الله أن يكون له عونًا ومساعدًا والاّ يخيب له رجاء

الصفا والمروة عند وصولهم المستشفى

والدا التوأم الصفا والمروة

حلم في بداية الحمل

ذات ليلة صحت الزوجة من نومها - وهي في الأيام الأولى من بدايات حملها - خائفة مرتعبة؛ فقد رأت في منامها أنها تسير وسط غابة كثيفة الأشجار متشابكة الطرق، ثم سلكت ممراً ضيقاً في هذه الغابة، ورأت على جانبه مسجدًا باهر الأنوار، ولمَّا دخلته رأت رجلاً يقطر وجهه ضياء ونورًا وهو في حالة خشوع كامل، ورأت كذلك في مؤخرة المسجد امرأة تتلو القرآن وهي في حالة من الاستغراق والخشوع، وبعد برهة جاءها ذلك الرجل وفي يده شمعة مضيئة ما لبثت أن تفرَّعت إلى شمعتين سلَّمهما لها، بينما تولَّت المرأة التي تتلو القرآن الإشراف على ولادتها، ثم بشَّرتها بزيارة مكة المكرمة، فأشاع فيها هذا الحلم إحساسًا بالسرور والخوف في آن واحد، ولأنها لم تستطع تفسيره قررت أن تبقيه سرًا، وبالفعل لم تبح به إلا إلى زوجها الذي طمأنها بأنها بشارة طيبة ورؤية خير وفأل حسن لهما سوياً.

وبعد ولادتها لم تكن تعلم ما أنجبت، ولحظة إفاقتها من المخدر تلهفت لرؤية مولودها، وأخذت تسأل الأطباء والممرضات لمعرفة ماذا أنجبت؟، فأخبرها الطبيب أنها رُزقت بطفلتين ولكنه لم يُطلعها على التفاصيل، فاحتوتها فرحة كبيرة، وسكبت الدموع فرحًا بهذا الخبر السار، ولما أصرت على رؤيتهما دعا الطبيب زوجها سعيد ليتولى نقل المعلومة إليها، وفعلاً دخل عليها سعيد وطمأنها بسلامتها وبسلامة الطفلتين، فسألته عن حالة ابنتيهما وعن وزنهما وشكلهما وعن بعض التفاصيل الأخرى، وحين رأته صامتًا كرَّرت رجاءها وألحَّت عليه بأن يخبرها. لم يستطع إجابتها؛ ولكنه عوضًا عن ذلك أمسك يدها وهو جالس على كرسي بجوارها، فحدَّقت النظر إلى عينيه فوجدتهما مليئتان بالدموع، قبلت يده وتوسَّلت إليه أن يخبرها بحقيقة الأمر، وتساءلت والشفقة تملأ قلبها الذي يكاد يقفز خارج صدرها: هل مات التوأم بعد ولادته؟ أم ماذا حدث له؟ وبعد أن أكمل بكاءه أخبرها بأنهما على قيد الحياة؛ ولكنهما ملتصقتين ولديهما عيوب خلقية تحتاج إلى وقت طويل من العلاج والجراحة، وإلى تكاليف مالية عالية لأن مثل هذه الجراحات لا سبيل لإجرائها داخل بلاده، وأنه لا يملك القدرة على التعامل معها، ولمَّا سمعت ذلك بكت بكاء عميقًا، ورفعت يديها إلى الله تعالى أن يكون لها عونًا ومعينًا، وأن يكشف عنها هذه الغمة. وبينما هي في هذا الحال استرجعت مخيلتها فجأة ذلك الحلم الذي حلمت به في بداية حملها، فالتفتت بسرعة إلى زوجها قائلة: ألا تذكر الحلم الذي أخبرتك به عن الرجل الذي سلمني شمعة انفصلت إلى شمعتين، وأنني سجدت لحظتها لله شكرًا ثم ولدت في المسجد، فكن متفائلاً فأنا واثقة بأن الله سيحقق حلمي بانفراج هذه الغمة.

استغاثة إلكترونية

وبالفعل بدأت رحلة العائلة، واجتهد سعيد في البحث عن مخرج، فما لبث أن جاءه الفرج عن طريق الطبيب المعالج الذي تولى عملية الولادة وأشرف على الحالة ومتابعتها، وهو الدكتور سيف الدين الذي لم يكن طبيبًا فقط؛ بل كان إنسانًا صادقا تعامل مع هذه الأسرة بقدر كبير من النخوة والمشاعر الإنسانية، فاتصل فورًا بأحد الأطباء المعروفين في كندا وزوده بكل التقارير

قبل بدأ العملية

عند بدأ العملية

الخاصة بالحالة وتفاصيلها بعد إجراء الفحوصات الأولية، وعلى ضوء ذلك تكثّفت الاستشارات عبر صديق له مع استشاري قدير في مركز مرموق بكندا للاستنارة برأيه، وبعد هذه الاستشارات اتضح أن التوأم ملتصق في منطقة البطن والصدر ولهما عيوب خلقية في القلب، واشتراكات عديدة وعيوب في جدار البطن، وبعد التشاور بين الطبيب وصديقه أشار عليه بأن هناك مركزًا متميزًا في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وطلب منه الاتصال به للاستشارة والإفادة عن هذه الحالة، ولمعرفة مدى إمكانية علاجها. وبالفعل أرسلت استغاثة العائلة والتفاصيل الطبية إلى الموقع الإلكتروني لمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني، مشفوعة بطلب إلى الفريق الطبي بالمملكة العربية السعودية لدراسة الحالة والإفادة بمدى إمكانية علاجها، وفور تسلُّم المعلومات عن هذا التوأم الضعيف وأسرته البسيطة عكف الفريق على دراستها وفق ما توفر لديه من فحوصات وتحليلات، وبعد الدراسة كُلِّفت بعرضها على مقام خادم الحرمين رجل الإنسانية والوفاء ومحب الطفولة.

توجيه كريم

وتسنى لي خلال فترة وجيزة جمع صور التوأم من الموقع الإلكتروني بجانب كل المعلومات الخاصة به وأسرته وعرضتها على مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في منزله، وفور اطلاعه - حفظه الله - على الصور والتقارير وجه بنقل التوأم ووالديه حالاً إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني وعلاج الحالة، ثم أخبرته - حفظه الله - بأن الوضع الصحي للتوأم يستدعي نقله بطائرة الإخلاء الطبي الجوي، فكانت استجابته سريعة، ووجه بنقل التوأم عن طريقها، حيث تفضل ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بإرسال طائرة الإخلاء الطبي لنقل الطفلتين على وجه السرعة مع الاهتمام بهما، وإعطائهما أفضل علاج بالمملكة، وبعد عدة أيام توجهت الطائرة إلى هناك تحمل فريقًا طبياً متخصصًا. ونُقل التوأم مع والديه من الدار البيضاء إلى مدينة الرياض حيث كان في استقبالهم فريق طبي وسيارة إسعاف، ثم نقلوا جميعا إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية ليجدوا فريقًا طبياً وإدارياً في انتظارهم لينقل التوأم إلى غرفة العناية المركزة للأطفال حيث استقبلهما طاقمها وفريق من قسم الأطفال والجهات ذات العلاقة، وتلا ذلك تقييم الحالة مبدئيًا، ثم وضع التوأم تحت إشراف طبي مشدد.

٦٠٪ نسبة نجاح فصل التوأم

لقد كنت في ذلك الوقت خارج المملكة؛ ولكن سارع الزملاء مشكورين إلى إكمال كل التحليلات والإجراءات الطبية على الوجه المطلوب، ثم اتصلوا بي لتزويدي بتفاصيل الفحوصات التي كشفت وجود التصاق في منطقة الصدر والبطن، وعدم اكتمال الجهة السفلية لجدار البطن مع وجود عيوب خلقية في القلب خصوصًا للتوأم المروة، ولذلك فإن الحالة تتطلب مزيدًا من الفحوصات الطبية الدقيقة، وعلى إثر ذلك شكلنا فريقا طبياً متكاملاً شاركت فيه أقسام العناية المركزة وجراحة الأطفال وأمراض القلب للأطفال وأمراض الأطفال وتخصص جراحة التجميل وقسم التمريض والأشعة والعلاج التنفسي والتخدير وغيرها من التخصصات الطبية الأخرى. وتولى الفريق إجراء فحوصات متعددة ودقيقه، ثم عقدنا عدة اجتماعات لدراسة الحالة. وواكب ذلك دراسة مستفيضة

مرحلة القطع أثناء العملية

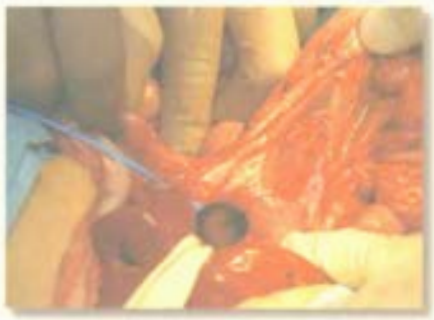

مرحلة فصل الأمعاء

يعاني التوأم خصة الطفلة المروة التي تعاني عيوبًا خلقية معقدة تطلبت بعض العلاجات والمتابعة الدقيقة من أخصائي القلب، ونظرًا لهذه المشكلات في قلبها؛ رأي الفريق أن إمكانية الفصل واردة وأن هناك احتمالاً كبيرًا في أن تصاب التوأم بهبوط في القلب مما استدعى الاستعجال لتقديم عملية الفصل، واتفقنا على أن نسبة النجاح لا تتجاوز ٦٠٪ نظرا لهذه المخاطر لدى التوأم. وكذلك اتضحت الفحوصات وجود اشتراك في غشاء القلب والكبد واشتباه اشتراك في الأمعاء وعدم اكتمال لجدار البطن. وعندما وصل وزن التوأم إلى قرابة ٧,٥٠٠ جرام اتفق الفريق الطبي على تحديد يوم السبت ٩ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٨م موعدًا لإجراء عملية الفصل على أن تسبقها عملية تجريبية وهمية يوم الأربعاء ٦ رجب الموافق ٩ يوليو ٢٠٠٨م.

العملية الوهمية

وفي اليوم المحدد للعملية الوهمية؛ استدعيت والدي التوأم وتحدثت لهما عن تفاصيلها بدقة، وبيَّنت لهما نسبة خطورتها ونجاحها ثم أجبت على أسئلتهما بكل دقة وشفافية، ولما كانت ثقتهما في الله سبحانه وتعالي لا تحدها حدود، بجانب ثقتهما المتناهية

لحظات وداع الأم للتوأم قبل بدء العملية

obeikandl.com

مرحلة الفصل أثناء العملية

مرحلة بعد الفصل

في الفريق الطبي، وما يتصفان به من أخلاق عالية؛ فقد وافقا على إجراء العملية دون تردد، وبالفعل وقعا على هذه الموافقة وحضرا إلى غرفة العمليات لمتابعة مراحل العملية التجريبية وتجهيز غرفة العمليات. وفي الساعة الرابعة عصرا احضر التوأم برفقة والديه، وتواجدت كذلك بعض وسائل الإعلام لتوثيق هذا الحدث. وبدأ الفريق الطبي في مراجعة خطة العملية الجراحية بكل تفاصيلها ومراحلها ومخاطرها والعيوب الخلقية في قلب التوأم المروة، ونوع الأدوية التي سوف تستخدم، وحدد بعد ذلك مسؤولية كل فريق فرعي، ثم تأكد من كوادر التمريض والفنيين ومن اكتمال التجهيزات المطلوبة لأحداث العملية، بل ومن كل الإجراءات اللازمة لمنع المضاعفات لا سمح الله. وبعد اكتمال مراحل العملية الوهمية التي استغرقت قرابة الساعة والنصف توليت شرحها لوالدي التوأم، فأعربا عن تقديرهما لهذا الاهتمام الكبير من قيادة المملكة العربية السعودية ومن الفريق الطبي الذي يباشر مهماته بقدر عال من الأخلاق والشفافية والحب والوفاء. وقرر الجميع أن تكون نهاية الأسبوع استراحة للفريق الطبي حيث تقرر إجراء العملية في الثامنة من صباح السبت ٩ رجب ١٤٢٩ (١٢ يوليو ٢٠٠٨) وبالفعل غادر التوأم مع والديهما إلى جناح الأطفال رقم ٧.

قلق وحيرة وشحوب

في الساعة السابعة من صباح اليوم المحدد للعملية (٩ رجب ١٤٢٩هـ)؛ احضر التوأم إلى غرفة ما قبل العمليات بصحبة والديهما، ثم اتجهت بصحبة زملائي أعضاء التخدير إلى هذه الغرفة حيث قابلنا والدي التوأم وشرحنا لهما تفاصيل العملية مرة أخرى، لاحظنا أن الأم قلقة شاحبة الوجه، تبدو عليها علامات الحيرة، ودموعها متصلة على الدوام؛ ولكنها كانت تبكي بهدوء وتمسح دموعها وهي تقبل طفلتيها، وكذلك انكبَّ عليهما سعيد يقبلهما ويودعهما، وهو رغم قلق كانت لديه ثقة كاملة في الله سبحانه وتعالى ثم في الفريق الطبي، وبعد هذه اللحظات المؤثرة على النفس والتي أظهرت بجلاء مدى علاقة والدي التوأم بطفلتيهما وعلاقتهما بالفريق الطبي؛ نُقل التوأم إلى داخل غرفة العمليات ثم إلى طاولة العمليات حيث شرع الفريق في عمليات التجهيز، وباشر فريق التخدير إدخال القساطر الوريدية والقساطر الأخرى والأكسجين استعداداً لبداية التخدير مستهلاً خطواته بتخدير التوأم المروة ثم شقيقتها الصفا دون أي مشكلات تذكر ولله الحمد. ثم أدخلت القساطر الوريدية المركزية ثم القساطر في الشريان لمراقبة ضغط الدم ولأخذ عينات منه وكذلك القساطر البولية، وبعد اكتمال عملية التخدير التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة بدأت مرحلة التعقيم، وقام الفريق الطبي بتعقيم التوأم وتغطيته بأغطية جراحية معقمة وتبعها تحديد منطقة الجراحة والفصل بواسطة أخصائيي جراحة الأطفال وجراحة التجميل. وأعقبتها مرحلة فتح الجلد والأغشية التي تحته ثم فتح منطقة البطن وأسفل الصدر حيث تبين وجود اتصال في أغشية القلب والإثني عشر والأمعاء الدقيقة بمسافة لا تقل عن قدمين، وبدأ الفريق بفصل أغشية القلب دون مشكلات، ثم فصل الكبد باستخدام تقنية عالية تمثلت في (الكي عن طريق الليزر والكهرباء واستخدام مشرط الأشعة فوق الصوتية) لتقليل كمية الدم المفقود، وفي هذه الأثناء أصيبت التوأم المروة بنقص في الأكسجين مما اضطرنا إلى التوقف لمدة نصف ساعة كي يتمكن فريق التخدير

بعد خروج التوأمن من غرفة العمليات

أم التوأم تقبل رأس رئيس الفريق الطبي بعد العملية

ن علاج الحالة بإعطائها بعض الأدوية حتى تستقر حالتها بما يمكن الفريق الجراحي من استئناف عمله لإكمال كل المراحل. لا شك أن مثل هذه الأحداث تقلق الفريق الطبي، خصوصاً وأن وسائل الإعلام حاضرة، وهذا مما قد يعرض الفريق الطبي لبعض الضغط النفسي ناهيك عن متابعة والدي التوأم للعملية. ولكن لطف الله سبحانه وتعالى أنقذ الموقف، فاستقرت حالة المروة واستمر الفريق في عمله فأكمل فصل الكبد دون مشكلات، وتبعها بفصل الإثني عشر والأمعاء الدقيقة وإعطاء كل توأم جزءاً من الأمعاء يمكنه من العيش مستقبلاً دون مشكلات، ثم فصل جدار الصدر من الخلف وجدار البطن من الخلف أيضاً، وبعد حوالي ١٣ ساعة تمكنا من فصل الطفلتين ووضعت كل منهما في طاولة مستقلة ليكمل الفريق الطبي مراحل وضع الأمعاء والأجهزة في مكانها. واستغرقت هذه المرحلة قرابة ساعتين ونصف الساعة، وبعد حوالي ١٥ ساعة ونصف اكتملت كل مراحل العملية بتوفيق من الله سبحانه وتعالى بنجاح، وفي نهايتها اصطف الفريق الطبي لالتقاط صورة توثيقًا لهذا النجاح، ونقلت الطفلتان إلى خارج غرفة العمليات في طاولتين منفصلتين.

همس مقلق

وبالفعل خرجنا من غرفة العمليات ليكون في استقبالنا والدي التوأم والسفير المغربي وحشد كبير من الزملاء ووسائل الإعلام التي كانت تنقل العملية حية على الهواء، فعانقني والد التوأم بحرارة وقبل رأسي رغم محاولتي للمقاومة شكرًا لله سبحانه وتعالى ثم شكرا للفريق الطبي على هذا النجاح، ثم كانت والدة التوأم التي ودعت طفلتيها بدموع غزيرة استقبلتهما كذلك بنفس الدموع وفرحة سعادة كبيرة جعلتها تندفع - دون تفكير منها - لتقبيل رأسي رغم تراجعي ومحاولة الابتعاد بسرعة كي أحول دون ذلك، وربما لها العذر لأن فرحتها كانت أكبر من أن تفكر في مراعاة الضوابط والتقاليد العربية، ولا أعتقد أن أحدًا يستطيع لوم هذه السيدة التي جاشت مشاعرها عقب رؤية طفلتيها منفصلتين. مع هذه المشاعر اصطحبنا الوالدين مع طفلتيهما إلى غرفة العناية المركزة حيث وضعتا تحت مراقبة مشددة، وبعد أن أطمأن الفريق عليهما؛ اصطحبنا والدي التوأم إلى قاعة الاجتماعات الكبرى بالمستشفى حيث كان هناك تصريح صحفي لوسائل الإعلام، وبينما كنا نعيش نتيجة هذا الحدث المفرح لاحظت أن أحد الزملاء يدخل القاعة ويتجه إلى اثنين من أعضاء فريق العناية المركزة وهمس في آذانهم فغادرا القاعة دون إحداث أي ضجة وتبعهما طبيب التخدير، ورغم ما اعتراني من قلق في تلك اللحظة؛ إلا أنني حاولت جاهدًا السيطرة على أعصابي لأن الحدث كان منقولاً حياً على الهواء، تمكنت بالفعل من مقاومة مشاعر القلق كي لا يشعر الحضور أن ثمة مشكلة قد طرأت على التوأم، ارتفعت حدة الشعور بالقلق في داخلي لأنني كنت أعلم أن خروج الزملاء يعني وجود مخاطر طارئة على التوأم، وإزاء ذلك أنهيت التصريح الإعلامي وتقدمت ممثلي الإعلام إلى الخارج وأوهمتهم بأني ذاهب إلى منزلي، إلا أنني اتجهت صوب مدخل آخر من المستشفى واتجهت مباشرة إلى غرفة العناية المركزة، وبالفعل وضح لي أن قلقي كان في محله إذ تبين أن التوأم المروة بدأت تعاني مشكلات كبيرة في جهاز التنفس وفي نسبة الأكسجين في الدم ومن اختلال في الدورة الدموية ومكثنا ساعة طويلة مع الزملاء في قسم العناية المركزة وفي تخصص قلب الأطفال

الفريق الطبي

الصفا والمروة بعد العملية

والتخدير نراقب هذه الحالة ونتابعها ونحاول جاهدين معالجة قلب التوأم المروة الذي كنا نعلم أنه سيتعرض لبعض المضاعفات. استقرت الحالة بعد حوالي ساعات عدة وشعرنا ببعض الاطمئنان ثم توجهنا بعده إلى منازلنا.

تميُّز ومهنية عالية

وبعودتنا في السادسة من صباح اليوم التالي وجدنا المروة تعاني تداعيات المشكلة نفسها، واستمرت تعاني من عدم استقرار في قلبها لعدة أيام إلى أن بدأت تدريجياً في التحسن والاستقرار، وشرعنا في اتخاذ خطوات وإجراءات عديدة لمساعدتها ومن ذلك إدخال عدة أدوية وأجهزة للتنفس، مع محاولة لفك ضغط جدار البطن بتوسيع أغشية البطن باستخدام جلد صناعي مؤقت. واتسمت هذه المحاولات بالتميز وبمهنية عالية نتج عنها - بعد توفيق الله سبحانه وتعالى - استقرار حالة التوأم المروة وعادت إلى وضعها الطبيعي. أما حالة التوأم الصفا فقد شهدت استقراراً منذ البداية مما دعانا إلى رفع أجهزة التنفس عنها بعد أيام، ثم أقبلت على الرضاعة وتناول الطعام دون مشكلات، وبعد ٣ أسابيع استقرت حالة التوأم المروة وبدأت تتناول الرضاعة عن طريق الأنبوب، وتلا ذلك استقرار تدريجي لحالتها فتنفس الفريق الطبي الصعداء، وعلت الابتسامة وجهي والديها

الملك الإنسان يتابع من المغرب

ومع الاستقرار الكامل للحالة سيجري الفريق الطبي عملية تصحيحية للعيوب الخلقية خلال الأشهر القادمة إلى أن تعود بإذن الله مع أختها ووالديها إلى دولة المملكة المغربية الشقيقة، ونتمنى أن يكون هذا النجاح نجاحًا للأمة العربية والإسلامية. الجدير بالذكر عند إجراء العملية كان رجل الوفاء والأبوية والإنسانية خادم الحرمين يقوم بزيارة رسمية لدولة المغرب ورغم مشاغله إلا أنه تابع العملية وراقبها عن طريق وسائل الإعلام، وكعادته اتصل بالفريق الطبي مباركًا هذا النجاح، كما هنأ والدي التوأم وأعضاء الفريق فأثلجت هذه المبادرة وهذه اللفتة الأبوية الحانية صدور الجميع. كما أجرى ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله اتصالاً مماثلاً، وبهذين الاتصالين الكريمين يؤكد الملك وولي عهده الأمين أن قيادة هذا الوطن قيادة أبوية تدعم النجاح وتحرص بقوة على مساعدة الأطفال، وأنها تمثل رمزًا حقيقيًّا وواضحًا للإنسانية في العالم أجمع.

obeikandl.com

لصفا بعد الخروج من العناية المركزة

obeikandl.com

عثرات بين المحلبية والرياض

شوال ١٤٢٩هـ/ أكتوبر ٢٠٠٨م

obeikandl.com

زيارة خادم الحرمين الشريفين للتوأم العراقي الثاني

obeikandl.com

عثرات بين المحلبية والرياض

شوال ١٤٢٩هـ - أكتوبر ٢٠٠٨م

مؤشرات حمل مبكر

«وعد وصفاء» زوجان في مطلع العشرينيات من عمرهما، يعيشان في قرية صغيرة بمنطقة المحلبية التي تبعد حوالي ٦٠ كلم عن مدينة الموصل بجمهورية العراق الشقيقة، جمعهما عش الزوجية في بيت متواضع في ظل ظروف مالية وأسرية صعبة، ومع ذلك فهما يتطلعان دومًا ولا يفارقهما الأمل في أن يكشف الله سبحانه وتعالى كربة العراق ويحوِّل مأساته إلى طمأنينة، وأن يحل السلام والرخاء محل الرصاص والقنابل والأشلاء والدماء، حتى تستقرَّ حياتهما ويشعرا بالأمن في بيئة أسرية واجتماعية آمنة ومتجانسة متحابة، وأن يخلو العراق من المنغصات المصاحبة لحالة التناحر والتقاتل والتصفيات التي تعصف به.

ومع مرور الأيام كانا يتطلعان إلى أن يرزقهما الله طفلاً يملأ حياتهما سعادة رغم حالة الذعر العام وعدم الاستقرار التي أصبحت سمة غالبة على أهل البلد، وهما يدركان أن أبلغ درجات السعادة تكمن في أن يمنَّ الله عليهما بذرية صالحة، وشاء الله أن يستجيب لرغبتهما، إذ بدأت صفاء بعد مدَّة تشعر بإرهاق وبعض الآلام الخفيفة وغثيان مصحوب بقيء في فترات الصباح؛ فطمأنتها والدتها والدة زوجها بعد أن لاحظتا انزعاجها بأن هذه مؤشرات على وجود حمل. فرحت بهذه البشرى وإن لم يفارقها القلق مع أول تجربة لها مع الحمل وتجهل كل شيء عنها بسبب صغر سنها. ورغم حالات التعب والإرهاق؛ لم يتسن لها مراجعة الأطباء لأن الأوضاع الصحية في العراق ما زالت مقترنة بالحالة السائدة التي تشير بوضوح إلى نقص واضح في الخدمات الصحية، كما أن الإمكانات المتاحة منها مشتتة ومتفرقة ولا تكاد تفي بمتطلبات الحالات الحرجة، والمعدات والتجهيزات الطبية رغم قلتها أضحت حكرة ومحصورة في المدن الكبيرة. احتملت صفاء هذه الأعراض التي تزايدت مع مرور أشهر الحمل الأولى. وما أن اتَّضحت علامات الحمل أكثر فأكثر حتى أحس «وعد» بأن مشاعر السعادة تملأ قلبه، وظلَّ يترقَّب اليوم الذي تضع فيه زوجته ويحمل طفله بين يديه يداعبه ويلاعبه، وسأل الله أن يرزقه طفلاً ذكرًا يحمل اسمه ويساعده في المستقبل على تحمُّل أعباء المعيشة.

وعد يتلهَّف لخبر سار

لم ينل «وعد وصفاء» حظاً من التعليم في مراحله المتقدِّمة، وبقي مستواهما التعليمي محدودًا وقاصرًا على المراحل الأولى، وما ذلك إلا لأن الظروف التي ألَّمت بالعراق، ومناخ الحرب وعدم الاستقرار قلَّلا كثيرًا من الفرص التعليمية، وأضعفا الرغبة في مواصلته. تقدَّمت صفاء في مراحل حملها، وتضخَّم بطنها وتكوَّر بصورة كبيرة تبعًا لذلك، ولم يدر بخلدها ولا زوجها بأن هذا الحمل عبارة عن توأم ناهيك عن أن يخرج بعيوب خلقية أو أية مشكلات أخرى. وفي الأيام الأخيرة للحمل ازدادت حدة الألم لدى الزوجة، بينما ظروف الأسرة تبدو أكثر صعوبة، وعندما أحست باقتراب موعد الولادة، كان لا بد لهما من مراجعة أحد المستشفيات حيث أُخضعت حالاً لعملية ولادة قيصرية تحت ظروف اتسمت بصعوبة شديدة، وفي هذه الأثناء كان وعد ينتظر في لهفة وشغف مترقباً من يزف له البشرى السعيدة، وما هي إلا لحظات حتى بُشِّر بولادة توأم من الذكور، ففرح فرحًا شديدًا،

وصول التوأم لمدينة الملك عبدالعزيز الطبية

استقبال إياد وزياد في العناية المركزة بعد العملية

وطغت على وجهه ملامح السعادة والسرور؛ غير أن هذه المشاعر لم تكتمل ولم تدم طويلاً؛ إذ جاءه ما لم يكن يتوقّعه، نقلوا له خبرًا صدمه وشكّل له مفاجأة كبيرة، فالطفلان ملتصقان ويحتاجان إلى عناية طبية فائقة، واستدعت الحالة نقل الأم وطفليها إلى مستشفى أكبر مختص بالأطفال من أجل العناية بالطفلين خوفًا من أن يفقدا حياتهما. وبعد ذلك كان لزامًا على الزوج نقل هذه المعلومات إلى زوجته الصغيرة، فتيسَّر له لقاؤها بعد أن أفاقت من آلام الولادة وتأثير المخدِّر فنظر إليها وهو عاجز عن حبس دموعه المنحدرة بغزارة على خدَّيه ولم يستطع إخفاءها عنها، فاستغربت الزوجة الصغيرة لبكائه، وتساءلت بينها وبين نفسها كيف له استقبال أول مولود له بهذه الدموع، وتأكد لها أنها ليست دموع فرح على الإطلاق، ساورتها الظنون والوسوس، وفسَّرت بكاءه بالحزن على طفله الذي فقد حياته، ثم توسَّلت إلى زوجها وألحَّت عليه أن يخبرها بحقيقة الأمر، وما إذا أصاب وليدها مكروه؟! إلا أنه سارع إلى إخبارها بأنها ولدت طفلين وهما على قيد الحياة، فانتابها شعور بالفرح مشوب ببعض القلق، فظلَّت تنظر إليه بإشفاق لتعرف سرَّ بكائه، فأكمل حديثه مبيناً لها أن الولدين ملتصقان، ويحتاجان إلى عناية طبية كبيرة، فقصعت حديثه بنوبة بكاء شديدة، وأمسكت بيده تشدُّها إليها محاولة تقبيلها لعل ذلك يُخفف عنها مشاعر الحزن والأسى التي سيطرت عليها في تلك اللحظة.. وكانت تلك أولى الصدمات في حياة هذين الزوجين الصغيرين، ومع ذلك فقد أمدَّهما إيمانهما في الله عز وجل في أن يستعيدا ثباتهما، وأن يشرق في نفسيهما الأمل في أن تنفرج هذه الكربة. هدأ قلقهما وانزعاجهما من منطلق الثقة في الله سبحانه وتعالى، ويقينًا بأنه عز وجل سيفتح لهما طريقًا لمساعدة الطفلين، ويعينهما بقدرته على تجاوز هذه الحالة.

٤ كيلوجرامات فقط وزن التوأم

نُقل هذان الطفلان البريئان إلى مستشفى الأطفال بمدينة الموصل بمساعدة الأطباء الذين أشرفوا على ولادتهما، ومنحوهما قسطًا وافرًا من اهتمامهم وعنايتهم، بل وبذلوا جهدًا في مساعدة والديهما من الناحيتين النفسية والمعنوية، وقدَّموا لهما رعاية كاملة من أجل تخفيف آلامهما ومصابهما. وإثر ذلك انطلقت رحلة «وعد وصفاء» في البحث عن مخرج بمساعدة فريق الأطباء الذي كان حريصاًعلى صحة التوأم التي كانت سيئة جداً، أولاً لأن وزن الطفلين سوياً لم يكن يتجاوز ٤ كيلوجرامات، وثانيًا لأنهما يعانيان مشكلات في التنفس والتهابات متعدِّدة وُضعا بسببها تحت العناية المركزة. وكان الفريق الطبي يدرك أن إمكانية فصل هذا التوأم في العراق غير ممكنة، مع وجود خطر على حياتهما إذا مكثا في مستشفى الأطفال، لذا فقد شرع في البحث عن حل، وأثمرت جهوده الكبيرة التي بذلها لمساعدة هذين الطفلين اللذين اختار لهما والداهما اسمي زياد وإياد. إذ استنفر رئيس الفريق الطبي زملاءه للبحث عن مراكز الخبرة المختصة، إلى أن عرف أن لمدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني بالرياض خبرة غنية ومتراكمة وشهيرة في الجراحات السيامية، ثم بدأ يبحث عن وسيلة اتصال بها، وبالفعل وبعد وقت ليس بالقصير اتصل بي أحد الأطباء العراقيين الذين يعملون في المملكة العربية السعودية طالبًا الاستئذان في السماح له بتزويد رئيس الفريق الطبي العراقي برقم الاتصال بهذه المدينة الطبية العامرة، وبعنوان الشبكة العنكبوتية للتوائم السيامية، واستمر هذا الطبيب بالتواصل معنا عن طريق هذه الشبكة، وكان الرد عليه سريعًا جداً، فبعد أن وصلت المعلومات إلى المدينة؛ طلبنا منهم التقارير الطبية فأرسلوها إلينا خلال أيام معدودات.

إيك وزياد في العناية المركزة

الولدان يجتمعان مع الفريق الطبي قبل العملية

موافقة كريمة وتفاعل مباشر

وبعد أن أصبحت التقارير مع صور التوأم متاحة لدينا؛ توليتُ عرضها على مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، فوجَّه بقبول الحالة وعلاج التوأم إياد وزياد، وإحضارهما على وجه السرعة. كما تفاعل مع هذه الحالة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الذي وجَّه بدوره طائرة الإخلاء الطبي لإحضار التوأم. وبالفعل نقلتُ هذه البشرى السارة إلى الطبيب المعالج بالعراق الدكتور أسامة المشهداني عبر اتصال هاتفي، فأعرب عن فرحه بهذه الاستجابة السريعة، ونقلها بنفسه إلى والديْ التوأم ففرحا فرحًا شديدًا، غير أن هذه الفرحة اصطدمت بعقبة استخراج جوازات سفر التوأم ووالديه؛ لأن استخراجها في ظل الظروف السياسية التي يعيشها العراق يستغرق وقتًا طويلاً جداً، فأخطر الملك عبد الله بهذه الصعوبات، وما أن أحاط بها - حفظه الله - حتى وجهني بأن أتولى الاتصال بمحافظة المدينة وبالجهات الرسمية في العراق لاستخراج هذه الأوراق الرسمية على عجل حفاظًا على صحة التوأم، وبالفعل أثمرت الاتصالات واستُخرجت الجوازات وأُزيلت كل العقبات والعوائق التي تحول دون وصول التوأم إلى المملكة العربية السعودية، وغادرت طائرة الإخلاء الطبي على متنها فريق طبي بكامل تجهيزاته، وهبطت رغم المخاطر في مطار مدينة أربيل حيث نُقل التوأم بصحبة فريقنا الطبي وآخر من العراق الشقيق إلى مدينة الرياض ثم إلى مدينة الملك عبد العزيز الطبية في أوائل أبريل ٢٠٠٨م حيث كان في استقباله فريق طبي متخصص تولى العناية بالتوأم الذي كانت حالته الصحية حرجة جداً. وفور نقل الطفلين إلى غرفة العناية المركزة للأطفال، وُضعا تحت مراقبة دقيقة وأخضعا لأجهزة التنفس الاصطناعي لعدة أيام بسبب معاناتهما من مشكلات في التنفس الطبيعي إضافة إلى التهاب بكتيري مما دفع الأطباء إلى تزويدهما بالمضادات الحيوية، واستغرقت هذه العملية حوالي ثلاثة أسابيع إلى أن استقرت الحالة. وأعقب ذلك تشكيل فريق طبي متكامل للاهتمام بهما وإجراء الفحوصات الطبية اللازمة لهما، ثم تشكَّل الفريق الطبي

مرحلة التخدير

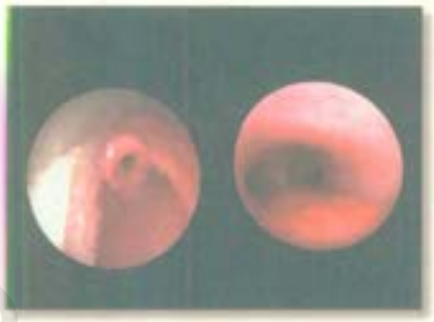

المنظار

الذي ضمَّ أكثر من ٧٠ مختصاً يمثلون كافة التخصصات من أقسام: جراحة الأطفال، والتخدير، والأطفال، وجراحة التجميل، والتمريض، والأشعة، والمختبر، والعلاج الطبيعي، والعلاج التنفسي، والصيدلة، والخدمات الاجتماعية، وعلاقات المرضى بجانب أقسام أخرى متعددة شاركت جميعًا في الاهتمام بهذا التوأم الذي كان يعاني مشكلات طبية كثيرة.

انتكاسة ثم تفاؤل

وبالفعل عقد الفريق الطبي سلسلة اجتماعات وجلسات، وأجرى فحوصات عديدة لدراسة حالة التوأم، وبينما كان الفريق الطبي يواصل مهماته هذه؛ انتكست حالة التوأم مرة أخرى، فاضطررنا إلى وضعه تحت العلاج التنفسي الاصطناعي لأسابيع إضافية قليلة نظرًا لوجود التهاب في الجهاز التنفسي، وآخر بكتيري في الدم. وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى ثم بخبرة الفريق الطبي؛ شهدت الحالة الصحية للتوأم تحسُّنًا ارتفعت معه درجة التفاؤل لدى الفريق الطبي.. وفي هذه الأثناء أظهرت نتائج الفحوصات الطبية التصاق التوأم في منطقتي الصدر والبطن مع اشتباه في وجود اشتراك في أغشية القلب والكبد والأمعاء الدقيقة ابتداءً من منطقة الإثني عشر، واشتباه بوجود اشتراك في البنكرياس والقنوات المرارية إضافة إلى عدم اكتمال جدار البطن السُّفلي. وما أن ظهرت نتائج هذه الفحوصات؛ حتى توحَّد رأي الفريق الطبي على إمكانية الفصل إذ استقرت حالة التوأم ووصل إلى الوزن المناسب، إذ كان وزنه في ذلك الوقت لا يتجاوز ٤ كيلو جرامات ونصف الجرام، وبذلك خصص برنامجًا مكثفًا لتغذيته ومراقبته مراقبة لصيقة، وشاركت أقسام الأطفال والعناية المركزة والتغذية والتأهيل وأقسام أخرى متعددة في وضع برنامج مركَّز لرفع وزنه عن طريق التغذية المناسبة، واستغرقت هذه المرحلة حوالي ٤ أشهر إلى أن بلغ وزنه مجتمعًا ما يقارب ٨ كيلو جرامات. وخلال هذه الأشهر عقدنا عدة اجتماعات لهذا الفريق ذي التخصصات المتعددة. ثم أضيفت له بعض التخصصات الدقيقة للتأكد من سلامة الطفلين بعد أن أظهرت الفحوصات معاناتهما من مشكلة في نمو القصبة الهوائية خصوصًا لدى التوأم إياد الذي كان بحاجة إلى أكسجين وتأهيل تنفسي.

٣٥٪ نسبة الخطورة

باكتمال الفحوصات والدراسة المتكاملة اتفق أعضاء الفريق الطبي على أن إمكانية الفصل واردة، وحدَّدوا على ضوء ذلك نسبة الخطورة التي رأوا أنها تصل إلى حوالي ٣٥٪، أي أن نسبة نجاح عملية الفصل تبلغ ٦٥٪، ومع هذه النسبة وموافقة الفريق الطبي على إجراء العملية استدعينا والدي التوأم وشرحنا لهم كافة تفاصيل الفحوصات الطبية ومخاطر العملية وحجمها ومدَّتها وما إلى ذلك. وبعد إلمامهما بهذه التفاصيل أعربا عن ثقتهما الكاملة في الله سبحانه وتعالى، ثم في الفريق الطبي وأبديا موافقتهما على استمرار الفحوصات الطبية وعلى إجراء العملية الجراحية نفسها.. وبناءً على ذلك حددنا موعدًا مبدئيًا للعملية إلا أن حالة التوأم إياد ساءت وأصابه التهاب وضيق في التنفس مما اضطرنا إلى وضعه تحت التنفس الاصطناعي، ولحقه بعد عدة أيام التوأم زياد الذي وضع بدوره تحت العلاج التنفسي لما يقارب ١٠ أيام، ورغم استقرار حالة التوأم إلا أن الفريق الطبي آثر الانتظار لمدة

مرحلة فصل الأمعاء

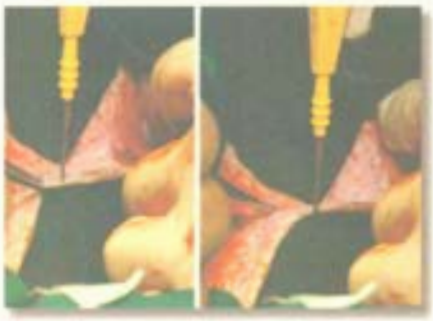

مرحلة فصل التوأم

٤ أو ٥ أسابيع أملاً في مزيد من الاستقرار، وفي نهاية هذه المدة قرر الفريق الطبي في اجتماعه قبل الأخير إجراء عملية الفصل يوم السبت ٢٥ شوال ١٤٢٩هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٨م على أن تسبقها عملية وهمية تجريبية في يوم ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م.. وأتبع ذلك بوضع خطة جراحية من ٨ مراحل وتوقع مدة ١٥ ساعة لإكمال جميع مراحل هذه العملية الطويلة والمعقدة، وأعاد التأكيد على أن نسبة العملية هي ٦٥٪، ثم استدعينا والدي التوأم بغرض إطلاعهم على تفاصيل الحالة ومراحل العملية، فعبرًا عن تحفظ على هذه النتائج ووافقا على إجرائها.

وفي يوم الأربعاء ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م التقى الفريق الطبي في اجتماعه الأخير بغرفة العمليات لإجراء العملية التجريبية الوهمية، عرضت الخطة الجراحية مكتوبة، ثم وُزِّعت على أعضاء الفريق الجراحي الذين بلغ عددهم ٣٠ عضوًا من تخصصات: جراحة الأطفال والتخدير وجراحة التجميل والتمريض والفنيين وفنيي التخدير وغيرهم من الذين تطلبت هذه العملية المهمة مشاركتهم. وتوقشت خلال هذا الاجتماع كل مراحل العملية والتجهيزات الخاصة بغرفة العمليات، وأحضر الطفلان إياد وزياد ووالديهما وشُرحت لهما جميع هذه الخطوات، ثم حُدِّدت منطقة العملية ووضع التوأم على طاولة العمليات، وتأكد أعضاء الفريق من اكتمال كافة الاجراءات اللازمة لعملية الفصل.

مرحلة مابعد الفصل

مرحلة الترميم

صفاء باكية ووعد حائر

وفي يوم السبت الموافق ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٨م نقل التوأم إلى غرفة العمليات في الساعة السابعة والنصف صباحًا، والتقينا بوالديه مرة أخرى خارجها، وأعدنا لهما شرح مراحل العملية بصورة مبسَّطة للمرة الأخيرة، وطلبنا منهم طرح أية أسئلة يرونها في هذا الخصوص، واختلط هذا اللقاء بمشاعر الأمومة والأبوة ولذلك لم يطرحا سوى قليل من الأسئلة، واغرورقت عينا الأم بالدموع وهي تودِّع طفليها؛ بينما كان والدهما حائرًا عاجزًا عن طرح أي سؤال، بل اكتفى بنظرات تائهة فيها عمق ربما يُفسَّر في تلك اللحظة بأنه يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويدعوه بأن يوفق أعضاء الفريق، ويكلل الجراحة بالنجاح الكامل ليفرح بشفاء ابنيه. وبعد هذا اللقاء المشحون بالمشاعر العاطفية ودَّع الأب والأم طفليهما بالقبلات قبل نقلهما إلى غرفة العمليات حيث استهلت أولى المراحل بالتخدير مصحوبًا بإجراء منظار للجهاز التنفسي للتأكد مما إذا كانت به عيوب خلقية، وبالفعل ظهر وجودها في القصبة الهوائية لدى التوأم إياد فاتضح لنا عدم اكتمال نمو هذه القصبة وكذلك الحنجرة. وعقب ذلك أُدخلت الأنبيب والقساطر واستغرقت هذه المرحلة حوالي الساعتين، تلاها تعقيم التوأم كاملاً في منطقة العملية، ثم تغطيته بالفوط الجراحية، وبدأنا عملنا كالعادة بسم الله وعلى بركة الله، وتوالت مراحل العملية التي استُهلت بفتح الجراح وفتح منطقة الصدر، وكان هناك اشتراك في أغشية القلب كما توقعنا واكتمل فصله دون أي معوقات، كما وجد اشتراك كبير في الكبد وقنوات الكبد والبنكرياس والأمعاء الدقيقة مبتدئًا من الإثني عشر وممتدًا لمسافة متر، إضافة إلى اشتراك في الأوعية الدموية، ولهذا عكف الفريق الطبي على إجراء دراسة تفصيلية للمناطق المشتركة قام بعدها بفصل الكبد باستخدام تقنية حديثة، وتلا ذلك فصل قنوات الكبد والبنكرياس والإثني عشر والأمعاء الدقيقة، ونجحت جميع هذه المراحل بسبب خبرة الفريق الطبي الطويلة التي أسهمت بصورة واضحة في اختزال مدة العملية إلى ثلاث ساعات، وفي تقليل كمية الدم المفقود إلى حد كبير، ونستطيع القول إن هذه الكمية المفقودة من الدم لا تمثل شيئًا إذا ما قورنت بحجم هذه العملية المعقدة، وكان هذا مؤشرًا واضحًا على اتساع خبرة الفريق ولله الحمد، وعقب ذلك بدأت مرحلة فصل من الخلف لجداري الصدر والبطن، وبعد سبع ساعات من بداية العملية بدأ العد التنازلي، وكانت تلك اللحظات مؤثرة جداً؛ لاسيما الثواني الخمس الأخيرة التي سبقت فصل جسدي الطفلين عن بعضهما، وذلك لأن العملية كانت منقولة حية على شبكة التلفاز الداخلية، ووالدا التوأم يتابعان ويراقبان عمل الفريق بقدر كبير من الشفقة والخوف، وباكتمال عملية الفصل طغت على كل الوجوه مشاعر فرحة عارمة وعلا التصفيق من الجميع خصوصًا والدي التوأم بعد أن شاهدا طفليهما لأول مرة وهما غير ملتصقين، وكل واحد منهما على سرير مستقل.

تأهيل وترميم

استغرقت المرحلة الأخيرة من العملية حوالي ٤ ساعات ونصف الساعة، وهي مرحلة تأهيل الأعضاء، وإعادة ترميم الأمعاء وقنوات الكبد ثم تغطية الجراح.. وبنجاحها غمرت الفرحة أعضاء الفريق الطبي، واكتملت مراحل هذه الجراحة بالتقاط صورة تذكارية توثِّق لهذا الحدث الكبير، ونُقل الطفلان على سريرين منفصلين إلى خارج غرفة العمليات في طريقهما إلى قسم العناية

مرحلة الخياطة النهائية وإقفال الجرح

بعد الإنتهاء من العملية

الـ كزة، وعند خروجنا جميعًا استقبلنا والد التوأم الذي أكبَّ عليَّ يعانقني بحرارة، بينما اختلط لدى زوجته إحساس الفرح بقليل من الاضطراب ولاحظنا أنها تسكب دموعها بغزارة، وكانت مترددة في محاولة تقبيل رأسي ووقفتْ للحظة حائرة ربما كانت تسائل نفسها ماذا تفعل لتعبرَّ عن شكرها؟ وحين صدق حدسي حول حديثها لنفسها؛ حاولت الابتعاد عنها؛ ولكنها استطاعت الإمساك بيدي وتقبيلها، ولم أجد بدًّا من أُتيح لها فرصة التعبير عن نفسها عبر هذه الأسلوب المتبع في بلدان كثيرة، لم أمنعها لأنها كانت في وضع نفسي بالغ التأثير، وبالفعل لمَّا لم أستطع مقاومة تلك الشجون التي غلبتني حينها؛ تركتها تقبل يدي للحظة مجاملة لها ثم سحبتها بسرعة كبيرة. توقفت للحظة تطالع طفليها فطمأنتها بنجاح العملية وسلامتهما، ورغم عدم رغبتي في محاولات آباء كثر من التوائم لتقبيل رأسي ويدي؛ إلا أنني وأعضاء الفريق الطبي رأينا أن من الواجب أن نتركهم يعبرون عن هذه اللحظات المشحونة بمشاعر الفرحة، لأننا بذلك نشاركهم ونقاسمهم هذه الأحاسيس. نقلنا التوأم إلى غرفة العناية المركزة ووضعناهما على السرير تحت مراقبة لصيقة بإشراف ومتابعة الفريق المؤهل في قسم العناية المركزة، ثم بدأت بعد ذلك مرحلة الإفاقة والتأهيل.

وبعد أيام بدأت حالة التوأم تشهد استقرارًا تدريجياً، ورفعت أجهزة التنفس الاصطناعي عن التوأم زياد بعد ثلاثة أيام من عملية الفصل؛ بينما ظل التوأم إياد الذي كان يعاني من عيوب خلقية في القصبة الهوائية تحت التنفس الاصطناعي لمدة عشرة أيام تقريبًا، وأقبل التوأم زياد على الرضاعة الطبيعية بصورة تدريجية، ورفعت عنه بعض القساطر نظرًا لاستقرار حالته.

زيارة مفاجئة

وفي مساء اليوم العاشر من عملية الفصل استقبلتُ اتصالاً كريمًا يفيد بأن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بعواطفه الأبوية الدافقة وبحنانه المعهود قرر زيارة التوأم السيامي وهو في طريق عودته من مزرعته بالجنادرية، وكانت هذه زيارة مفاجئة، ولأن مدة وصوله لا تتجاوز العشرين دقيقة؛ لم يكن أمامنا وقتًا كافيًا لإعداد العدة لهذه الزيارة الكريمة؛ فأسرعت وأنا وزملائي المتواجدين في ذلك المساء إلى غرفة العناية المركزة، ولحسن الحظ وجدنا والدي التوأم وبعض أعضاء الفريق الطبي هناك، وكانت مفاجأة أبوية كبيرة حيث دخل ـ حفظه الله ـ دون مرافقين، فهنأ والدي التوأم واطمأن على صحة طفليهما، وداعب التوأم زياد الذي سبق أن أفاق تمامًا من آثار العملية، ثم طمأن الأبوين بأن العناية بطفليهما ستتواصل وتزداد، وسيعودان بإذن الله إلى بلدهما العراق وهما في أتم صحة وعافية. كما هنأ الفريق الطبي الإنجاز مشيرًا حفظه الله إلى أن هذا الإنجاز سيكون مشرفًا للعالم العربي والإسلامي أجمع ، ثم غادر الوالد القائد غرفة العناية المركزة بعد أن امضى مدة خمس دقائق تقريبًا مع والدي التوأم. وجسَّدت هذه الزيارة المفاجئة الطيبة والكريمة مدى ما يكنه الملك الإنسان للأطفال من محبة وحنان وعطف وعطاء، وأكدت أن ارتباطه بأبنائه التوائم السيامية ارتباط ينأى عن السياسة، ولا يتعلق بأي دوافع غير عاطفته الأبوية الخالصة والصادقة، وأحاسيسه الإنسانية نحو الجميع دون اعتبار لجنس أو لون أو مذهب أو عقيدة.

الخروج من العمليات

فرحة النجاح وعناق حار بين والدي التوأم العراقي والمغربي

وحتى هذه المرحلة التي يجري فيها الإعداد لطباعة هذا الكتاب تمهيدًا لإصداره فإن حالة التوأم زياد وإياد تبدو مستقرة جداً، ووصلا إلى درجة الإفاقة الكاملة، ولا تواجههما الآن أية مشكلات تذكر، ويتوقع مغادرتهما لغرفة العناية المركزة بعد أسبوع من تاريخ كتابة هذا الفصل... ونتمنى أن يعودا إلى العراق الوطن العربي الشقيق بصحة وعافية مع طموحاتنا العريضة وآمالنا الكبيرة في أن يكون انفراج مشكلة إياد وزياد هذين الطفلين البريئين وشفاؤهما؛ انفراج كامل لأزمة العراق، وأن يلتئم جسده المثخن بجراحات غائرة نازفة، وأن يعود إلى الأسرة العربية كما كان وطنًا عربياً مسلمًا شامخاً معافى بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

فرحة النجاح وعناق حار بين والدي التوأم العراقي والمغربي

obeikandl.com